المهنة ميت

الكتاب: المهنة ميت

المؤلف: محمد رضا عبد الله

تصميم الغلاف: نور حسام الدين

تدقيق لغوي: هدير جودة

رقم الإيداع: 2019/28791

الترقيم الدولي: 978-977-778-221-0

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت: 02-338560372
info@noonpublishing.net
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

للنشر والتوزيع

محمد رضا عبد الله

المهنة ميت

رواية

للنشر
والتوزيع

السؤال الأول والأخير:
لماذا؟

(1)

حياتي عجيبة!

أعلم هذا جيدًا، لا أحتاج أحدًا أن يخبرني بذلك.

ولا أحب أن تطلقوا عليها لقب (حياة)!

فهي ليست (حياة). فالحياة بالنسبة لكم، أيام وليالي، تعيشونها بين نوم واستيقاظ. والحياة تستمر، حتَّى الموت.

أما أنا.

فأعيش في موت مستمر!

***

إنها الساعة الحادية عشر مساء، باقي من الزمن ساعة، يا للملل! هل سأنتظر موتي كل هذا الوقت؟، يبدو أنني جئت مبكرا إلى مكان الحادث. ليتني دخلت فيلم آخر في السينما وأخرج منه قبل موعد وفاتي بقليل. لم أكنْ أعلم أن فيلم (الوحوش الناعمة ـ الجزء السابع) مدته ساعتين إلَّا ربع. كنت أظنه ثلاث ساعات على الأقل. أتذكر أن الجزء السادس من هذا الفيلم والذي تمَّ عرضه في عام 2047 ـ أي منذ عامين- كانت مدته أربع ساعات.

هل أعود للسينما وأشاهد أي فيلم آخر في خلال هذه الساعة وأخرج أثناء العرض لألحق بموعد وفاتي؟. لكن، ربما يجذبني الفيلم وأنسى الدنيا ويفوتني الموعد!، سأتلقي الكثير من اللوم إذا لم أمُت الليلة.

نظرت إلى هاتفي المحمول. لا توجد أي شبكة إنترنت مجانية متاحة. (الواي فاي) يخبرني أن هناك العشرات لكن جميعهم يستخدمون كلمة سر، وأنا فاشل في اِختراق الشبكات.

لماذا يضع الناس كلمات سر على شبكاتهم؟! أين الخير في هذا الزمان؟!. كيف أدخل على شبكاتهم الآن؟ ما العمل؟

استعلمت عن رصيد الهاتف، لدى مائة جنيه فقط، أخ! نسيت أن أشحن! ما فائدة رصيد بمائة جنيه في هذا الزمان؟! أريد أن أشحن ألفان جنيه أو ألف على الأقل.

هل أتصل بالشركة ليشحنوا لي؟ لكنهم سيأخذون 20 % من الرصيد نظير الشحن. الأوغاد اللصوص.

جربت أن أدخل على الإنترنت مستخدمًا رصيدى الفقير، أحب التصفح وأعشق (الموقع الأخضر)، اعتبره مصدر المتعة الوحيد في هذه الدنيا، الموقع الأخضر!، ربما أتعلم الشعر يومًا ما حتَّى أستطيع كتابة قصيدة رائعة في عشق (الموقع الأخضر)، إنه أرض اللذة والمتعة والإثارة. أرض التشويق والخيال والجمال، إنه أشهر موقع على الإنترنت لكتابة القصص الخيالية.

أعشق قراءة هذه القصص التي يكتبها هواة ولكن مستواها جيد جدًا، أنسى الوقت وأنا أقرأها. كم أحب الخيال العلمي! حروب الفضاء، الغزو، الوحوش القادمة من زُحل، الكائنات المرعبة، إلخ!

(لقد نفد رصيدكم).

جاءتنى الرسالة لتقطع حبل أفكاري وسعادتي! تلك الشبكة اللعينة استهلكت ما تبقى من رصيد بمجرد دخولي على الموقع الأخضر، يبدو أنه لا مفر من العودة للسينما. بالتأكيد لن أقضي آخر ساعة من عمري في هذا المكان المقفر الكئيب.

ثمَّ لمحت سيارة قادمة، هل هي السيارة المقصودة؟

اِختبأت خلف شجرة وأخرجت النظارة المكبرة من جيبي ونظرت إلى لوحة أرقام السيارة، لا، ليس الرقم، ثمَّ إن لونها أحمر، والسيارة التي ستقتلني لونها أزرق، أضف إلى ذلك أنها ليست (جودزيلا)، نعلم جميعًا أن (جودزيلا) أشهر وأغلى ماركة سيارات منذ عام 2021.

والسيارة التي أنتظرها (جودزيلا) زرقاء. ثمَّ إن الموعد ما زال مبكرًا، لا يمكن أن تظهر قبل موعدها.

مرت السيارة العادية بجواري بسلام.

لا يا عزيزتي، لن أموت تحت إطاراتك، هذا الشرف ستناله سيارة أخرى.

لوّح سائقها بيده لي رغم أنني تعمدت ألَّا أنظر ناحيته. هل يعرفني؟ أم أنه يهوى التلويح لكل السائرين على الطريق؟، لا أظن أن هناك أحد يلوح لأحد غريب في هذا الزمان!

على أي حال سأتجاهل تلويحه المستمر لي وأكمل سيري، هذا ليس وقت تعارف ولا أريده أن يعطلني عن عملي.

هاتفي يرن، نظرت إلى الاسم. (خ ـ 12)، إنه العميل الخاص بالمهمة الحالية، لماذا يتصل الآن يا ترى؟

ـ آلو.

جاءني صوته الذي يذكرني بصوت أنثى الخنزير في موسم التزاوج.

ـ اخرج من السينما حالًا.

ـ لماذا؟

ـ الهدف خرج من عمله مبكرًا وهو في الطريق الآن.

ـ ما هذا الهراء؟! ألم نتفق على موعد محدد؟ يجب أن تحافظوا على المواعيد، إن الدقة أهم شيء في عملي.

ـ هل ستثرثر كثيراً في مكانك؟

ـ لا تقلق، أنا خارج السينما بالفعل، وأقف في المكان المحدد الآن.

ـ جميل! سيظهر الهدف أمامك بعد قليل، كن مستعدًا.

ـ اطمئن، أنا مستعد دائمًا.

ـ سلام.

ـ انتظر، كنت أريد أن أسألك عن باقي المبلغ.

ـ سأسلمه لك بعد المهمة كما اتفقنا.

وأنهى المكالمة بسرعة قبل أن أسأله عن أي شيء آخر، الوغد، ابن الأبالسة! حسنًا، لن يفلت مني. سيدفع لي باقي المبلغ سواء كان هذا برضاه أو رغمًا عنه! لا توجد مشكلة! ولا يمكن أن توجد أي مشاكل! لقد اعتدت على التعامل مع هؤلاء الأوغاد طوال الوقت. أوغاد في كل مكان. أوغاد لا ينتهون، أوغاد للأبد، أوغاد حتَّى تحترق النجوم وحتَّى.

يا إلهي! ها هي السيارة قادمة. لقد كان العميل (خ ـ 12) محقًا، تتساءلون عن سبب تسميته (خ ـ 12)؟، لا، هذا ليس اختصارا لاسمه، ولا لقبه، في عملنا لا نستخدم الأسماء أو الألقاب، فقط أعرف المهمة واسم الضحية وأي معلومات عنها، أما العميل نفسه لا أعرف سوى رقمه الذي يتصل بي منه، وأحيانًا أعرف شكله، لكن القاعدة الأساسية الشهيرة : لا أسماء.

أعرف رقم هاتف العميل فقط. وغالبًا سوف يتخلص من الرقم بعد انتهاء المهمة، وربما يتخلص من الهاتف المحمول نفسه.

أنا أستخدم مثل هذه الرموز حتَّى لا أخلط الأرقام ببعضها، ذاكرتي ليست حديدية حتَّى أحفظ أرقام العملاء، لذا أستخدم بعض الحروف والأرقام من أجل تذكرتي فقط، مثلا (خ ـ 12)، لا تعني أن اسمه (خالد) أبدًا، و لا ترمز إلى شعار (خالي من الكوليسترول) كما نراها على المواد الغذائية. إنها تعني (الخميس) بالنسبة لى. أما رقم (12) تعني الساعة الثانية عشر.

كان يمكن أن أضيف (ط) أي أن المهمة على (الطريق)، أو (م) أي أن المهمة مساء. أو (س) أي أن المهمة تتعلق بسيارة، لكني سأعقد الأمور بهذه الطريقة.

(خ ـ 12) جميل، وسوف أحذف رقمه بعد انتهاء المهمة على أي حال، ليحل محله رقم جديد آخر، ربما بنفس الاسم.

كان (خ ـ 12) محقًا، ها هي السيارة الجودزيلا الزرقاء!

حبيبة قلبي.

تعالي إلى بابا.

***

(2)

اختبأت خلف شجرة ضخمة، السيارة تقترب، لا بد أن أظهر أمام قائدها في الوقت المناسب، بحيث لا يستطيع أن يضغط المكابح وإلَّا انقلبت سيارته، لا بد أن أجبره على الاصطدام بي.

واحد، اثنان، ثلاثة، وقفزت من مخبئي، ظهرت أمامه فجأة، وكما حسبتها بدقة لم يستطع فعل شيء، صدمنى بقوة، ثمَّ راحت السيارة تتأرجح على الطريق وقائدها يحاول السيطرة عليها حتَّى لا ينزلق بها ويلقى حتفه.

في النهاية استطاع إيقافها على جانب الطريق. ربما جلس لمدة ثوان ليلتقط أنفاسه من هول الصدمة. ربما راح يلطم ويلعن اليوم الذي أنجبته فيه أمه، لا أدري، كلها تخمينات لأني لا أستطيع رؤيته في هذه البقعة المظلمة التي توقف فيها؛ والسبب الآخر هو أنني سقطت ميتًا. فلا أستطيع رفع رأسي نحوه لأراقبه. فالموتى لا يتحركون كما يعلم الجميع!

توقعت أن يترجل من سيارته، لكنه أدارها وعاد لي. رأيت ضوء مصابيح السيارة يسطع نحو جثتي، يقترب مني كثيراً. يبدو أنه رجل طيب، لو كان وغدًا لفرّ هاربًا حتَّى لا يراه أحدًا ويعرف أنه القاتل ويقضي سنوات من عمره في السجن.

ترجّل من سيارته، أسمع صوت نحيبه وصراخه المكتوم:

ـ يا للمصيبة! ما الذي فعلته؟

انحنى نحوي يتفحصني، ما هذا؟! هل يفكر في اصطحابي إلى المستشفى؟ أنا

ميت يا أستاذنا، أنا ميت يا كابتن، وضع رأسه على صدري وراح يستمع إلى دقات قلبي الصامتة. كنت أريد أن أغني له (كل دقة في قلبي تقول لك أني ميت)، لكني تركته يكمل عمله في هدوء، بالتأكيد لم يسمع شيئًا، وضع كفيه فوق بعضها وراح يضغط بها على صدري، هل يريد إنعاش قلبي حقا؟!. ثمَّ رفع كفيه في يأس، ونظر نحو وجهي، يا إلهي!، هل يفكر في ما أفكر فيه؟!، أرجوك لا تفعل، هل يفكر في منحي (قبلة الحياة)؟، إياك أن تفعل يا أخي، أقبّل يدك وقدميك ألا تفعل. أتوسل إليك، لا أريد (قبلة الحياة) منك! لكن، لقد قرر أن يفعلها، وها هو يفعلها، وبأسوأ طريقة ممكنة، هذا غير مقبول على الإطلاق!

على الأقل اِذهب لتلق دروس في الإسعافات الأولية أو التمريض ثمَّ عُد لفعلها، يا غبي، ليس بهذه الطريقة يا أسطى!

ثمَّ الرائحة! هل تناول ثوم وبصل على العشاء؟! اذهب لغسيل أسنانك ونظفها جيدًا بالفرشاة والمعجون وامضغ علبة كاملة من حبات منعش الفم لمدة ساعتين ثمَّ عُد لفعلها.

لا بد أن أستلم مبلغًا إضافيًّا من العميل نظير ما حدث، لم نتفق على هذا أبدًا.

ما الذي يجعلنى صابرًا على هذه المهنة؟! الإجابة: المال بالتأكيد، وربما لأنني لا أجيد مهنة أخرى سواها، مهنة الموت. أو لأنني الوحيد الذي امتهن هذه المهنة ولن يجدوا أبدًا واحدًا يقوم بها إذا قررت الاعتزال، ولقد أصبحت محترفًا بها لذا لن أضيع كل هذه الخبرات بالتقاعد والجلوس الممل في البيت، (قبلة الحياة) المقززة أرحم.

يجب أن أحسن الاختيار بعد ذلك، لا أقبل أي مهمة قد أتعرض فيها لقبلة الحياة، إلَّا إذا كانت الضحية حسناء فرنسية مثلًا، سنها من 18 إلى 28 عام ولديها وشم أسفل رقبتها على شكل تنين مجنح يعانق أفعى.

راح الرجل يضغط مجددًا على صدري بكلتا يديه بمنتهى الغباء الأسطوري ظنًا منه أنه يحاول إسعافي، أنا ميت يا دكتور، أنا ميت يا شيخ، أنا ميت يا جدع.

ثمَّ وضع أذنيه على صدري للمرة العاشرة ليسمع نبضات قلبي، يظن أنه قد أفلح في إنعاشه، يا سيدي الفاضل لو أنك أحضرت سماعة طبيب لن تسمع شيئًا، لو وضعتني على جهاز رسام القلب لانطلقت الصفارة وصرخ بأعلى صوته بأني ميت.

هذا الرجل غبي! وربما طيب القلب إلى أقصى حد، لقد قرر أن يأخذني إلى المستشفى.

حسنًا. لم يكن هذا في خطتي الأساسية، كان المطلوب مني أن أموت وفقط. على أي حال لقد وضعت هذا الاحتمال في رأسي، فلننتقل إلى الخطة (ب)، الفرار من المستشفى.

سوف أذهب معه حتَّى يتأكد تمامًا أني مُت ثمَّ انتهز أي فرصة أكون فيها وحيدًا ثمَّ أفر من المستشفى لتنتهي مهمة (الموت في حادث) لكى ألحق بالمهمة التالية، مهمة (العاشق الميت).

بكى الرجل، يظن أنني الضحية، لا يعلم أنه هو الضحية، أحمق وغبي وطيب ومسكين!، راح يجر جسدي على الرصيف، كان ضعيف البنية، راح يسعل بقوة، أخشى أن يموت قبل أن يصل إلى سيارته، وهذا اِحتمال سيىء لا أريده أن يحدث، لا أظن أن العميل يريد الضحية ميتا.

عدّل نظارته ثمَّ استكمل الجر، كان يجرني كما تجر أنت جوال بطاطس على الأرض، لم يستطعْ حملي لأنه كان عبارة عن هيكل عظمي يرتدي بدلة أنيقة.

ثمَّ لمحت رقم سيارته، ما هذا؟! انتبهت إلى مدى غبائي في تلك اللحظة، يا لي من أحمق كبير!، لقد اندفعت نحو هذه السيارة الجودزيلا دون أن أهتم بالنظر

إلى أرقامها طالما أنها زرقاء، إن الأرقام مختلفة تمامًا، يا إلهي!، إن هذا يعني أنها ليست السيارة المقصودة وأنني توفيت أمام سيارة أخرى.

أين سيارة الضحية إذن؟!، ربما هي قادمة بعد قليل، أو لن تأتي أبدًا هذه الليلة، المهم أنني متأكد أنها لم تمر حتَّى هذه اللحظة، لأني كنت أراقب الطريق جيدًا، لم تمر سيارة من هنا منذ حادث وفاتي.

نهضت بسرعة ونفضت ملابسي ورحت أعدّلها، وسط دهشة الرجل الذي سقط مفزوعًا من الصدمة، كأنه رأي العنقاء تنهض أمامه من الرماد، وراح يردد:

ـ يا إلهي!، يا إلهي!، يا إلهي!

قلت له بهدوء لا يناسب ميت عاد لتوه إلى الحياة:

ـ عُد إلى سيارتك يا عزيزى.

ـ ما هذا؟!

ساعدته على النهوض واصطحبته إلى سيارته، لو اضطررت لحمله سأفعل، المهم أن يرحل من هنا وبسرعة، حتَّى لا يفسد المهمة. فتحت باب سيارته بعنف وقلت :

ـ هيا، عُد إلى منزلك، لا تعطلنا عن أعمالنا.

قال بمنتهى الدهشة:

ـ ولكنك كنت ميتًا.

ابتسمت قائلًا :

ـ لا يا عزيزي، كنت حيًّا.

ـ كيف؟

ـ كان مزاح ثقيل.

قال مندهشًا:

ـ مزاح!

اِبتسمت ببلاهة ثمَّ قلت مشيراً للأمام كأن هناك كاميرا تصوّرنا:

ـ ابتسم، أنت في الكاميرا الخفية، هيا عُد إلى منزلك لتلحق مشاهدة الحلقة في الإعادة بعد ساعة من الآن.

سألنى ليتأكد من الموضوع أو لأنه ينوي المشاهدة حقًا:

ـ على أي قناة؟

ـ قناة (اِضحك كركر).

لم يصدق الرجل ما أقوله، ربما لأنه متابع جيد لقناة (اضحك كركر) ويعرف أنها تعرض أفلام ومسرحيات كوميدية فقط، لا تعرض أي برامج، أو ربما لأنه لم يظهر أي فرد من طاقم تصوير البرنامج حتَّى الآن ولا يمكن أن أقوم بتصوير البرنامج وحدي، أو ربما لأن برامج (الكاميرا الخفية) لا يتم تصويرها وعرضها مباشرة فهي ليست مباراة كرة قدم، لا بد من تسجيلها وموافقة الضحية على العرض ثمَّ انتظار شهر رمضان.

راح يتحسس ذراعي بقلق وشك:

ـ هل أنت بخير؟! هل تشعر بأي ألم؟!

ـ اطمئن يا سيدى الفاضل، أنا بأتم صحة.

أجهش الرجل بالبكاء من فرط السعادة؛ لأن الكابوس قد انتهي وأنا ما زلت حيًّا واقفًا أمامه، ربما يظن أن طريقته الغبية في الإسعاف أو (قُبلة الحياة) الملعونة هي السبب، يراني أتحدث بثقة وقلبي سليم ينبض بالحياة، بينما قلبه يتسارع في ضرباته. ربما يتوقف الآن من فرط الانفعال، فأضطر أنا لحمل جسده إلى أقرب مستشفى.

دس الرجل الطيب المسكين يده في جيب بدلته وأخرج حافظة نقوده وقال:

ـ خُذ يا بني هذا المال، ربما يعوضك قليلًا عن عملك الذي تأخرت عنه والذي بسببه كنت تسير بسرعة على الطريق. وربما يكون التأخير سببًا في قطع عيشك، أو قد تحتاج إلى فحص جسدك في المستشفى، ربما تحتاج إلى علاج وما رأيك؟ سأوصلك إلى عملك وأعتذر لصاحب العمل بنفسي أو أصطحبك إلى أقرب مستشـ....

قاطعته وأنا أراقب الطريق قائلًا:

ـ لا أحتاج إلى مالك، ومن فضلك اترك هذا المكان فورًا، أنت تعطلنى عن عملي بهذه الطريقة.

ـ ولكن.

دفعته بالقوة داخل سيارته وأغلقت بابها عليه وضربت بيدى بقوة عليها وصحت قائلًا:

ـ ارحل فورا، هيًّا.

شعر الرجل بالخوف الشديد من لهجتي، فأنا الرجل الميت الذي صدمه منذ قليل قد تحولت إلى كتلة من الحيوية والنشاط. وأصيح به أن يرحل.

أدار محرك سيارته بسرعة وقرر أن يرحل أخيراً، لكن.

لم لا؟!

طرقت بقبضة يديّ على زجاج سيارته، فأنزل الزجاج بسرعة وأطلّ برأسه وسألني:

ـ ماذا؟

ـ المال.

لا أحتاج إلى ماله! ولكن، في نفس الوقت شعرت بعذاب الضمير لأني رفضت

ماله، سوف آخذه طالما أنه قد عرضه بنفسه، و(البحر يحب الزيادة) كما تعلمون، وأنا أفعل كل هذا من أجل المال في الأساس، فما المانع من زيادة في الأجر من طرق أخرى غير مباشرة؟!

أخرج الرجل حافظة نقوده مرة أخرى وهو مندهش من سرعة تحولي، كنت ميتًا وعُدت للحياة، كنت أرفض المال والآن أطلبه، ما هذا التقلب؟!، الإجابة: من قال أنني شخصية طبيعية أصلًا؟!

مدّ يده نحوي بكل المال الذي وجده في حافظته، ولكن قبل أن أمسكه تراجع بيده قليلا ثمَّ سألني:

ـ أخبرني بحكايتك أولًا.

هذا ليس وقت الحكايات يا سيدي (الضحية الخطأ)، فأنا أنتظر الآن (الضحية الصحيحة)، أخذت المال منه وصحت قائلًا:

ـ ارحل بسرعة.

نفذ الرجل الأمر ورحل راضيًّا سعيدًا، كان يظن أنه سيبيت ليلته في المستشفى أو السجن، فجأة تغير كل شيء وسيعود إلى منزله بصورة طبيعية، أنا متأكد أنه في منتهى السعادة الآن رغم أنني أخذت ماله.

ليتني أشعر بمثل تلك السعادة، ليتني أشعر بإحساس الشوق إلى العودة للمنزل، لكني لا أملك منزلًا معينًا على وجه التحديد، بل أملك عدة منازل! وجميعهم لا أشتاق للعودة إليهم، بل أفضل البقاء بالخارج، الجلوس في مطعم، دخول السينما، النوم فوق قمة جبل.... إلخ.

ولا أشعر أبدا بسعادة النجاة من مأزق، لا يعني هذا أنني لا أتعرض لمأزق أبدًا، بالعكس أتعرض لكثير من المآزق يوميًّا وأخطو نحوها بكامل إرادتي، يمكن القول ـ بكل صدق- أن مهنتي هي مهنة البحث عن المآزق والسقوط فيها، لكنني

دائمًا أخرج منها، لذا لا يمكن أن تعتبروها مآزق بالنسبة لشخص مثلي، المأزق الذي تعلم جيدًا أنك تستطيع الخروج منه لا يسمى (مأزق). وهكذا لا يمكن أن أشعر بسعادة الخروج من مأزق!

سيارة جودزيلا زرقاء قادمة!، لا بد أن أتأكد من الأرقام، النظارة المكبرة، نعم، إنها الأرقام بالضبط، حسنًا، سأموت مجددًا، هيًّا.

***

(3)

قفزت أمام السيارة الملعونة، هووووب، صدمتني.

آاااااااه.

صرخت بأعلى صوتي، ثمَّ سقطت جثة هامدة. فعبرت السيارة فوق جسدي وحطمت كل ضلوعي، لم يكنْ الاصطدام سهلًا كما حدث في المرة السابقة منذ دقائق.

المرة السابقة كانت مداعبة، أما هذه فهي اعتداء واغتصاب، تذكرني بمهمة (الموت في الونش) الذي قمت بها منذ أسابيع، لم تكنْ مهمة سهلة أبدًا، كذلك مهمة (الموت في المترو).

ثمَّ جرتني السيارة أمامها لمسافة طويلة قبل أن تتوقف، حمدت الله أن السائق الغبي قد توقف أخيراً، لا أريد أن نبتعد عن كاميرا مراقبة الطريق.

حاولت تحريك ذراعي الأيسر، اكتشفت أن السيارة تقف عليه.

لا أعلم إن كان قد رآني السائق قبل الاصطدام أم لا، ربما لم يشعر بي إلَّا عندما سار فوق جسدي، ربما ظن أنني مطب صناعي، هل سمع صراخي؟، الزجاج كان مغلقًا، لكني صرخت بأعلى صوتي، هل هو أصم؟، لا بد أن أحصل على معلومات أكثر عن الضحية في المرات القادمة.

هبط الرجل أخيراً من سيارته وراح ينظر أسفلها، أنا هنا يا غبي، لا لست غزالة، لقد صدمت إنسان، وعليك أن تتحمل جزاء فعلتك.

عيونى شبه مغلقة، لكني رأيته يتحسس الدم السائل من رأسي ثمَّ يشمه، بالتأكيد ليس (كاتشاب) يا حمار، إنه دم، دم يا أحمق، هل تريد أن تأخذ عينة منه لتقوم بتحليلها أو لتعرف الفصيلة؟، لم أقل له حرفًا لأني ميت كما تعلمون!

رفع ذراعي الأيمن وتركها تهوى على الأرض فأدرك أني ميت، هكذا ببساطة، لم يقم بتحسس صدري أو إنعاش قلبي أو منحي قُبلة الحياة، رجل عملي جدًا.

دخل سيارته وأدار المحرك وسار بها من جديد، أطلق سراح ذراعي الأيسر لكني فوجئت بالسيارة تسير فوق جسدي مرة أخرى لتغادر المكان.

فر هاربًا، الوغد الحقير!، إنه لم يحاول أن يحرك جثتي ويضعها على جانب الطريق حتَّى!

انتظرت بعض الوقت، ممددًا على الطريق، لا أتحرك كأي جثة حديثة تحترم نفسها، لا أخشى أي سيارات قادمة، ما الذي يمكن أن تفعله سيارة مسرعة في جسد ميت على الطريق؟، غالبًا هي التي ستتأثر.

أخيراً جاءت السيارة المنتظرة، توقفت بجوار جثتي بالضبط، خرج منها رجلان، تعاونا على حمل جثتي ووضعاها داخل السيارة على المقعد الخلفي، وبمجرد دخولي إلى هناك اعتدلت في جلستي، عاد السائق إلى مقعده خلف عجلة القيادة بينما عاد الرجل الآخر إلى مقعده ليجلس بجواري، ثمَّ غادرنا المكان، قال جاري في المقعد الخلفي:

ـ كيف حالك؟

نعم، إنه نفس الصوت الذي يذكرني بصوت أنثى الخنزير في موسم التزاوج، تحسست ذراعي الأيسر وقلت:

ـ بخير.

نظر الرجل للدماء التي تغطى ملابسي فسألني:

ـ هل أنت بخير؟ هل تحتاج أن يفحصك طبيبنا؟

ـ لا، لا.

أخرج الرجل رزمة أوراق من جيبه وقال:

ـ باقي المبلغ كما وعدناك.

رحت أعدّ المبلغ وأنا أسأله:

ـ ما الذي ستفعلونه بعد ذلك؟

ـ ليس هذا من شأنك، لقد طلبنا منك عمل مقابل أجر، نفذت عملك وحصلت على أجرك، لا نحب الأسئلة.

ابتسمت وأنا مستمر في عدّ المبلغ:

ـ أعلم ما ستفعلونه، الكاميرا التي تراقب الطريق في تلك البقعة، أليس كذلك؟، سوف تأخذون تسجيل الحادثة من شريط المراقبة لهذه الليلة بمساعدة شريككم في إدارة المرور، تبتزون الضحية بفيديو الحادثة وتحصلون على مبلغ أو منصب أو توقيع أو مستندات أو...

يبدو أنني أصبت الهدف فقال لي غاضبًا:

ـ ليس هذا من شأنك ولا تسأل فيما لا يخصك وإلّا.

توقفت عن العدّ وقلت له متحديًّا:

ـ هل ستقتلنى؟

ابتسم الرجل وقال:

ـ كما أنك لا تحب أن نسألك كيف لا تموت، نحن أيضًا لا نحب أن تسألنا بخصوص العمل.،هذه هي حياتك التي لا تريدنا أن نتدخل فيها، وهذا هو عملنا الذي لا نريدك أن تتدخل فيه.

أكملت العدّ وأنا أقول:

ـ ولكنه الفضول، ما الذي ستفعلونه حقًّا؟ أخبرني يا رجل.

أخرج الرجل المسدس من جيبه وقال ملوحًا به في وجهي:

ـ قلت لك، لا تسأل.

كان سائق السيارة يتابع ما يحدث من خلال المرآة الصغيرة أمامه، شعر بالتوتر والقلق فأصدر زمجرة شديدة، ربما لا يريده أن يقتلني؛ لأنه لا يريد دماء في سيارته، لا أظن أنه رقيق الحس والمشاعر، وأنتم تعلمون أن غسيل السيارة مكلف جدًا. خاصة التخلص من الدم وتكميم الأفواه بالمال، وعمال المغسلة كثيرون وثرثارون.

نظرت له وقلت متحديًّا:

ـ أنسيت أنني؟

وضع فوهة المسدس على صدري وقال:

ـ لا، ولكن أريد أن أجرب.

وأطلق الرصاصة القاتلة.

***

(4)

طبعًا لم تكنْ الرصاصة قاتلة، كنت أمزح معكم بالتأكيد!

لا بد أنكم خمنتم ذلك، أو البعض منكم على الأقل.

رأى الرجل الدم يسيل من صدري، ظن للحظات أنني سأموت، رأيت السائق يصيح به قائلًا بغضبٍ:

ـ الدم، السيارة.

نظرت إلى الدم الذي يسيل من صدري وقلت له:

ـ الآن، ستدفع مبلغ إضافي.

لم يهتم الرجل بما أقوله وراح يتحسس الفجوة التي أحدثتها الرصاصة في ملابسي عند منطقة الصدر، صحت قائلًا:

ـ كفي.

ـ ماذا؟!

ـ أريد مبلغ إضافي نظير ما فعلته.

ـ لا.

ـ لقد اتفقنا على أن يقتلني هو، لا أنت، ولقد حصلت على أجرى عندما قتلني، أما أنت فلن تقتلني مجانًا.

ـ لن أدفع.

فجأة انتزعت المسدس من يده في أقل من ثانية، ثمَّ صوبت الفوهة نحو صدره بالضبط كما كان يفعل معي منذ لحظات وقلت بجدية:

ـ حسنًا، فلأجرب أنا هذه المرة. (العين بالعين)!

شعر بالفزع الشديد وقال:

ـ أرجوك، لا تفعل.

بينما لمحت السائق يخرج مسدسه ويصوبه نحوي، عين على الطريق وعين ناحيتي، ضحكت بقوة قائلًا:

ـ هل تريد أن تقتلني حقًا؟! ألم تفهم الدرس بعد؟!، أنا لا أموت يا غبي، مهنتي هي الموت.

أعاد السائق مسدسه إلى جيبه مستسلمًا، وراح يراقب الطريق وقد تعلم ألَّا يتدخل في شئوني مرة أخرى؛ لينجو بحياته من رجل لا يموت.

أما صديقنا الآخر استطاع في غفلة مني الحصول على المسدس وراح يصوبه نحوي في تلك اللحظة التي انشغلت فيها بالحديث مع صديقنا الأول، قلت بحنق:

ـ يبدو أنكم حفنة من الأغبياء، أوغاد أغبياء، ألم تفهموا بعد؟!

قال الرجل الذي يظن نفسه أذكى واحد في ثلاثتنا:

ـ ما أفهمه أنك لا تحمل أي مسدس ولا تمثل أي تهديد لي، سواء كنت تموت أو لا تموت فلا خطر منك الآن، وأريدك خارج سيارتي فورًا.

قلت بمنتهى الهدوء لأني أعلم أنه أغبى واحد في ثلاثتنا:

ـ لن أخرج من سيارتك قبل الحصول على المبلغ نظير تلك الرصاصة اللعينة، لم نتفق على أن تقتلني.

ورحت أعبث بأصابعي في الفجوة داخل صدري بحثًا عن الرصاصة عندما قال:

ـ لن أعطيك مليم.

بتر جملته عندما اندفعت فجأة للأمام ثمَّ طوقت رقبة السائق بذراعي، ففقد السيطرة على قيادة السيارة، قلت ضاحكًا بجنون مخيف:

ـ الآن ستعرف معنى الخطر، سوف تنقلب السيارة وتموتا أنتما الاثنان وأنجو أنا كالعادة، وستعرف حينها أنني...

قال السائق وهو يحاول التخلص من ذراعي والسيطرة على عجلة القيادة في نفس الوقت:

ـ أعطه المبلغ الذي يريده، سنموت كلنا وينجو هو.

كان الرجل الآخر يمسك مسدسه ولا يعرف ما الذي يمكن أن يفعله به!، شعر أن المسدس بلا قيمة في مواجهتي، كأنه مسدس خال من الرصاص مثلا أو مسدس ماء، وفي نفس الوقت لا يريد أن يجرب رصاصة أخرى حتَّى لا يثير غضبي أكثر. قال مستسلمًا:

ـ حسنًا، حسنًا، اترك رقبته وسأعطيك ما تريد.

عُدت إلى مكاني بينما هو يعيد مسدسه إلى جيبه ويخرج حافظة نقوده ويسألني:

ـ كم تريد؟

ـ نفس المبلغ الذي أخذته في هذه المهمة.

ـ لا، ظلم.

ـ أنا لم أطلب منك أن تقتلني، هو قتلني وأنت قتلتني، وفي كل مرة أموت فيها بسببك ستدفع نفس المبلغ، وسوف أتغاضى عما فعلته الآن وأنك حاولت الغدر بي

وسأغفر لك خطأك، لكن الاتفاق اتفاق، ونحن لم نتفق على أن تقتلني، أي أنه من المفروض أن تدفع غرامة أيضًا.

ـ لا، فلنكتفي بدفع هذا المبلغ ولا داعي من الغرامة، وشكرًا جزيلًا على غفرانك.

ودفع لي ما طلبته، جميل جدًا! رحت أعدّ المبلغ الجديد، دائمًا يقعون في نفس الخطأ معي، أقوم باستثارتهم فيقتلوني ويدفعون مجددًا، يا لهم من حمقى! سألته:

ـ والآن، أخبرني باسمك أولًا.

أجاب على الفور دون اعتراض على السؤال:

ـ (جابر السلعوة).

سلعوة! ليتني ما سألت!، طلبت منه أن يشرح لي الخطة كاملة، أطاع (جابر السلعوة) الأمر دون اعتراض كأي خادمة مطيعة لسيدها، وراح يخبرني بأدق التفاصيل:

ـ لنا رجل في إدارة المرور، سوف يعطينا تسجيل كاميرات المراقبة...

الخطة كانت كما خمنت بالضبط! رحت أسمع بقية الخطة حتَّى وصلت إلى المنزل الذي سأغير فيه ملابسي لأستعد للمهمة الجديدة، مهمة (العاشق الميت).

***

ضغطت على زر الجرس، فتحت لى امرأة حسناء في الأربعينات من عمرها ترتدي ملابس منزلية مثيرة للغاية، لا أعرف كيف تفتح الباب للزوار بهذه الملابس!، حتَّى لو أنها استخدمت كاميرا مراقبة أو العين السحرية لتعرف أنني الطارق وخمنت أنني الرجل المنتظر، لا زال الأمر مثيرا للدهشة! يبدو أنها اِمرأة لعوب، لا تهتم حقا بسُمعتها، رغم كونها متزوجة من رجل شريف، سألتني وهي تتأمل ملابسي:

ـ هل أنتَ الـ...؟

ـ هل أنتِ الـ...؟

كان الحوار مختصرًا وكافيًّا جدًا، فهم بعضنا الآخر بسرعة، سألتها:

ـ هل عاد زوجك؟

ـ لا، إنه في الطريق، ادخل.

وفي الداخل، تقدمتنى المرأة إلى غرفة النوم وقالت:

ـ من هنا.

لا داعي من وصف دقيق لملابسها حتَّى لا يتهمني أحد بإثارة القارئ!، على أي حال سوف تخلعه كله بعد قليل.

نظرت بقلق إلى ذراعي الأيسر الذي حطمته السيارة:

ـ ما بال ذراعك؟!

ـ لا تشغلي بالك، بخير.

ـ هل تعاركت مع أحد قبل مجيئك؟

ـ لا.

أشارت بإصبعها نحو جبهتي وقالت:

ـ هناك نقطة دماء.

مسحتها قائلًا:

ـ ليست دمائي، لا تشغلي بالك.

ابتسمت بخبث وقالت:

ـ هل ضبطك زوج آخر قبل زوجي؟!، يبدو أنك شقي جدًا.

اتجهت إلى التسريحة، وقفت أمامها، يبدو أني لم أنتبه لهذه القطرة أثناء تغيير ملابسي، تأملت نفسي في المرآة لأتأكد أنه لا توجد أي قطرات دماء أخرى، ثمَّ عدت إليها وقلت:

ـ تمام.

وبدأت في خلع ملابسي أمامها، لا أظن أن واحدة مثلها ستشعر بالحرج مني وهي التي خططت لكل شيء في هذه المهمة، سألتني:

ـ هل أخلع ملابسي أنا أيضًا؟

أجبتها بسرعة:

ـ لا.

ويبدو أنها لم تكنْ تنتظر إجابة مني، أو أنها انتظرت إجابة عكس ما قلته، لأني رأيتها تخلع ما كانت ترتديه بدون تردد، لا أعلم سبب سؤالها طالما أنها لا تهتم بالإجابة، إن ملابسها كانت كافية لإثارة الشك داخل زوجها، أو لتأكيد الشك عنده. بخلاف إن سلوكها يثير الشكوك داخل أي رجل حتَّى لو لم يكن زوجها!، وحتَّى لو نامت بملابس رسمية ثقيلة مع رجل غريب شبه عارى في غرفة النوم بعش الزوجية، أظن أن المشهد كافيًّا لتطليقها إن لم يكنْ قتلها!

نظرت إلى جسدها، كانت تتوقع نظرات إعجاب أوتحرش مني، لكنها فوجئت بجبل من الجليد مِمَّا حطم غرورها كثيراً. لا تعلم أننى رأيت مثلها الكثير في حياتى الطويلة جدًا لذا لن أتأثر بما تفعله، سألتني وهي تتأمل السروال القصير والفانلة البيضاء التي أرتديها:

ـ ألن تخلع باقي ملابسك؟!

ـ لا.

ـ لماذا؟

ـ أظن أن هذه الملابس كافية ويكفي أنكِ خلعت ملابسك كاملة، لا نحتاج إلى خلع المزيد!

أظن أنها ستغتصبني لو تأخر زوجها قليلًا!، وقتها سأكون خنته بالفعل وأستحق القتل.

ظهر عليها الغضب وسألتني:

ـ لماذا لا تخلع ملابسك كما فعلت أنا؟!

ليس من الضروري أن أذكّرها أني لم أطلب منها ذلك، لقد فعلت ذلك بكامل قواها العقلية والنفسية والعصبية والشهوانية. أجبتها لأريحها من السؤال:

ـ أخشى الإصابة بنزلة برد.

ابتسمت لإجابتي الكاذبة وقالت:

ـ لكن الجو حار، ثمَّ أنني سمعت أن جسدك منيع ولهذا تصلح لهذه المهمة.

وراحت ترمق جسدي بنظرات من أعلى لأسفل والعكس، وأكملت:

ـ وأنك ضد الرصاص.

ـ متى يصل زوجك؟!

أخرجها سؤالي من شرودها الجنسي، فأجابت:

ـ لا بد أنه في الطريق، هل تشعر بالقلق؟!

ـ لا، أبدًا.

ـ ألن ننام في السرير؟

ـ ومن سيفتح الباب؟!

ـ هو، معه نسخة من المفاتيح دائمًا، ثمَّ إنه يريد أن يفاجئني لذا لن يطرق الباب، يريد أن يضبطني متلبسة، يظن أنني أخونه.

نظرت إليها وانفلتت مني ضحكة ساخرة، وكأنها قرأت أفكاري قالت:

ـ لا تفهم خطأ، أنا لا أخونه، أنا أريد أن أزرع في رأسه فكرة أني أخونه لكي أتخلص منه وأتخلص من العيش معه.

ـ لا تهمني الأسباب والدوافع، لقد جئت في مهمة والمطلوب مني تنفيذها على أكمل وجه.

سمعنا صوت فتح الباب، وضعت إصبعها على شفتيها وقالت هامسة:

ـ اصمت، لقد حضر.

***

(5)

أشارت الزوجة الخائنة إلى السرير، فنفذت أمرها على الفور ونمت عليه، منتظرًا دخول زوجها في أي لحظة، اندفعت هي الأخرى نحو السرير وتدثرت بالغطاء معي.

دخل الزوج الغيور الغرفة عنوة، رآنا في فراش الزوجية، لقد قمت بهذه المهمة كثيراً لذا أعرف ما سُيقال، وأعرف ما سأقوله جيدًا وأتقنت تمثيل هذا المشهد مرارًا، أستحق عليه جائزة الأوسكار، مشهد العاشق الذي فوجئ بعودة الزوج وهو في أحضان حبيبته.

ـ انتظر، لا تتهور.

لكن الزوج تهوّر، أخرج مسدسه من جيبه بدون أي خطب ثورية كما فعل أزواج كثيرون قبله معي، فهذه ليست المرة الأولى التي أقوم فيها بمهمة (العاشق الميت)، ضغط الزوج بسبابته على الزناد مصوبًا الفوهة نحوي وسمعنا دوى الرصاصة. أعلم أنها ليست رصاصة حقيقية، لقد أبدلت زوجته الرصاصات ليلة أمس دون علمه. خشية أن تموت من إحداها لو فكر أن يصوب نحوها، أنا لا أموت لكنها ستموت بسهولة من الرصاصة الحقيقية، لكن هناك احتمال أن يكون قد أبدل الرصاصات الجديدة بأخرى حقيقية، ربما علم بما فعلته زوجته، لذا نسبة المخاطرة موجودة، ولهذا سأقوم بواجبي على أكمل وجه، سأتلقى الرصاص بدلًا منها.

اندفعت نحو الزوج، وتلقيت الرصاصة، نعم الرصاصة ليست حقيقية، لذا استخدمت كيس الدم الذي كان بحوزتي وسقطت أرضًا لأفجره أسفل جسدي وخبأت الكيس بعد أن أفرغ محتواه.

كنت قد انتزعت المسدس من الزوج حتَّى لا يطلق رصاصة أخرى نحو الزوجة، سيعلم وقتها الحقيقة.

نهضت الزوجة من فراشها وراحت تستر نفسها بأي ملابس وهي تصرخ وتولول وتتظاهر بالارتباك والغضب والرعب والخجل، لا أعلم كيف ستدافع عن نفسها!، لكني سمعت زوجات كثيرات من قبل في مثل هذه المواقف قالوا كلامًا عجيبا يستحق تدوينه في روايات ضخمة، تُرى كيف سيكون دفاع هذه الزوجة؟!

ـ أرأيت يا (سيد)؟، لقد قتلته، أصبحت مجرم يا (سيد)، ستدخل السجن يا (سيد).

عكس التوقعات، بدلًا من الدفاع عن نفسها راحت تلومه على قتلي، وضع (سيد) أذنه على موضع قلبي فوجده صامتًا ورفع يدي لأعلى ثمَّ تركها، علم جيدًا أنني قد فارقت الحياة، نظر نحوها وقال بغضب:

ـ يستحق القتل، وأنتِ أيضا تستحقين القتل، أنتما خائنان.

اندفعت الزوجة نحو باب الشقة لتتأكد أنه مغلق، فربما سمع الجيران صوت الرصاصة، ثمَّ عادت إليه لتقول:

ـ ستدخل السجن، مؤبد أو إعدام.

ـ لا، أنتِ التي تستحقين الإعدام، أنا بريء، لقد قتلته انتقامًا لشرفي.

ـ من سيصدق ذلك؟!، سأقول أنك طلبت منه خلع ملابسه وأطلقت عليه الرصاص وتخلصت منه، هل تظن أنني سأشهد أمام القاضي بأنك ضبطتني متلبسة؟!

راح (سيد) يبحث بيديه حوله عن المسدس وهو يقول:

ـ لن تعيشي لتشهدي أمام القاضي يا فاجرة.

لوحت بالمسدس في يدها وقالت:

ـ هل تبحث عن هذا يا (سيد)؟!

لاحظ القفازات التي ترتديها وهي تقول:

ـ عليه بصماتك، والجثة موجودة، والجيران سيشهدون، ضاع مستقبلك للأبد يا (سيد).

ـ حتَّى لو دخلت السجن يا (سماسم)، لن يصدق أحد أنكِ بريئة، ستعيشين طوال عمرك تجرين ذيل الفضيحة في كل مكان تذهبى إليه، الكل سيسمع عن زوجك الذي دخل السجن لينتقم لشرفه.

سمعوا طرقات عالية على الباب، قال الزوج بقلق:

ـ لا بد أنهم الجيران.

قالت الزوجة وكأنها توصلت في تلك اللحظة إلى الحل العبقري:

ـ هناك حل يرضى جميع الأطراف، ستنجو من السجن وأحافظ أنا على سُمعتي.

ـ ما هو هذا الحل يا (سماسم)؟!

ـ سأتصل بأخى (عطوة)، سوف يخلصنا من الجثة، ولن يعلم أحد بجريمتك، مقابل أن تطلقني و..

ـ موافق، أنتِ طالق يا (سماسم)، هل تظنين أنني سأبقيكِ على ذمتي بعد تأكدي من خيانتك لي؟!

تابعت (سماسم) قائلة وكأن ما قاله (سيد) بديهيًّا لا يحتاج التعليق:

ـ وتوقّع أيضًا على هذه الأوراق.

ـ أي أوراق يا (سماسم)؟!

أحضرت له أوراق كانت مجهزة لهذه اللحظة.

وطرقات الجيران لا زالت مستمرة.

"افتح يا أستاذ (سيد)، ما الذي حدث؟، لقد سمعنا صوت رصاص، افتح".

ـ هذه الأوراق.

نظر الزوج إلى الأوراق وقال مندهشًا:

ـ أيتها اللعينة، لقد خططتِ لكل شيء، لقد كان هذا فخًا منصوبًا لي، كنتِ تنتظريني.

ثمَّ أمسك يدى الميتة وتركها قائلًا:

ـ وهذا الرجل!!، يا إلهي!، ضحيتِ بعشيقكِ من أجل الحصول على ما تريدين، لكن يبدو أنكِ لا تعانين من أزمة في عدد العشاق، إذا مات واحد فهناك عشرات، لكن، ماذا لو أنني أطلقت الرصاص عليكِ بدلا منه؟!

- "افتحوا الباب، وإلا حطمناه".

ـ هل ستوقع على الأوراق يا (سيد)؟ أم أفتح لهم الباب وتدخل السجن؟

❋❋❋

رحل (سيد) بعد أن نفذ ما أمرت به (سماسم)، فتح للجيران وخرج أمامهم، سألوه:

ـ ما الذي حدث؟!، سمعنا صوت رصاص.

ـ كان صوت تلفاز، لا تقلقوا، نحن بخير.

ـ إلى أين أنت ذاهب؟!

لم يرد، وهبط الدرج، قال أحد الجيران لمن حوله:

ـ لا بد أنه قتلها، أنا متأكد أني سمعت صوت الرصاص، إنها امرأة لعوب، لا بد أن ندخل الشقة، سوف نجد جثتها، وربما جثة عشيقها أيضًا.

في تلك اللحظة خرجت لهم (سماسم) بكامل ملابسها وبكامل صحتها لتطمئنهم على نفسها وتشكرهم على الاهتمام، بينما كنت أنا بالداخل أرتدي ملابسي، لقد أديت دوري كعاشق ميت على أكمل وجه، وحصلت على بقية أتعابي من الزوجة.

سأنتظر قليلًا حتَّى لا أقابل (سيد) على الدرج، أعلم أنها نصحته أن يهرب بعيدًا وأنها تظاهرت بأنها تتصل بأخيها (عطوة) أمامه، لكي تحثه على الانصراف سريعًا حتَّى لا يتقابل الاثنان، قالت له (اهرب بسرعة يا (سيد) قبل أن يصل أخي. وغدًا تنفذ المطلوب منك وتسجل عملية البيع وترسل ورقة الطلاق، وإلَّا سوف نسلم سلاح الجريمة للشرطة ونبلغهم بمكان دفن الجثة)، وطبعًا لم تتصل بأخيها؛ لأنه لا توجد جثة من الأساس، أنا ما زلت حيًّا كما ترون، ربما لا يعلم أخيها أي شيء عن هذه الخطة الجهنمية، وربما الذي اتصل بي واتفق معي على المهمة هو العاشق الذي ستعيش معه الفترة القادمة.

انصرف الجيران، كُل عاد إلى شقته، وأغلقت (سماسم) باب شقتها، خرجت أنا من غرفة النوم بكامل ثيابي متأهبًا للخروج، فوجئت بها تخلع ملابسها مجددًا، لا، لم تخلع كل ما ترتديه، لا تسيئوا الظن بها، لا زال هناك غطاء رأس عليها.

ـ إلى أين؟!، ألن تنتظر قليلا لنطمئن أن (سيد) قد غادر العمارة؟!، لا نريد أن يراك أمامه فتفشل الخطة تمامًا.

ـ اطمئني، لا بد أنه غادر المحافظة نفسها الآن.

ـ حسنًا، فلتنتظر لأعد لك وجبة تغذيك، لا بد أن الموت قد أرهقك.

تلك المرأة اللعينة تمتلك روح دعابة!، قلت:

ـ لا شكرًا، عندي مهام أخرى.

سألتني باهتمام:

ـ بنفس الطريقة؟!

أجبتها قائلًا:

ـ أحيانًا.

ـ ألن تعطيني رقمك؟! لأتصل بك، إذا احتجتك مرة أخرى.

ـ الرقم مع الشخص الذي اتصل بي من أجل هذه المهمة.

وخرجت على الفور، وقابلت على الدرج ذلك (الشخص) الذي دفع لي مقدم الأتعاب، سألني:

ـ هل هي بالأعلى؟!

ـ نعم.

لا بد أنه العاشق المتيم، بالتأكيد اتصلت به فأتى على الفور، إن هذه المرأة لا تضيع وقتها أبدًا، نظرت في ساعتي، ثمَّ اتجهت إلى المهمة التالية، مهمة (الميت الشبح).

***

طرقت الباب، كان الوقت متأخرًا، لا بد أن الذي يطرق الباب في هذه الساعة المتأخرة يحمل أمرًا هامًا وضروريًّا وعاجلًا، أو أنه من أصحاب البيت، إن لم يكنْ الأمر كذلك فسوف يتلقى لومًا شديدًا وربما صفعات ولكمات وركلات.

فتح الباب رجل في الخمسين من عمره، سألني:

ـ من أنت؟! وماذا تريد؟!

سألته بجدية:

ـ هل أنت الأستاذ (عبد العزيز عبد الشكورعلى محب سعيد الراوي)؟

ـ نعم.

ـ الشبح طلب مني أن أسلمك هذه الرسالة.

سألنى بقلق:

ـ (الشبح)!!، من؟! ماذا تقصد؟!، وأي رسالة؟!

أخرجت المسدس من جيبي وأطلقت الرصاصة.

***

(6)

لا، لم أقتله، أنا لست قاتلًا أجيرًا.

مهنتي هي الموت، وليس القتل.

انفجر كيس الدم الذي علقته على صدري، ظن الرجل المسكين أنني انتحرت أمام باب شقته في هذا الوقت المتأخر، راح يلطم خديه وهبط نحو جثتي وهو يسألني:

ـ لماذا فعلت في نفسك هكذا يا ولدي؟! وإن كنت راغبًا في الانتحار ألم تجد مكان أفضل من باب شقتي تموت أمامه؟!

صعدت أنفاسي الأخيرة. تركني الرجل أمام باب شقته ودخل ليتصل بصديقه لينقذه من هذه الورطة، ربما يسديه النصيحة، ربما راح يتصل بالإسعاف أيضًا، من يدري؟! ربما اتصل بالشرطة ليبلغ عن جريمة انتحار يظن أنهم سوف يصدقونه، في الواقع أنا لا أعلم بمن اتصل، لأني انتهزت فرصة دخوله وغادرت المكان، طبعًا يمكنني تخيل عودته لمكاني. وأتخيل الدهشة التي سوف تجتاحه عندما لا يجد جثتي، وعندما يخبر صديقه بما رآه لن يصدقه، من سيصدق أن هناك رجل غريب طرق بابه ليلًا ليتأكد أنه هو ثمَّ يقوم بالانتحار أمامه؟!، وقبل ذلك يقول جملة أن الشبح أراد أن يسلمه هذه الرسالة، من الشبح؟! وأين المنتحر؟! لا بد أن المنتحر هو نفسه الشبح!، شبح يطرق الباب ليلا ثمَّ يختفي، لا يوجد تفسير آخر!

***

عُدت إلى منزلي بعد انتهاء هذه الليلة الطويلة، ليس منزلًا بالمعنى الحرفي للكلمة، إنه مكان مؤقت أبيت فيه، ثمَّ انتقل منه لسكن آخر في وقت آخر.

سمعت رنة هاتف تصدر من غرفة النوم، لا بد أن خطيبتي تتصل من الهاتف الآخر، لقد تركته هنا حتَّى لا تسبب ارتباك لي أثناء العمل، استقبلت المكالمة وقلت لها بصوت هادئ حنون:

ـ أهلًا حبيبتي، لقد افتقدتك كثيرًا.

ـ وأنا أيضًا، أين كنت؟!، لقد اتصلت عليك مرارًا.

ـ آسف يا حبيبة القلب، لقد نسيت الهاتف في المنزل وخرجت ولم أعد إلَّا الآن.

ـ أين كنت كل هذا الوقت؟!

ـ في العمل، أنا رجل أعمال، ولا بد أن أدير كل شيء بنفسي، وإلَّا تعطل العمل.

ـ هل ستغيب كثيرًا بالخارج أثناء الليل هكذا بعد زواجنا؟!

ضحكت قائلًا:

ـ لا طبعًا يا حبيبتي، بل أنني لن أغيب كثيرًا أثناء النهار أيضًا، ربما لا أخرج أصلًا، حتَّى لا تفارقني عيناكِ.

ـ كلامك جميل! لا أشبع منه.

ـ بل أنني العاشق الذي لا يشبع من صوت حبيبته ولا من نظراتها ولا من أنفاسها الحارة ولا من...

ـ توقف، ربما يسمعك أحد.

ـ أنا أريد أن يسمع العالم كله أنني أحبك وسأظل أحبك أبد الدهر.

ـ متى ستأتي؟!، لقد اشتقت إليك كثيرًا.

ـ غدا الجمعة، أقصد اليوم الجمعة، إن ساعتي الجغرافية ليست على ما يرام الآن، لقد أصبحنا في (الغد).

ـ سأنتظرك من الآن، متى ستأتي بالضبط؟

ـ أريد أن آتى حالًا، في هذه اللحظة، أتمنى أن أكون بجوارك الآن لأقوم بـ....

قاطعتنى قائلة بمرحٍ:

ـ توقف يا قليل الأدب.

ـ أوامرك، حاضر، سأتوقف، لكن عندما أراكِ لا أضمن نفسي.

ـ يا مجنوووون.

ـ مجنون بكِ يا (وفاء)، أنا مجنون (وفاء).

ـ ألم يكفيك ما فعلته في المرة الماضية؟!

ـ لا، لم أكتف.

انتهت المكالمة فجأة، هل الشبكة ضعيفة؟ أم انتهى شحن بطارية هاتفها؟ أم انتهى رصيدها؟، أم أنهت المكالمة بسبب دخول أمها أو أبيها لغرفتها؟! فالوالد من جيل الآباء القدامى الذي لا يقبل فكرة أن تحادث ابنته خطيبها في منتصف الليل، أب لا يناسب عام 2049.

سمعت الرنة مجددًا، يبدو أنها تعاود الاتصال، لكني أريد أن أنام، لذا ألقيت بالهاتف المحمول في سلة المهملات.

***

طرقت باب منزل خطيبتي، فتحت أمها الباب، لا يمكن أن تفتح (وفاء) الباب لأي أحد أبدًا، مهما كان السبب، إن أبيها شديد الصرامة.

رحبت بي أمها ودخلت إلى غرفة الصالون، دخل والدها ليجلس معي لمدة

ساعة تقريبًا، تحدثنا في مواضيع شتى. يسألني للمرة المائة عن عائلتي وأهلي، وأخبره للمرة الألف أنهم سيأتوا لزيارتهم قريبًا.

تحملت الجلوس معه منتظرًا دخول خطيبتي، كان لا بد من هذه الساعة المعتادة تمهيدًا لدخولها، ويكفي أنه قد وافق على أن نجلس بمفردنا بعد ذلك، هذا تنازل كبير منه، لقد كان مصرّا في البداية على أن يجلس جميع أفراد أسرته معنا، لكن أمها أقنعته بضرورة أن نجلس بمفردنا، وافق بعد إلحاح شديد من زوجته.

دخلت خطيبتي وهي تحمل أكواب عصير البرتقال على صينية فاخرة، تحسست يديها برومانسية وأنا أحمل الصينية عنها، ابتسمت في خجل وجلست على المقعد المجاور لي، قلت:

ـ اقتربي، اجلسي بجواري.

ابتسمت وقالت:

ـ أنا بجوارك بالفعل، أين سأجلس؟!

ـ أريدك أن تجلسي معي على نفس المقعد.

ضحكت (وفاء) بهدوء حتَّى لا يسمع أبيها صوت ضحكتها، فهو يرى أن الضحك العالي قلة أدب وسفالة ووقاحة.

ـ أين؟!، إن المقعد لن يسعنا سويًّا.

ـ فلتجلسي على حجري إذن.

كتمت ضحكتها حتَّى لا تنطلق عالية وقالت:

ـ توقف.

وضربت ركبتي بيدها بمنتهى الرقة، انتهزت الفرصة وأمسكت يدها وقبّلتها قائلًا:

ـ لقد افتقدتك جدًا يا (فوفا).

نظرت إليّ بعينيها الجميلتين وقالت:

ـ أنت أكثر يا (وليد).

نعم، اسمي (وليد). ألم أخبركم بذلك بعد؟!

ـ كيف حالكِ؟

ـ حياتي عذاب وأنت بعيد عني، أنتظر ذلك اليوم الذي أكون فيه معك، أكره هذا البيت الذي أعيش فيه، أكره أوامر أبي. أكره نصائح أمي، أكره تسلط أخي الكبير، أكره مزاح أخي الصغير.

ـ وأنا أكره الحياة بدونك، وأريد أن أتزوجك في هذه اللحظة.

قبّلت يدها مجددًا، ثمَّ اقتربت من وجنتها لأسرق قبلة سريعة، تراجعت للوراء وقالت:

ـ انتظر، ربما يرانا أحد.

قلت لها بضيق:

ـ لقد مللت هذا.

ـ تحمّل يا حبيبي، إن أبي صارم جدًا كما تعلم.

ـ نعم، ولولا أنني أحبك لرفضت هذه القوانين، كيف يمنعنا من الخروج سويًّا؟! في أي عام نحن؟ عام 2020 أو 2030. لقد تطور الزمن كثيراً، نحن في عام 2049 يا عزيزتي.

ـ لا تغضب أرجوك، قريبًا سنتزوج وسأصبح معك طوال الوقت.

ـ أنا أنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر، فعندما أراكِ لا أستطيع السيطرة على نفسي.

ابتسمت بخجل واحمر وجهها بشدة أما أنا فقد تابعت قائلًا:

ـ أريد أن أفعل أشياء، ولا أستطيع.

أثارت الجملة انتباهها فسألتني باهتمام:

ـ ما الذي تريد أن تفعله يا (دودي)؟!

اقتربت منها وقلت هامسًا:

ـ ألن تغضبي مني لو أخبرتك يا (فوفا)؟

ـ لن أغضب منك أبدًا مهما حدث.

شجعتني جملتها على البوح بمطلبي الخاص جدًا، قلت:

ـ حسنًا، سأخبرك.

***

(7)

اقتربت من خطيبتي (وفاء) وهمست في أذنها بمطلبي الخاص، أحمرّ وجهها أكثر وقالت:

ـ يا قليل الأدب.

ظلت صامتة لدقائق، لم تنطق بكلمة، يبدو أنني قد تجرأت كثيرًا في الحديث معها، قلت لها معتذرًا:

ـ أنا آسف، لم أكن أعلم أنكِ ستغضبين هكذا!

لم تنبس ببنت شفة، يبدو أنها أدركت في تلك اللحظة أن أبيها كان محقًا في كل كلمة يقولها، هل تفكر الآن في طردي من بيتها شر طردة؟!، لا أستبعد هذا الاحتمال، نهضت من مكانها بهدوء واتجهت نحو الباب، قلت:

ـ إلى أين؟، أنا آسف، أرجوكِ، عودى إلى مكانك، أنا سحبت ما قلته، لا أحتاج في هذه الدنيا سوى نظرة من عينك فقط.

طلبت مني الصمت بإشارة من يدها، واستمرت في سيرها نحو الباب، فوجئت بها تنظر للخارج تستطلع الجو، ثمَّ تُحرك الباب قليلًا من مكانه، كأنها على وشك إغلاقه، ما هذا؟!

ثمَّ عادت إلى مكانها بعد أن تركت الباب مواربًا بمسافة صغيرة جدًا، أصبح شبه مغلق، سألتها:

ـ ما هذا؟!

ابتسمت بكل حب وعشق وتهور وجنون وقالت:

ـ سأنفذ لك ما أردت.

لم أصدق نفسى، فوجئت بها ترفع غطاء رأسها عند صدرها قليلًا لتستطيع الوصول إلى أول زر فى بلوزتها وراحت تفك الأزرار الضرورية لما تنوى فعله و..

(قام المؤلف بحذف هذا الجزء حتى لا يخدش حياء القارىء).

ثمَّ فجأة.

دخل أبيها الغرفة في نفس اللحظة وكانت هناك ابتسامة هادئة تعلو وجهه، ثمَّ رأي كل شيء!، اختفت الابتسامة تمامًا من وجهه فجأة.

عدّلت (وفاء) من ملابسها وقد هرب الدم من وجهها ومن جسدها كله، تفكر في مائة احتمال مفزع، قال الأب وقد تحطمت أمور كثيرة بداخله:

ـ يا سافل، يا قليل الأدب.

نهضت من مكاني وقلت:

ـ انتظر يا عمي، سأشرح لك كل شيء.

اقترب الرجل مني أكثر وهو يلوح بيده في الفراغ وصوته يزداد علوا، أمها حضرت على الصوت العالي وسألت بانزعاج:

ـ ماذا حدث؟!

ـ تعالي يا هانم، انظري لابنتك التي ربيتها، واسأليها ماذا كانت تفعل مع خطيبها.

ـ يا عمي، انتظر واسمعني، سأشرح لك كل شيء.

ـ لن أسمعك، أنا سأشرب من دمك، سأقتلك.

كانت النافذة خلفي مباشرة، فتحتها بسرعة، وسط دهشة الجميع من تصرفي، رفعت جسدي إلى النافذة وجلست على إطارها قائلًا:

ـ هل ستسمعني أم ألقى بنفسي من النافذة؟

ـ هل تظن أنني سأخاف من تهديدك هذا يا جبان؟!

قالت (وفاء) بمنتهى الذعر:

ـ انزل يا (وليد)، أرجوك، ربما تقع.

لم تكمل جملتها، أو ربما أكملتها ولم أسمعها، لأنني قد سقطت بالفعل.

من الدور الخامس.

***

لم أشعر بأي آلام، كالعادة، ربما لا أستطيع السير الآن، ربما لا أستطيع تناول الغداء بيديّ اليوم، إن السقوط الحر من الدور الخامس يسبب الموت لجميع البشر، أما أنا حالة خاصة جدًا كما تعلمون، لذا لا تجربوا ذلك سواء في المنزل أو خارجه، أرجوكم.

ولا أنصح بترك هذه الرواية في متناول أيدي الأطفال والناشئين.

تجمع المارة حولي، رأوا الكثير من الدماء على الأرض وأطرافي في زوايا عجيبة جديرة بأفلام الرعب، تساءل البعض عن سبب سقوطي.

نظرت إلى نافذة (وفاء) في الدور الخامس، لا أستطيع الرؤية من هذه المسافة وخاصة أن الشمس تعكس نورها في بعض النوافذ، قلت:

ـ المستشفى، المستشفى.

تطوع أهل الخير من الواقفين بحملي إلى سيارة أجرة، وجلس بجواري أحدهم وجلس الآخر بجوار السائق.

ـ إلى أقرب مستشفى يا أسطى.

وعندما اقتربنا من المستشفى، تظاهرت بالموت، تحسس الجالس بجواري نبضي، وجدني جثة هامدة!

ـ ما العمل الآن يا (ممدوح)؟!، لقد مات الرجل.

نطق الرجل الآخر الجالس بجوار السائق والذي اتضح الآن أن اسمه (ممدوح):

ـ هل أنت متأكد أنه مات؟

ـ بالطبع، وإن كنت لا تصدقني تعالى وتأكد بنفسك.

ـ أوقف السيارة يا أسطى.

تأكد الجميع أنني قد فارقت الحياة بما فيهم الأسطى نفسه الذي سألهم:

ـ والعمل يا أساتذة؟ هل نذهب إلى المستشفى؟

ـ لا طبعًا، الرجل مات، لا يحتاج إلى مستشفى، يحتاج إلى قبر وتصريح دفن.

ـ ربما في المستشفي يستطيعون إنعاشه.

ـ وربما لا يستطيعون، ونكون قد ورطنا أنفسنا في مشاكل لا حصر لها، لا أعلم أين كان عقلي عندما تطوعت باصطحابه إلى المستشفى وأنا لا أعرف من هو!

ـ ألا تعرفونه؟!

ـ لا، لقد سقط من العمارة التي نسكنها لكننا لا نعرف من هو.

ـ حسنًا، أعيدوه إلى نفس المكان، سوف تجدوا أهله يسألوا عنه.

ـ لكننا لا نعرف أهله، وربما ليس من ساكني العمارة. ربما كان زائرًا.

ـ حتَّى لو كان زائرًا، فبالتأكيد الناس الذين كان يزورهم في غاية القلق عليه، لذا نعود إليهم ونسلمهم جثته.

ـ وماذا لو أنه كان من عمارة أخرى؟!، أو دخل عمارتنا عن طريق الخطأ؟!. ماذا لو أنه رجل قرر أن ينتحر من سقف عمارتنا؟!. أو لصًا حاول سرقة إحدى الشقق فقفز من النافذة عندما ضبطه صاحب الشقة؟!، أو رجل كان يخون زوجة رجل آخر وانتحر هربا منه؟!

ـ يااااااه، كل هذه الاحتمالات!

ـ أقول لك، نحن لا نعرف أي شيء عنه، وأخشى أن نتورط نحن في جثته.

ـ و ما العمل الآن؟!

اِتفق الثلاثة على أن يضعوا جثتى بجوار سور المستشفى، ثمَّ يتصلوا من هاتف عمومي ويبلغوا المستشفي بوجود مريض بجوار السور، والمستشفى تتولى الأمر بعد ذلك، وعند عودتهم للعمارة إذا سألهم أحد سيقولوا أنهم قد أوصلوه للمستشفى وتركوه لأهله هناك.

تركونى وحيدًا، وعندما تأكدت أنهم ابتعدوا ولم يعد أحد فيهم يراني أخرجت هاتفي المحمول ونهضت من مكاني بسرعة، كنت أعرج قليلًا. اتصلت برقم معين ثمَّ أشرت إلى سيارة أجرة، ركبت فيها قبل أن يلمحني أحد الثلاثة.

ـ ألو.

ـ ألو، تمت المهمة بنجاح.

جاء صوت الفتاة الرقيق يحمل سعادة الدنيا كلها:

ـ حقًا؟ يااااه، أخيراً اِنتقمت منكِ يا (وفاء).

ـ وأشد انتقام!، لقد رأت خطيبها يموت أمامها، لقد تسببت لها في صدمة لن تنساها طول عمرها، وأبيها أيضًا.

ـ لا يهمني أبيها، (وفاء) هي المطلوبة، هي التي أخذت مني خطيبي ولم يعد

يرى سواها، فسخ خطوبتي وذهب إليها. وبعد فترة تركته محطمًا، لقد كره البنات جميعهن بسببها!

قلت ساخرا:

ـ سبب قوي جدًا للانتقام!

ـ لقد أسعدتني للغاية لا أعرف كيف أشكرك.

ـ أريد فقط باقي المبلغ كما اِتفقنا.

ـ سأعطيك باقي المبلغ، وعليهم قبلة كبيرة مني.

قلت ضاحكًا:

ـ فلنكتفي بالمبلغ فقط.

قالت ضاحكة:

ـ أنت رجل جاد يا أستاذ (وليد) أو أيا كان اِسمك!، لقد قمت بمهمتك في وقت قياسي ونفذت وعدك لي وأنا أقدّر الرجل الذي يلتزم بكلمته.

وهكذا انتهت مهمة (الخطيب الميت) يا سادة.

استغرقت كثير من الأيام لكنها انتهت أخيراً في تلك اللحظة.

نعم، خطوبتي كانت مهمة عمل، و(وفاء) كانت الهدف، واسمي ليس (وليد)، ألم أخبركم بذلك بعد؟!

***

كنت ذاهبًا إلى مهمة جديدة، أطلق عليها دومًا مهمة (الميت المتحمس) عندما جاءني اِتصال بمهمة أخرى، رقم ليس مسجلًا عندي، ربما سجلته من قبل ومسحته كالعادة بعد انتهاء المهمة القديمة، أو ربما يتصل بي لأول مرة.

ـ ألو.

ـ كنت أريدك في مهمة.

أحب الرجال الذي لا يضيعون وقتهم في التعارف والتأكد، (هل أنت الميت؟)، (هل أنت الشبح؟)، (هل أنت الرجل الخارق الذي لا يموت؟)، (هل اتصلت بالرقم الصحيح؟ كيف أتأكد أنك هو؟)، (هل أنت الرجل ذو السبع أرواح؟)، (هل أنت الجثة؟) إلخ، أجبته على الفور:

ـ ما هي المهمة؟

ـ الموضوع باختصار ستقوم بدور العشيق الذي على علاقة بزوجة رجل آخر، وتموت.

فهمت، إنها مهمة جديدة من مهام (العاشق الميت)، سألته:

ـ حسنًا، أين مسكن الزوجية؟ ومتى سيأتي الزوج بالضبط ليضبطنا؟

ـ لا، الموضوع ليس هكذا.

ـ كيف؟

ـ حسنًا، سأشرح بتفاصيل أكثر.

ـ تفضل.

***

(8)

قال المتصل / العميل:

- إن الزوج يعلم جيدًا بخيانة زوجته، وجد أدلة أكدت له الموضوع. ولقد واجهها واعترفت أنها خانته مرة واحدة فقط. لكنها لم تعترف أبدًا باسم العشيق، بالتأكيد تخشى على روح حبيبها، لا تريده أن يُقتل، وتخشى دخول زوجها السجن إذا قتله. هي لا تريد أن تكون مطلقة أو أرملة، لذا ستكون أنت العشيق وسوف ينتقم الزوج منك أنت.

ـ ألا تخشى أن يقتلها بعد أن يقتلني؟!

ـ بعد الشر عليها، هي متأكدة من حب زوجها الشديد لها، لن يقتلها أبدًا، ربما يقتل هذا العشيق فقط، ثمَّ إنها اِعترفت له أنها خانته مرة واحدة فقط في لحظة ضعف، ومتأكدة أنه قد سامحها، فلماذا يقتلها إذن؟

ـ أظن أنك أنت العاشق الحقيقي؟

ـ ليس هذا من شأنك.

ـ حسنًا، كيف سيعرف الزوج أنني العشيق طالما أنها كانت مرة واحدة ولن تتكرر؟!

ـ إنه يضربها كل يوم لتعترف باسم العشيق، وفي إحدى المرات سوف تنهار وتخبره باسمك ومكان سكنك.

ـ لكنك لا تعرف اِسمى ولا مكان سكني، ولن أخبرك بهم.

ـ لا تقلق من هذه الأمر، المكان موجود واسمك جاهز، فقط ستجلس هناك في العنوان الذي سأخبرك به وستجد المفتاح في مكان أمين تفتح الباب وتنتظر أن يأتي الزوج ليقتلك، هذا هو المطلوب منك.

ـ فهمت، سأكون (كبش فداء).

ـ بالضبط يا (مراد).

ـ (مراد)!، أهذا هو الاسم الذي اخترتموه لي؟!

ـ نعم، وسنترك لك حرية اِختيار باقي الاسم.

ـ ومتى سيأتي الزوج لقتلي؟

ـ لا أعلم، بالتأكيد لن نسأله (متى ستنتقم لشرفك يا كابتن؟)، لذا من الأفضل أن تقيم في هذه الشقة هذه الأيام حتَّى موعد قتلك، هي ستخبر زوجها هذه الليلة بالاسم كاملًا، طبعًا بعد أن تخبرنا أنت بالاسم الذي ستخترعه لنفسك، وسوف نتفق مع بواب العمارة أنك صاحب الشقة، ونخبره بالاسم كاملًا أيضًا، ربما يسأل زوجها البواب عن الاسم للتأكد.

ـ هل تريدون صورة لي ليعرف الزوج أنني العشيق؟!

ـ لا، المفروض أنها أخبرت زوجها أنها لا تحبه، كانت لحظة ضعف منها، استسلمت لشهوتها وندمت على ذلك بعدها ولن تكررها لذا من المنطقي ألَّا تحتفظ بصورة له، وإلَّا كان معنى ذلك أنها لا تزال مغرمة به ومستمرة في الخطيئة وسنزرع الشك أكثر بداخل الزوج، وهذا ليس مطلوبًا أبدًا لقد سامحها لا نريده أن يقتلها بالتأكيد، أما بالنسبة للعشيق، فلا نضمن النتائج. ربما يقتله أو لا، سوف تخبر زوجها بالاسم بعد أن تحصل على وعد منه بعدم التعرض له، خوفًا من السجن وليس خوفًا على حياة العشيق، لكن الاحتمال الأكبر أنه سيقتله.

ـ لكن هناك احتمال ألَّا يفعل.

ـ بالضبط، لذا ستنتظر في الشقة هذه الأيام، إما أن يأتي لقتلك أو لضربك ضربًا مبرحًا، أو ربما يتحدث معك ليتأكد أنك لست مستمرًا في العلاقة، أو ربما يسامحك ولا يزورك أبدًا وينسى خطيئة زوجته، كل الاحتمالات واردة.

ـ بهذه الطريقة أنت تطالبني بالمكوث في الشقة لمدة طويلة، وأنا لدي أعمال كثيرة بالخارج!

ـ يمكنك أن تذهب لتأدية هذه الأعمال ثمَّ تعود إلى الشقة، بالتأكيد أنت لا تعمل 24 ساعة، في وقت الراحة تعود إلى هذه الشقة بدلًا من شقتك.

ـ ربما يأتي أثناء وجودي بالخارج ولن نعلم.

ـ سيخبرنا البواب بكل شيء، ثانيًا: لو أنه مصمم على الانتقام فبالتأكيد سينتظر رجوعك أمام باب الشقة أو ربما داخل الشقة نفسها.

ـ سوف تخبره الليلة؟!، هذا يعني أنه سينتقم غدًا.

ـ أو ربما ينتقم فور إخباره بالاسم والعنوان، لا أحد يدري!

ـ وربما يفضل أن يكون الانتقام (على طبق بارد) كما يقولون، لذا سيأخذ وقتًا طويلًا جدًا.

ـ حسنًا، بعد أيام سترحل من الشقة ونقول أنك غادرت البلاد، وبهذا يكون قد ضيع فرصة الانتقام بنفسه.

ـ ولماذا لا تقولون ذلك من الآن؟!

ـ ألا تريد القيام بالمهمة؟!

ـ لا، فقط أسأل.

ـ أولًا: نريده أن يقتلك ليطفئ نار الانتقام داخله ويعيش مستريح البال، ثانيًا:

لو علم أنك سافرت سيظن أنها حذرتك وأنها لم تخبره باسمك إلّا بعد سفرك، هل هناك أي أسئلة أخرى؟!

ـ لا.

وكانت هذه مكالمة لمهمة جديدة، أطلق عليها اِسم (الميت الكبش). قمت بتسجيل رقم العميل تحت اسم (كبش ع مراد). فأنا لا أعرف موعد المهمة لأسجله. وطبعا (ع) اختصارا لكلمة (عاشق).

مهمة (الميت الكبش) قمت بها كثيراً ولكنها تختلف في التفاصيل عن بعضها البعض في كل مرة، فهناك (الميت الكبش / العاشق)، كما رأيتم في هذه المكالمة (كبش ع مراد) هناك أيضًا (الميت الكبش / القاتل) عندما أموت بدلًا من القاتل الحقيقي وأثبت لأهل القتيل أنني القاتل بأدلة يزرعها القاتل بنفسه في مسرح الجريمة، أدلة تخصني ولا تخص أحدًا غيري، وطالما أن أهل القتيل مصرّين على الثأر والانتقام فأنا جاهز لأداء دور القاتل، ليفرغوا غضبهم في شخصى، ويعيشون حياتهم في هدوء وراحة نفسية بعد ذلك، لا يعلمون أن روح القتيل ما زالت هائمة تبحث عن الثأر من قاتلها الحقيقي لا القاتل المزيف / الكبش. هناك أيضا (الميت الكبش / المغتصب)، عندما يقوم ذئب حقير باغتصاب فتاة، ويسعى أهل الفتاة للبحث عن هذا الذئب للانتقام لشرفهم، لا مانع من القيام بهذا الدور طالما أن المبلغ كبير لا يهمني أي شيء بعد ذلك.. فليقتلوني.. لديّ ألف حياة، فليعذبوني.. لا أشعر بأي ألم، فليفعلوا ما بدا لهم والحساب يجمع والعميل سيدفع، إن الحديث سيطول إذا تحدثنا عن (الميت الكبش / اللص) و(الميت الكبش / الديلر) و..، و..، إلخ.. لذا سأكتفي بهذا القدر.

***

انتهيت من مهمة (الميت المتحمس) بسرعة، لم تستغرق وقتًا طويلًا. ثمَّ ذهبت إلى (مهمة الميت المنتحر) وعندما فرغت منها ذهبت إلى المطعم، وبعد الوجبة الدسمة ذهبت إلى موعدي المعتاد الخاص بمهمة (الميت الشبح).

كنت متنكرًا تنكرًا خفيفًا، من السهل التعرف على وجهي، نظرت في ساعتي، كان الوقت مبكرًا بخلاف الليلة الماضية. طرقت الباب ثمَّ فتحه نفس الرجل لأنه يعيش وحيدًا في شقته.

سألته نفس سؤال الأمس:

ـ هل أنت الأستاذ (عبد العزيز عبد الشكور على محب سعيد الراوى)؟

ـ نعم.

ـ الشبح طلب مني أن أسلمك هذه الرسالة.

حدق الرجل في وجهي عندما تذكر متى سمع هذه الجملة من قبل، وقال بغضبٍ:

ـ إنه أنت! أتيت مرة أخرى لتسخر من رجل عجوز مثلي، قمت بتمثيلية سخيفة أمامي وتظاهرت بأنك قد مُت، وأنا صدقت إن الرصاصة حقيقية والدم حقيقي.

واندفع نحوي ليضربني، لكني أخرجت المدية من جيبي بسرعة، فتراجع للوراء وقال بذعر:

ـ أنا آسف، ماذا تريد يا بني؟! هل تريد مالا؟!، أرجوك لا تقتلني.

ـ لا أريد مالًا، أريد فقط توصيل رسالة الشبح.

وطعنت نفسي بالمدية التي أحملها، واندفعت نافورة الدم من بطني وغرقت ملابس الرجل، الذي وقف مذهولًا، لا يفهم ما يحدث أمامه، هل هي مزحة أخرى مثل مزحة الأمس؟! أم أن الرجل قتل نفسه حقًّا؟! هل هذا دم حقيقي أم مجرد سائل أحمر؟! هل يصرخ لطلب النجدة من الجيران أم يصمت حتّى لا يصبح مصدر سخرية الجيران إذا اِتضح في النهاية أنها مزحة؟!

سقطت أمامه على الأرض وأنا أتظاهر بالألم الشنيع جراء الطعنة، انحنى فوقي وهو مرتبك لا يدري ماذا يقول، هل يضحك على مزحتي الجديدة؟! أم يقلق على صحتي ويطلب الإسعاف؟!

تحسس الجرح والدم، ثمَّ لمس المدية بأصابعه إن كل شيء حقيقي، هذا الرجل زاره اليوم ليطعن نفسه أمام باب شقته.

ـ لماذا يا ولدي؟!

لا بد أنه يسأل نفسه ألف سؤال، أهمهم (لماذا ينتحر أمام شقتي وبهذه الطريقة؟! لماذا لا يقفز من فوق الكوبري؟ أو أمام سيارة؟ أو من سطح عمارة؟ أو يشنق نفسه بحبل في منزله؟ لماذا يطرق باب شقتي أنا بالذات؟! لماذا اختارني من بقية سكان العمارة؟! هل يعرفني؟ ومن هو هذا الشبح؟ وما هي الرسالة التي يريد توصيلها بانتحار شاب كل يوم أمام منزلي؟ وهل هو نفس الشاب؟ وهل انتحر حقا؟)؟

لفظت أنفاسي الأخيرة، لم يتصل بأحد إلَّا بعد التأكد من موتي، فربما أنهض مثل البارحة وأختفى تمامًا.

”ـ لقد جاء نفس الرجل الذي جاءنى البارحة، لقد قتل نفسه مرة أخرى أمام باب شقتي، ولكن هذه المرة طعن نفسه بمدية“.

لا بد أن هذا ما قاله في المكالمة، لم أسمعها ولكن سهل تخمينها، وطبعًا عندما عاد لمكان جثتي لم يجدها كالعادة، لقد صار الأمر مملًا.

الدماء التي تلوث ملابسه ستؤكد له أنه لم يكنْ يتوهم، وستكون دليلًا قويًّا على صدق حكايته حتَّى لا يتهمه أحد بالجنون إذا فكر في البوح لأحد بهذه المشكلة الغريبة.

***

"سنقوم بتكفينك لتحل محل الجثة التي أخذها طلبة كلية الطب، فقط لنثبت لأهل المتوفي أننا لم نسرق الجثة، إنهم يشكّون فينا".

قالها المتصل فضحكت قائلًا:

ـ معهم حق في هذا الشك.

ـ أسبقنا إلى المقابر.

ـ حسنًا، لا تتأخروا.

ذهبت لأنفذ مهمة (ميت في الكفن) وأنقذ التُربي من أيدي أهل المتوفي، المفروض أنه سيقوم بتكفيني قبل وصولهم. وطبعًا لن يكشفوا وجهي، يكفي خروج الجثة من نفس القبر وسوف يصدقون.

وطبعًا يمكنني كتم أنفاسى داخل الكفن، أظن أنكم صرتم تعرفون ذلك جيدًا!

لكن ما لا تعرفونه أنه في تلك الساعة حدث شيئًا غريبًا لم أتوقع حدوثه، ونتج عن ذلك أهم وأغرب حدث في حياتي.

***

(9)

كنت سائرًا بين المقابر باحثًا عن المقبرة المفتوحة التي أخبرنى بها التُربي عندما سمعت الصوت!

يا إلهي! هل هذا حقيقي؟! كان صوت أنثى تستغيث.

"النجدة، انقذونى، افتحوا".

الصوت حقيقي، أنا لا أتوهم، هرولت بسرعة متتبعًا مصدر الصوت، إنه صادرًا من أحد المقابر، أنثى حية داخل مقبرة. هل هذا معقول؟! هل دفنوها حية؟!

اقتربت من الصوت أكثر واستطعت تمييز المقبرة التي يصدر منها الاستغاثة، قلت بسرعة لأهدأ من روعها، لا بد أنها ستموت من الرعب بالداخل، إن البشر العاديين لا يطيقون القبر أو سيرته حتَّى، لا أعلم السبب!

ـ سأفتح لكِ، اطمئني، سأخرجك.

لم تهدأ، لكن فرحة غامرة ظهرت في صوتها، كانت تقول:

ـ أرجوك، افتح بسرعة، أرجوك، لا تتركني.

كانت المقبرة مغلقة بباب حديدي عليه قفل، بحثت في جيبي وجدت المدية التي قتلت نفسي بها منذ قليل، حاولت معالجة القفل بالمدية لم أستطع فتحه.. بحثت حولي عن أي قالب طوب أحمر، استخدمت واحدًا وضربت القفل به عدة مرات، وسط صرخات الأنثى التي لا تهدأ.

ـ كيف دخلتِ هنا؟! ما الذي حدث؟!

ـ لا أعلم، أرجوك افتح، افتح.

بكائها يتواصل وصرخاتها المرعوبة لا تتوقف، إن النساء يصرخن إذا انقطعت الكهرباء فجأة ليلًا، فما بالك وهي محبوسة الآن في مكان مظلم تمامًا، القبر؟!

انفتح القفل أخيراً.

وهنا رأيتها.

***

هل هناك مكان أجمل من القبر لتقابل فيه حب حياتك؟!

***

مددت يديّ لها من خلال باب القبر، تشبثت بها بكلتا يديها، رفعتها واستطعت إخراجها، كانت في حالة انهيار تام، تبكي بطريقة متواصلة دون توقف.

ـ ما الذي حدث؟

تبكي ولا ترد، سألتها:

ـ من أنتِ؟، أين تسكنين؟، هل اتصلت بأي أحد؟ هل معك هاتف؟ بمن أتصل؟.

مستمرة في البكاء وجسدها ينتفض بين لحظة وأخرى، لا بد أنها عاشت لحظات قاسية مروعة بالداخل، لا أعلم كيف حدث هذا، ما سبب وجودها داخل قبر؟

كانت ترتدي ملابس، لا ليس كفن، إن كنت تظن أنها دُفنت حية، لقد كانت ترتدي بلوزة زرقاء وبنطلون جينز أزرق غامق، شعرها المنكوش يغطي وجهها فلا أستطيع رؤية ملامحها، كانت في حالة سيئة جدًا، من الطبيعي لأنها خرجت لتوها من قبر!

ضممتها إلى صدري محاولًا تهدئتها وبث الطمأنينة إلى قلبها، كنت أخشى أن

تعترض لكونها فتاة وأنا رجل غريب لا تعلم عني شيئًا، لكنها استسلمت وتركتني أحتضنها، ثمَّ بعد ثوان قليلة تلفتت حولها بذعر ونهضت قائلة:

ـ أريد أن أرحل من هنا، لا أريد أن أبقى لحظة أخرى هنا.

ـ حسنًا، إلى أين ستذهبين؟

ـ لا أعلم.

ـ من أنتِ؟

ـ أنا (سالي) هل يهمك اسمى؟، أخرجنى من هنا حالًا.

ـ كنت أسأل لأتأكد أنكِ لم تفقدى الذاكرة.

ـ لا، ذاكرتي بخير، أخرجنى من هنا فورًا.

ـ حسنًا، إلى أين تريدين الذهاب؟

ـ لا أعلم، المهم أن أغادر هذا المكان فورًا.

ـ كيف دخلت إلى هذا القبر؟

ـ لا أعلم.

ثمَّ أمسكت يديّ وقالت:

ـ أرجوك، أخرجني من هنا.

ونفذت لها ما طلبت، سألتني:

ـ هل معك سيارة؟

ـ نعم.

ـ أين؟

ـ تركتها في مكان بعيد.

ـ حسنًا، هل يمكن أن تقلني إلى مكان آخر غير هذا المكان؟

ـ ولكن، أنا لديّ عمل هنا.

ـ عمل هنا، أين؟!

غمغمت قائلًا:

ـ هنا.

تلفتت حولها باحثة عن أي مبان، لا تعرف أن عملي كان في المقابر، قالت:

ـ لا أرى شيئًا.. حسنًا.. سآتى معك إلى مكان عملك وعندما تنتهي منه سنغادر سويًّا، لكن لا تتركني وحيدة في هذا المكان.

ـ لكن، لا يمكن أن...

ـ ماذا؟

ـ في مكان عملنا، ممنوع اصطحاب السيدات.

ـ لماذا؟

هززت كتفي قائلًا:

ـ أوامر المدير.

ـ أين تعمل بالضبط؟!

لا أستطيع أن أخبرها بحقيقة عملى، إنها فتاة خارجة لتوها من قبر، أخبرها أن عملي هو أن أدخل مكانها إلى القبر!، مهمتى أن أرتدي كفن وأتظاهر أنني جثة!، بالتأكيد لن تستوعب مثل هذه الأمور، قلت لها:

ـ حسنًا، يمكنك أن تنتظري هنا داخل السيارة حتّى أنتهي من عملي.

ـ لا، لا تتركني وحيدة في هذا المكان المخيف، أرجوك.

ثمَّ فوجئت بها تحتضنني وتتشبث بي كأنها تستمد الأمان مني، كان عقلي مشتتًا بين العمل وبينها.

ثمَّ اتخذت قراري.

***

قدت سيارتي وغادرت المكان، كانت تجلس على يميني، أزاحت شعرها عن وجهها فظهر جزء كبير منه، لكن التراب والطين أخفي كثيرًا من ملامحها، تحتاج إلى حمام ساخن والنوم بعمق، لكن بالتأكيد الكوابيس ستطاردها هذه الليلة وربما ليالي قادمة.

ـ إلى أين؟ أين تسكنين؟

ـ أسكن في..

قاطعها صوت هاتفي المحمول، إنه العميل الخاص بمهمة (ميت في الكفن)، ماذا أقول له؟!

ـ آسف جدًا، لن أستطيع.

ـ ماذا؟

ـ الطريق مزدحم جدًا وأنا بعيد عن المكان.

ـ ماذا أفعل الآن؟!، أرجوك، تعالى بسرعة، سوف يذبحوني إذا لم يجدوا الجثة، أو وجدوا القبر خاليًا.

ـ ليست مشكلتي، أنت ورطت نفسك في هذا الأمر فلتتصرف، سلام.

وأنهيت المكالمة، التفتت (فتاة المقابر) نحوي وسألتني:

ـ ما الذي حدث؟! هل تسببت لك في مشاكل؟!

ـ لا، لا تشغلى بالك، المهم إلى أين تريدين أن أقلك؟

ـ لا أعلم.

ـ أليس لك بيت تعودين إليه؟

ـ لي، ولكن.

ـ ماذا؟

ـ أخشى أن أعود إلى هناك فأجدهم.

ـ من هؤلاء؟

ـ الذين حبسوني داخل القبر.

❊❊❊

(10)

أخبرتنى أنها تعمل صحفية في جريدة شهيرة تدعى (القيل والقال)، تتناول القضايا المهمة في البلد، ولقد استطاعت بواسطة مصادرها السرية أن تفجر قضايا كبيرة أثارت الرأي العام، وصنعت لنفسها خصومًا من أشرس المجرمين في البلاد. ولا بد أن ما حدث لها الليلة كان جزاء نزاهتها وقلمها الطاهر الذي فضح الفساد الذي يملأ النظام من أسفله إلى أعلاه.

ـ ما الذي حدث بالضبط؟!

ـ كنت عائدة إلى منزلي، في طريقي المعتاد، عندما فوجئت بشخص يصطدم بي متعمدًا ثمَّ رأيت يده التي تحمل منديل تتجه نحو فمي، ثمَّ غبت عن الدنيا، وعندما استيقظت وجدت نفسي في مكان مظلم تمامًا، أصرخ بأعلى صوتي ولا أحد يجيب. خمنت أنه قبر من ضيق المساحة.

ـ يدفنوكِ حية، لا بد أنك قد أغضبتهم بشدة بسبب مقالاتك.

ـ لا تستهن بالمقالات، إنها مقالات موثقة بمصادر حقيقية مؤكدة، أنا لا أعمل في جريدة صفراء أنا أعمل في جريدة محترمة، (القيل والقال)، وتحت يديّ مستندات خطيرة وأدلة يمكن أن تدخلهم السجن جميعًا.

ـ أو تدخلك أنتِ إلى القبر.

أشعر أنها نظرت لي بغضب، أنا لم أرَ وجهها لأني كنت أركز بصري على الطريق لكني متأكد أني سمعت زمجرة غاضبة تخرج من فمها، ثمَّ قالت:

ـ حتَّى لو مُت، فسيكون شرفًا كبيرًا لي أن أموت من أجل الحق وإظهار الحقيقة.

ـ لم أقصد الموت، بل أقصد أن ما تقومين به قد أدخلك القبر بالفعل، كما حدث الليلة.

ـ لا يهم، الحمد لله أنني قد نجوت، لقد أرسلك الله في تلك الساعة لتنقذني، أنت بطل.

(أنا بطل)!، ثمَّ فوجئت بها تقبّلني من وجنتي! (أنا بطل)!!، كتمت ضحكتي، لو أنها تعلم حقيقتي لما قالت هذا أبدًا، أنا أبعد ما يكون عن البطولة، أنا مضاد كلمة (بطل)، قالت:

ـ أشكرك لأنك أنقذت حياتي، هذا جميل كبير لن أنساه لك طوال عمري.

لم أعتاد على سماع هذه الجملة (شكرًا لأنك أنقذت حياتي)، غالبا أسمع عبارات الشكر لكن لأسباب أخرى كثيرة، مثلًا (شكرًا لأنك خلصتنى من زوجي) أو (شكرًا لأنك سببت لها صدمة عصبية) أو (شكرًا لأنك شجعته على الانتحار) أو (شكرًا لأنك دمرت زواجهم) أو (شكرا لأنك مُت)، أو أي أسباب أخرى من هذا القبيل.

ـ هل تريدين الاتصال بأحد ليطمئن عليكِ؟

قالت بنبرةٍ حزينة:

ـ لا، أنا أعيش وحيدة.

لم ترد العودة إلى منزلها خشية أن تجدهم هناك، قلت لها محاولًا إقناعها:

ـ لا أظن أنهم ينتظرونك هناك، المفترض أنك في القبر الآن ولن تستطيعي الخروج منه.

فكرت فيما قلته ثمَّ قالت:

ـ ربما يفتشون شقتي الآن بحثًا عن أصول المستندات التي تدينهم مستغلين فرصة التخلص مني.

ـ لا تقلقي، إذا وجدناهم سوف أحميكِ.

ـ لا، لن تستطيع، سيقتلوننا بسهولة.

لم أخبرها أنهم لن يستطيعوا قتلي أبدًا مهما حاولوا.. إن مسألة قتلى هي آخر شيء أقلق بشأنه، أما احتمال قتلها فأمر وارد جدًا، لذا قلت مقترحًا خطة بديلة:

ـ حسنًا، سأذهب وحدي لأستطلع المكان و.....

قاطعتنى قائلة:

ـ لا، لن تستطيع مواجهتهم وحدك، سيقتلونك.

ـ ماذا ستفعلين الآن؟

ـ لا أعلم.

صمتت قليلا ثمَّ قالت:

ـ خذنى إلى منزلك.

هل من الضرورى الآن أن أخبرها أنني:

ـ أعيش بمفردي.

ـ لا يهم، لست خائفة منك، أنت رجل شريف ومحترم، أنت ملاك.

(ملاك)! حركت الكلمة بداخلي مشاعر شتى، (ملاك)!، لا أصدق أبدًا أنني ملاك!، ربما لست بشرًا، لكنني بالتأكيد لست ملاك، لا يمكن أن يكون هناك ملاك ويقوم بالأعمال القذرة التي أقوم بها، ربما أنا شيطان في صورة إنسان، لكن ملاك؟، هذا مستحيل!

استغرقت (سالي) في النوم أثناء الطريق. وقبل أن نصل إلى منزلى جاءني اتصال على هاتفي، كان المتصل هو (كبش ع مراد):

ـ لقد أخبرت زوجها منذ قليل، بالاسم كاملًا والعنوان، بعد أن وعدها ألا ينتقم

منك. لكنه خرج من المنزل بمجرد معرفته هذه المعلومات، لذا نتوقع أن يزورك الآن، أين أنت؟

ـ في الطريق.

ـ حسنًا، كن مستعدًا لأي شيء.

أدرت سيارتي وغيرت الاتجاه، سأذهب إلى منزل (الميت الكبش/ العاشق)، لا داعي من التفريط في مهمة أخرى يكفي أن مهمة (ميت في الكفن) قد ضاعت من يديّ، من سيعوضني عن هذا المال الذي فقدته؟!، لا بد أن أتخلص من هذه الصحفية في أقرب فرصة.

مررت بجوار مطعم، آه أريد أن أهبط من سيارتي وأتناول وجبة ساخنة لكن الوقت لا يسمح، لا بد أن أذهب للمنزل الآن وأضع هذه الفتاة في أحد الأسرة وأجلس منتظرًا الزوج الغيور، ربما أجده منتظرًا إياي أمام باب الشقة، سيظن وقتها أن الصحفية زوجتي! يا للسخرية، أتمنى أن تظل نائمة حتَّى تنتهي مهمة (الميت الكبش/ العاشق) على خير.

مررت أمام السينما، يعرضون أفلام جديدة، والإعلانات تدل على أنها أفلام رائعة نظرت إلى الجثة النائمة بجواري في السيارة وقلت :

ـ اللعنة، متى أتخلص منكِ؟!

***

وصلت للعنوان، تركت الفتاة نائمة كما هي وترجلت من سيارتي وذهبت إلى البواب لأقول له:

ـ أنا (مراد)

وقبل أن أنطق باقي الاسم،، غمز البواب بعينه وقال:

ـ فاهم.. فاهم.

أعطاني المفتاح ثمَّ أشار برأسه ناحية سيارتي التي تنام بداخلها تلك الصحفية اللعينة، يبدو أنه يظن أنها عشيقتي أو فتاة ليل وأني سأقيم في الشقة من أجل المتعة، لا يعلم أنني سأقيم من أجل انتظار الموت.

ـ لكن..

ـ الدور الرابع، الشقة الثانية على اليسار.

عدت إلى سيارتي ومعي مفتاح وكري الجديد، هززت ذراع الفتاة برقة لأوقظها فقامت مفزوعة، لا بد أنها كانت تحلم بالقبر أو بعذابه:

ـ أين أنا؟!، أين أنا؟!

ـ أنتِ بخير، لا تقلقي، هيا لتصعدي إلى شقتي المتواضعة.

ـ من أنت؟

لا.. أرجوكِ.. لا تفقدى الذاكرة الآن، ضربت الفتاة رأسها وقالت:

ـ آه. تذكرت، أنت البطل.

ما زالت مصممة على منحي هذا الشرف الذي لا أستحقه ولا أشتهيه، استندت على كتفي وراحت تصعد الدرج، رأنا البواب فقال:

ـ أهلا وسهلًا (مراد) بك، كل سنة وأنت طيب (مراد) بك.

وراح يفرك أصابع يده اليمنى بحركة خاصة كإشارة شهيرة تدل على طلب المال، يظن أنني سأعطيه مالًا من أجل صمته بمنطق (طالما أنني أصطحب أنثى فلا بد أن أدفع وإلَّا فضحني أو منعني)، لا يعرف أننى لا أخشى الفضيحة بل أسعى خلفها، إن مهنتي تعتمد على الفضائح من الأساس، لا يعرف أيضًا أن جسدها لا يهمني في شيء، بل إنه لو طلبها مني فلن أتردد وسأعطيها له، المهم أن ترضى هي

به وبرائحته العفنة، أما أنا فلا أريدها على الإطلاق، بل أراها عبء ثقيل أريد أن ينزاح عني لأستطيع ممارسة حياتي بصورة طبيعية ولا أتعطل عن العمل مجددًا، تجاهلت إشارة أصابعه واتجهت نحو المصعد، فقال:

ـ معطل.

لا بد أننى أثرت حنقه، لا بأس. أنا أريده غاضبًا مني، حتَّى إذا عاد الزوج يخبره على الفور بمكان شقتي دون تردد.

صعدت إلى الدور الرابع، لقد قال أنها (الشقة الثانية على اليسار)، لا بد أنها هي هذه الشقة، أولجت المفتاح في ثقب الباب، لم يفتح، هل أخطأت في الاتجاهات؟!. لا، إنه اليسار. وهذه هي الشقة الثانية، هل أخطأ البواب في رقم الشقة أو في رقم الدور؟! ليته صعد معي، هل أهبط لأسأله؟! أم أجرب المفاتيح في ثقوب الأبواب الأخرى؟!، ولكن كيف أفسر لها هذا؟! سمعتها تقول :

ـ (مراد).

نظرت خلفي باحثًا عنه، من (مراد) هذا؟!، ثمَّ تذكرت أنني (مراد)!

تابعت (سالي) وعلى وجهها ابتسامة:

ـ (مراد) اسم جميل!

ابتسمت لها من باب المجاملة، فقالت:

ـ ظننت أن اسمك (رؤوف).

هذا ليس وقته يا فتاتي العزيزة، أنا مشغول بالمفتاح والباب الذي لا يستجيب، والزوج الذي سيظهر في أي لحظة ليقتلني، ثمَّ تذكرت شيئًا ربما أخطأت في عدّ الأدوار!، سألتها بجدية:

ـ في أي دور نحن؟!

ليتنى استخدمت المصعد، كنت سأتأكد وقتها من رقم الدور، قالت:

ـ لا أتذكر، ما الأمر؟! هل تشك أننا في دور آخر غير الدور الذي به شقتك؟!

ـ إن الأدوار تتشابه.

نظرت الفتاة إلى أبواب الشقق الأخرى، وجدت لافتة هناك معلقة على الحائط بجوار باب إحدى الشقق، قرأتها بصوت واضح :

ـ (سامح الدمنهوري)، محامى، هل هذا جارك في نفس الدور؟!

بماذا أجيبها؟!. أنا لا أعلم شيئًا يا آنسة، هذه هي المرة الأولى التي أدخل فيها هذه العمارة، لم أرد عليها، فعادت تسألني:

ـ هل هو جارك؟!

ـ لا أتذكر.

ـ ماذا؟!

ـ أنتِ السبب!، عقلي مشلول الآن بسببك، موضوع القبر وتعطل العمل ومشاكله، إلخ، لا أستطيع التركيز أو التفكير.

سألت بتعجب:

ـ هل نسيت جيرانك؟!

ـ لا، أنا أراهم يوميًّا، ولكني نسيت أيهم يسكن في الدور الذي أسكن فيه، لقد انتقلت إلى هنا حديثًا.

ثمَّ استأذنتها وهبطت للدور الذي يقع أسفله، وجربت المفتاح في الشقة الثانية على اليسار هناك، واستجاب الباب فصحت قائلًا:

ـ إنه هنا.

كانت الفتاة تراقبني من مكانها بالأعلى وعندما سمعت صياحي هبطت على الفور، تقدمتها إلى داخل الشقة وسألتها:

ـ قبل الدخول، هل أنتِ بكامل وعيك؟، هل أنتِ مدركة لما سوف تفعلينه؟ ستبيتين في شقة رجل عازب!

أزاحتني من طريق دخولها برقة وقالت بابتسامة هادئة:

ـ أنا أثق بك.

ابتسمت قائلًا بسخرية:

ـ ولكني لا أثق بنفسي.

ضحكت الفتاة بقوة، ربما ظنت أنها دعابة، ربما هي كذلك بالفعل! قالت الفتاة وهي تتأمل الشقة من الداخل:

ـ شقتك جميلة!

انتظري يا فتاة حتَّى أراها لأخبرك برأيى فيها أيضًا، فهذه هي المرة الأولى التي أراها فيها، رُحت أستكشف الشقة معها. وهي تظن أنني أقودها في جولة سياحية لمعالم المكان الذي حفظته من كثرة العيش به.

"لمن هذه الصورة؟! أختك؟!".

كانت تشير لصورة كبيرة معلقة في الصالة لامرأة في الثلاثين من عمرها، الإجابة الصحيحة هي (لا أعلم) لكن طبعًا لن أقولها حتَّى لا أثير الشكوك بداخلها وتظن أني استأجرت شقة مفروشة لأتناول مفاتنها على الفراش مرتين قبل النوم وبعده!، لا أعرف بم أجيبها، هل تصلح صاحبة الصورة لتكون أختي؟! أم زوجتي السابقة؟! لا يمكن أن أقول زوجتي الحالية لأني أخبرتها أني أعزب، ولا يمكن أن أقول (ابنتي) لأنها لا تعرف عمري الحقيقي وتظن أني شاب مثلها أكبرها ببضع سنوات. الحل الأمثل هو أن أتجاهل السؤال وأقول:

ـ ألا تريدين الذهاب إلى الحمام وتنظيف نفسك؟

قالت وهي تنظر إلى حالتها السيئة:

ـ معك حق، أين الحمام؟

تلفت حولي، فسألتنى مندهشة:

ـ ألا تعرف مكان الحمام؟!

هذه الفتاة كثيرة الأسئلة، بالتأكيد لا تصلح لأي مهنة سوى مهنة الصحافة، تحركت بسرعة في المكان حتَّى عثرت على الحمام، وقلت مبتهجًا:

ـ من هنا.

تعجبت الفتاة وسألتني ساخرة:

ـ هل أنت متأكد أن هذه شقتك؟!

ـ بالتأكيد شقتي، كيف فتحتها إذن؟!

ـ هل تتعاطى أي نوع من أنواع المخدرات أو الخمور؟!

هل ستتركني وترحل إن أجبتها بـ (نعم)؟ لو كان الأمر كذلك فلأجرب، ربما أستطيع التخلص منها بهذه الإجابة، قلت كاذبًا:

ـ نعم.

قالت بانزعاج:

ـ ماذا؟!

لا أعرف لماذا تراجعت عن الفكرة وخطة الطرد، قلت:

ـ كنت أمزح.

منحتنى ابتسامة جميلة، وقالت:

ـ حتَّى لو قلت (نعم) لم أكنْ لأصدقك، سلوكك لا يدل على أنك مدمن أو سكير

لكن يبدو أنك لا تعيش في شقتك كثيراً. فإما أنك كثير التجوال بالخارج أو أنك تقضي يومك كله في العمل ولا تعود إلى شقتك إلا من أجل المبيت، هل استنتاجي صحيحًا؟

أومأت برأسي إيجابًا، هذه الفتاة ذكية وعقلها يعمل باستمرار دون توقف بغض النظر عن كون استنتاجاتها خاطئة فهي لا تعلم أن هذه ليست شقتي، قالت فجأة:

ـ اسمى (سالي)، أنت لم تسألني عن اسمي حتَّى الآن!

ـ لا. سألتك من قبل. عندما كنت أتأكد من حالة ذاكرتك.

لم أرد إحراجها بأن اسمها لا يهمني، صافحتها مبتسمًا وقلت:

ـ تشرفنا، وأنا (ياسر).

قالت مندهشة:

ـ ولكنك أخبرتني باسم آخر.

ـ (وليد)؟!

ـ لا، (مراد).

ـ آه (مراد) أكيد (مراد)، كنت أمزح معك.

كيف سيكون رد فعلها لو أخبرتها أنني لا أملك أي اسم؟!، أعيش كل يوم باسم جديد حسب المهمة أما اسمي الحقيقي فلا أعرف عنه شيئاً!. ضحكت قائلة:

ـ أنت كثير المزاح، كما يبدو.

هل أخبرك بالسر طفلتي البريئة؟!، جربي أن تموتي مثلي كل يوم مرتين أو ثلاث وسوف تصلين إلى حالتي هذه. السخرية الدائمة من أي شيء وكل شيء!

ذكّرتها بأن تدخل الحمام، فاتجهت إلى هناك ثمَّ توقفت والتفتت لي قائلة:

ـ الملابس!، ماذا سأرتدي؟!، إن جميع ملابسي في شقتي.

ـ فلنذهب لإحضارها سويًّا.

ـ كما قلت سابقًا، ربما كانوا بانتظاري هناك.

ـ إنك الآن ميتة بالنسبة لهم.

ـ كما قلت سابقًا أيضًا، ربما يفتشون شقتي الآن بحثًا عن أي مستندات.

ـ حسنًا، سأذهب وحدي إلى هناك وأحضر الملابس التي تريدينها.

ـ لا، أرجوك، أخشى أن يصيبك مكروه، سوف أشترى ملابس أخرى.

كيف أخبرها أنه لا يمكن أن يؤذينى مكروه أبدًا؟!. اقترحت عليها أن:

ـ حسنًا، أخبريني بمقاسك وسوف أشتري الملابس التي تناسبك.

ـ لا، سآتى معك، لا تتركني وحيدة.

ـ لماذا؟

ـ أشعر بالخوف، الخوف الشديد.

تلفتت حولها ثمَّ أردفت:

ـ إن القبر...

وانتفض جسدها فجأة، احتضنتها وقلت:

ـ لا بد أن تنسى هذه التجربة السيئة، لقد خرجت منه وأصبحت بأمان الآن، اطمئني.

كان شعورًا غريبًا وأنا أحتضنها.. إنها ليست المرة الأولى التي أحتضن فيها فتاة وبالرغم من ذلك أشعر شعورًا غريبًا لم أشعر به من قبل، بعد ثوان ابتعدت عني بهدوء وقالت:

ـ أشكرك.

ـ حسنًا، سوف نذهب سويًّا لشراء الملابس التي تحتاجينها، لكن كيف سندخل المحل وأنت بهذه الحالة؟!، سيظنون أنك متسولة أو خارجة للتو من القبر.

ابتسمت قائلة:

ـ أنا خرجت للتو من قبر بالفعل.

ـ كنت أقصد التشبيه، لكنها الحقيقة للأسف.

ـ حسنًا، سأنام في أي ملابس لديك ثمَّ سأغسل ملابسي وأنتظر حتَّى تجف.

ترتدي ملابسي!! لم تفعلها واحدة من قبل، حتَّى النساء اللاتى تظاهرن أثناء العمل بأنهن عشيقاتى أو زوجاتي أو خطيباتى لم يفعلنها، بل فعلت أنا العكس في بعض الأحيان!، ثمَّ أنني لا أملك أي ملابس هنا، هذه ليست شقتي!، ولا أعرف إن كان بها أي ملابس أم لا، سألتني وكأنها قرأت السؤال في عينيّ الحائرة:

ـ ألا تملك أي ملابس هنا؟!، هل تبيت بملابس العمل؟!

لا أعرف بم أجيب، تركتها ودخلت غرفة النوم وفتحت الدولاب، وجدت ملابس هناك صحت قائلًا بكل ثقة:

ـ بالتأكيد، لدي ملابس.

طرقت باب غرفة النوم قبل أن تدخلها ثمَّ اِتجهت نحو الدولاب ونظرت إلى الأرفف، فقلت بفخرٍ:

ـ أرأيتِ؟ إن الدولاب عامر بملابسي.

مدت يدها وأخذت بعض الملابس ثمَّ فردتها أمامي. قالت متعجبة:

ـ إن هذه ملابس نسائية!

***

(11)

(سالي) معها حق! كيف لم أنتبه لذلك؟!، عندما كانت الملابس على الرف كان لا بد أن ألاحظ الألوان، أو أفرد الملابس لأراها جيدًا قبل أن أصرح بأي شيء، يبدو أن اهتمامى بالإجابة السريعة لسؤالها جعلني لا أفكر في كل هذا، اتجهت إلى الأبواب الأخرى للدولاب، فتحت أول واحد على يساري، أخرجت الملابس وتأكدت أنها ملابس رجالية وأعطيتها لها قائلا بذكاء مثير للشفقة:

ـ ها هي ملابسي، كانت هنا.. تفضلي.

ضحكت قائلة :

ـ من أخبرك أنني أُفضل ارتداء ملابس رجالية؟! لقد كنت مضطرة لذلك لأنني ظننت أنه لا توجد ملابس نسائية هنا!

يا للغباء! ما الذي حدث لتفكيرى؟!، هذه الفتاة تؤثر على طريقة استيعابي للأمور، ما الذي يحدث لي؟!، ابتسمت قائلًا:

ـ آه معك حق، آسف.

سألتني باهتمام:

ـ لمن هذه الملابس؟! هل تجلب نساء إلى هذه الشقة؟!

مللت من أسئلتها الكثيرة وشعوري المقيت بأنني غبي أمامها.. أنا لست متهمًا لأتلقى كل هذه الأسئلة، لقد دخلت السجن مرارًا وخرجت منه ميتًا كثيرًا.. لكن

لم ينتابني إطلاقًا هذا الشعور بالارتباك أمام أسئلة مثل أسئلتها!، قلت لها بكل وقاحة تمهيدًا للتخلص منها :

ـ نعم، أجلب نساء هنا، وأنام كل ليلة مع امرأة جديدة على هذا السرير، وأحيانًا امرأتين، وسوف أغتصبك عندما تنامين. ولن أكتفي بمرة واحدة، هل اِسترحتِ الآن؟!

ابتسمت قائلة:

ـ لو أنك تجلب كل ليلة امرأة هنا لما تركت لها كل هذه الملابس لترتديها، طالما أنك تتخلص منهن في الصباح، أظن أن هذه الملابس تخص أختك أو زوجتك السابقة إن كنت قد تزوجت من قبل، لكن يبدو أنك لا ترحب بوجودي معك في الشقة.. من الواضح أني قد أثقلت عليك.. أعتذر لك.. فقط أمهلني هذه الليلة، وسوف أقيم في أي فندق بعد ذلك حتَّى أتدبر أموري مع خطيبي عند رجوعه بالسلامة.

ـ خطيبك!

ـ نعم.

ـ هل أنت مخطوبة؟!

ـ طالما أقول (خطيبى) فهذا يعنى أني مخطوبة.

ـ لكنك لم تخبرينى بهذا من قبل!

ـ أنت لم تسألني، ولم يتطرق الحديث لهذه الأمور.

ـ لماذا لم تتصلي به لتطمئنيه عليكِ؟!

ـ إنه لا يعلم شيئًا عن اختفائي، إنه يعمل بالخارج، لا داعي لأن أثير قلقه.

أشرت إلى يدها قائلًا:

ـ لكني لا أرى خاتمًا في إصبعك!

ـ لا أحب هذه التقاليد، وأشعر بحرية أكثر في التعامل مع الآخرين عندما لا أرتدي الخاتم.

ـ ومتى سيعود خطيبك؟!

ـ لا تقلق سيعود قريبًا، واطمئن تمامًا، لن أقيم هنا حتَّى عودته سأرحل في الصباح، ولن ترى وجهي مرة أخرى.

وغادرت الغرفة بسرعة، هرعت خلفها قائلًا:

ـ لا أقصد، ولكني أكره الأسئلة الكثيرة.

التفتت لي قائلة:

ـ آسفة.. إنه تأثير المهنة.. تعودت على الأسئلة الكثيرة، لم أقصد إزعاجك أبدًا، بالعكس، أريد أن أخدمك بعيني، لقد أنقذت حياتى هذه الليلة ولا أعرف كيف أرد لك هذا الجميل!

ابتسمت وقلت لها:

ـ هل يمكن أن أطلب منك خدمة حقًا وتعديني أن تنفذيها؟!

قالت بكل سعادة:

ـ تفضل، أطلب ما تريد، لقد أنقذت حياتي، لو أردت عيوني لأعطيتها لك.

ضحكت قائلًا:

ـ عيونك أغلى من أن أطلبها، أريد منك طلب بسيط جدًا، أريدك أن تقيمي هنا حتَّى عودة خطيبك بالسلامة. وإن كنتِ تشعرين بأي قلق من ناحيتى يمكن أن أعدك ألا أقيم هنا، أنا معتاد على حياة الفنادق.

ـ بالعكس، أنا أشعر بالأمان وأنا معك، أنت رجل محترم، أنت بطل!

تكرر الحمقاء كلمة (بطل) باستمرار أمامي، (بطل)! كيف؟!، لو أنها تعرف

حقيقة الأمر لفضّلت أن تبيت بالشارع على أن تبيت في شقة معي والشيطان في الطريق، وربما أنا الشيطان نفسه!

لا يمكن أن أكون (بطل) أبدًا.. أرى البطل في أفلام الخيال العلمى التي أعشقها وأشاهدها طوال الوقت.. الرجل الخارق الذي يحارب من أجل إنقاذ الأرض من الكائنات الفضائية.. البطل المغوار الذي يدافع عن حبيبته طوال الوقت ومستعد للتضحية بحياته في سبيل إنقاذها أو إنقاذ العالم.. أما أنا.. لا أظن.. لن أضحي بحياتي من أجل حبيبة، ليس لديّ حبيبة من الأساس، ولا يمكن أن توجد في حياتي حبيبة، في الواقع يمكنني أن أضحى بحياتي يوميًّا لكن.. من أجل آلاف الجنيهات، هذا ما أجيده.. هذا هو عملي.

***

خرجت (سالي) من الحمام مرتدية الملابس التي اختارتها من الدولاب، مسح الماء كل ذرات التراب والطين الذي كان يغمر وجهها وجسدها، أزال الصابون أي روائح كريهة كانت تنبعث منها، رأيت فتاة في غاية الرقة والنعومة والأنوثة والجمال تتجه ناحيتي لتجلس بجواري أمام شاشة التليفزيون الضخمة.

كان وجهها جميلًا صافيًا نقيًا براقًا، لقد رأيت نساء بعدد شعر رأسي ورأسها، لم أرَ مثلها من قبل!

كنت أجلس في الصالة أشاهد فيلمًا أجنبيًّا مثيرًا ممتعًا عن وحوش صغيرة تلتهم البشر من الداخل، سألتني:

ـ ما هذا القرف؟!

ـ فيلم رعب.

ـ هل تهوى مشاهدة هذه الأفلام؟!

ـ جدًا، ليس الرعب بصفة خاصة، ولكن الأفلام الخيالية بصفة عامة.

ـ أنا أعشق الأفلام الكوميدية والرومانسية.

ـ إن كانت خيالية، فأنا أعشقها أيضًا.

ـ كم قناة عندك؟

بحثت في جهاز التحكم عن بعد وضغطت على بضعة أزرار حتَّى وصلت لآخر قناة، أخبرتها بالرقم، فاندهشت:

ـ ما كل هذا؟! يبدو أنك تعشق التليفزيون.

أخذت مني (الريموت كنترول) عنوة وقالت:

ـ دعنى أختار لك.

ما الذي تظنه هذه الفتاة؟! نحن لسنا متزوجين أو مخطوبين أو حبيبين، فلتدخل لتنام أو لترحل أو لتعود إلى القبر، أنا لم أطلب منها أن تختار لي ما أشاهده، مددت يدي لأنتزع الريموت كنترول منها.

ـ دعينا نستكمل الفيلم، لقد وصل إلى ذروة الأحداث.

أبعدت الجهاز الصغير عن متناول يدي وقالت:

ـ دعك من هذا القرف! سأختار لك شيئًا رائعًا لتشاهده.

وراحت تقلّب في القنوات، يبدو أنني أخطأت عندما طلبت منها أن تقيم هنا حتَّى عودة خطيبها، قلت لها بابتسامة صفراء عريضة:

ـ ألن تنامى؟، إن الوقت قد تأخر، ولقد عانيت كثيراً هذه الليلة، تحتاجين إلى الراحة والنوم العميق.

ـ إن الماء قد أنعشني، أنا بخير الآن، ولا أشعر بأي رغبة في النوم.

كنت أريدها أن تذهب إلى النوم حتَّى لا ترى الزوج الغيور وهو يقتلني، فوجئت بها تسألني:

ـ ألست جائعًا؟

ـ يبدو أنكِ جائعة.. أنا آسف.. لست معتادًا على استضافة أحد.. سوف أطلب طعام من الخارج حالًا.

ثمَّ أمسكت هاتفي واتصلت بمطعم الوجبات السريعة وسألتها.. ثمَّ طلبت ما اختارته وأخبرتهم بالعنوان.

ـ أها.. شاهد هذا الفيلم، أنا متأكدة أنه سيعجبك.. اسمه (العشق في زمن الطاعون) جميل جدًا، ومن حسن الحظ أنه لم يفوتنا الكثير، مازلنا في بداية الفيلم.

هل أجرب معها فكرة (الميت المصعوق) وأتخلص منها؟! الفكرة ببساطة أن أمسك طرفين عاريين لسلك كهرباء وأثبت للضحية أنهما آمنان، ثمَّ يجرب هو نفس الشيء فيتم صعقة في الحال، لا يعلم أن الكهرباء لا تؤثر عليّ لقد قمت بهذه المهمة مرات كثيرة من قبل.

أمسكت هاتفي المحمول، لقد شحنته اليوم وأظن أن الرصيد سيكفي تشغيل الفيلم المرعب من خلاله، إما أن أدخل على رابط القناة على الإنترنت وأتابع الفيلم مباشرة وقت عرضه، رغم أن كثير من الوقت قد مضى، ربما يكون الفيلم قد انتهى، أو سألجأ لرابط الأفلام وأبحث عن اِسم الفيلم وأشاهده بداية من المشهد الذي توقفت عنده عندما اقتحمت خصوصيتي تلك الملعونة.

لمحت الفتاة الهاتف في يديّ، جذبته عنوة وقالت مبتسمة:

ـ ما الذي تفعله؟! ركز في أحداث الفيلم.. أراهن أنه سيعجبك.

أراهن أني سأقتلها.. لم أخبرها بذلك طبعًا.. ربما أستخدم حيلة (الميت

المتحمس)، لكني لن أشجعها وأحمسها على الانتحار من أعلى البناية، ربما أدفعها بنفسي ثمَّ أعود لاستكمال الفيلم.

لكني لا أريد جثة في المكان الآن، لو أنني في شقتي لتخلصت منها ثمَّ اتصلت بمنظف الجرائم ليخلصني من الجثة.

اضطررت لمتابعة الفيلم الرومانسي معها.. (العشق في زمن الليمون) أو (الزيتون) ربما (الكمون).. آه تذكرت.. (في زمن الطاعون)!

اندمجت في الأحداث عندما سمعت جرس الباب.. هل هذا صوت عصافير؟!

عصافير.. عصافير.

أما زالت هذه الأجراس القديمة موجودة، لماذا لا يستخدم موسيقى؟! أو أغنية مفضلة عنده كما يفعل باقي البشر؟!

نهضت من مكاني، أتمنى ألَّا يكون الزوج الغيور، لا أريد أن أموت ببطن فارغة، فلأحصل على عشائي أولًا! ولا أريد أن يقتلني أمامها بالتأكيد، سيعتبرها شاهدة على جريمته ويقتلها أيضًا، أو يتراجع عن فكرة القتل خوفًا على أحاسيسها أو اعترافها عليه بأنه القاتل.

لا بد أن أتخلص من هذه الفتاة فورًا، إنها تربكني أثناء القيام بعملي.

ـ اختبئي بالداخل.

عصافير.. عصافير.. صوت الجرس لا يتوقف، سألتني:

ـ لماذا؟!

ـ هل تحتاجين إلى سبب؟! لا أريد أن يعلم أحد أنني أجلب نساء إلى شقتي.

عصافير.. عصافير.. الجرس اللعين يثير أعصابي، قالت:

ـ ربما كان عامل توصيل الطلبات إلى المنازل.

- اختبئي، وسوف نرى.

- انظر من العين السحرية وسوف تعرف من هو.

عصافير.. عصافير، قلت بحنق وأنا أخشى أن يكون الزوج:

- ربما كان شخص آخر ويتنكر في هيئة عامل توصيل الطلبات.

هزت رأسها قائلة بتعجب:

- وما الذي يدفع شخص آت لزيارتك للتنكر في زى عامل توصيل الطلبات؟!

عصافير.. عصافير، إنه لا يريد أن يرفع يده عن زر الجرس، قلت بغضبٍ شديد:

- أسئلة كثيرة، كثيرة جدًا.. نفذي ما قلته.

أطاعتني أخيرًاا واختفت في الداخل بسرعة.. سوف أتخلص منها، أنا متأكد أنني لن أستطيع تحملها أكثر، ربما أستخدم معها فكرة (الميت المحروق) أو (الميت المنفوخ)!

فتحت الباب لعامل توصيل الطلبات، فوجئت بها تخرج من الغرفة وتقول:

- أرأيت؟! كنت محقة.

فكرت في منحها للعامل بدلًا من سعر الوجبة (حلال عليك يا عم، خذها ولا تعيدها، أظن أنها تكفي ثمَّن الوجبة، إن الملابس التي ترتديها تكفي وحدها، خذ الملابس بالفتاة أيضًا).

"انتظر.. سأدفع أنا".

قالتها وهي تفتح حقيبتها وتعطي الرجل ثمَّن الوجبة.

- لماذا؟!

- هذا أقل واجب!

لم أعترض، ربما أستغلها خلال الأيام القادمة طالما أنها تحب إنفاق المال على طعامي، ربما أطلب منها إيجار الغرفة التي تنام بها، واشتراك القنوات التليفزيونية التي تشاهدها، وإيجار الملابس التي ستنام فيها، وربما أطلب أيضًا أجرة توصيلها إلى هنا.. سأربح الكثير والكثير.

أغلقت الباب بعد انصراف عامل التوصيل بينما اتجهت هي إلى المطبخ لتجهز الأطباق عندما سمعتها تصيح فجأة:

ـ ما هذا؟!

***

(12)

اندهشت (سالي) عندما وجدت المطبخ نظيفًا مرتبًا به كافة أدوات المطبخ اللازمة وبه جميع المكونات التي يمكن أن تخطر ببالها لإعداد وجبة شهية، والثلاجة عامرة بالمأكولات والمشروبات، هذا مطبخ يليق بسيدة منزل درجة أولى، سألتني بتعجب :

ـ لماذا طلبت وجبة جاهزة وأنت لديك كل هذا؟!

كانت دهشتي مثل دهشتها بالضبط، وربما أكثر، لقد ظننت أنها شقة مفروشة يأتي صاحبها مرة كل شهر أو كل أسبوع ليقضي ليلة حمراء مع الزوجة الخائنة، لكن يبدو أنها لم تخن زوجها مرة واحدة في لحظة ضعف! يبدو لي أنها تقيم هنا.. وتعود إلى حضن زوجها في لحظة ضعف!

أجبت سؤالها:

ـ الطعام الجاهز أسهل وأسرع.. ليس لدينا وقت.. نحن جائعين.

ـ هل تجيد الطهي؟!

ـ لِمَ هذا السؤال؟!

ـ مع كل هذا الذي أراه حولي وفي الثلاجة لا بد أن هناك أحدًا يطبخ لك أو أنك تجيد الطهي.

ظهر الحنق على ملامح وجهي، فقالت:

ـ آسفة.. لن أسأل مرة أخرى، أعرف أنك تكره الأسئلة، سأتوقف.

وراحت تعد الأطباق، تركتها وعُدت لمشاهدة التليفزيون.

***

كان الفيلم رائعًا حقًا. نال إعجابي رغم أنني لا أطيق الأفلام الرومانسية، سوف أتابعه حتَّى النهاية، ما هذا الصوت؟!. نظرت بجواري، لقد كانت (سالي) تغط في نوم عميق، لن أستطيع المتابعة وسط هذا الغطيط العالي! لا بد أن أوقظها، هززت كتفها، لم تستيقظ يبدو أنه لا مفر من حملها ووضعها في السرير، فإذا استيقظت سوف تريحني من مهمة حملها.

لم تستيقظ إلَّا عندما وصلت للسرير، فتحت عينيها رأتني، فهمت أنني أحملها، وضعتها بهدوء وقلت:

ـ تصبحي على خير.

غطت نفسها رغم أن الجو ليس باردًا، ربما لتستر نفسها أكثر أثناء النوم، ثمَّ قالت:

ـ وأنت من أهله.

وعاد الغطيط في أقل من نصف ثانية، أغلقت باب غرفتها بهدوء وعُدت لاستكمال الفيلم الجميل.. عصافير.. عصافير.. من الذي يود زيارتي في تلك الساعة؟! ثمَّ تذكرت.. ربما يكون الزوج الثائر، ألم يكنْ من الممكن أن يؤجل قتلي لما بعد اِنتهاء الفيلم؟!.. لقد خرج منذ ساعات طويلة من منزله فهل قرر أن ينتقم الآن؟! أم أنه اِستغرق كل هذا الوقت في العثور على العنوان؟!

نظرت من العين السحرية.. إنه البواب اللعين.. فتحت الباب و..

ـ هل تحتاج أي شيء يا (مراد) بك؟

وراح يفرك أصابع يده اليمنى مجددًا، وأنا أتجاهل النظر إليها.. لن أعطيك أي مال حتَّى لو فركت جسدك كله!

ـ لا.. شكرًا.. لو احتجت شيئًا سأنادي عليك.

تسلل بعينيه إلى الداخل لعله يظفر برؤية أي شيء من الليلة الحمراء.. لا يا عمنا ليست حمراء.. إنها ليلة زرقاء.. سوداء.. بيضاء.. أي لون عدا الأحمر، قلت له:

ـ إذا جاء رجل وسأل عني، أخبره أنني لا أسكن هنا وأطلب منه أن يرحل فورًا.

وطبعًا لأني لم أعطه مليمًا.. سوف يقوم بالعكس، سيخبر الزوج بمكان شقتي وربما يصعد معه لتوصيله.. بدون مقابل مادي.

قضيت سهرتي أمام التليفزيون، لم أخرج من أجل أي مهمة، خشيت أن يأتي الزوج أثناء وجودي بالخارج، وتفتح له (سالي) الباب، وتضيع فرصة قتلي.

أنا بالفعل في مهمة الآن.. مهمة (الميت الكبش / العاشق)، وحصلت على مقدم أتعابي.. وجدت المال في المكان المتفق عليه.. تحت وسادة السرير الكبير.

أغلقت الهاتف، وتابعت فيلم مرعب بعد انتهاء الفيلم الرومانسي.

***

"استيقظ.. استيقظ.. (مراد).. (مراد)".

هذا الصوت الناعم الذي يتسلل إلى أذني ليس غريبًا.. لقد سمعته من قبل.. أين أنا؟! كم الساعة الآن؟! هذا الضوء القوي يعنى أننا في الصباح.. أين قضيت ليلتي؟! أحاول التذكر وأنا أفتح عيني بصعوبة من قوة الضوء.. هل كانت ليلتي داخل قبر؟! أم أنني قضيتها في النعش مغطى بالكفن؟! أم أنني كنت في المشرحة كالعادة؟! فتحت عيني فرأيت وجه (سالي) المشرق الجميل.. أنا لست في المشرحة بالتأكيد.

ـ صباح الخير.

ـ صباح العسل.

ـ لا بد أن رقبتك تؤلمك، لقد قضيت ليلتك نائمًا على الأريكة أمام التليفزيون.

في الواقع لا أشعر بأي ألم، ربما كانت رقبتي في وضع خاطئ طوال الليل، لكنني لا أتألم كما تعلمون، حاولت التظاهر بمعاناة آلام الرقبة ثمَّ سألتها:

ـ كم الساعة؟

ـ الحادية عشرة.

ـ يا خبر! لقد تعودت أن أستيقظ مبكرًا.

ـ يبدو أنك سهرت كثيرا ليلة البارحة.. هاه.. كيف كان الفيلم؟ هل أعجبك؟.. لقد سقطت في النوم ولم أدرِ بنفسي، أتذكر أنك قد حملتني ووضعتني في السرير، لقد نمت بعمق.. لم أستيقظ إلَّا الآن.. هاه.. ما رأيك؟

ـ بخصوص ماذا؟

ـ الفيلم.

تثاءبت وأنا أقول:

ـ الحب في زمن (البلعوم).

انفجرت ضاحكة فجأة.. ماذا حدث؟! سمعتها تقول:

ـ البلعوم!

وعادت للضحك.. ما هذا الذي قلته؟! (البلعوم)! يبدو أن تأثير النوم لم يزل بعد، قلت مصححًا الاسم:

ـ الطاعون.

ـ سأحضر لك وجبة الفطور، بينما تقوم لغسيل وجهك.

ثمَّ عادت لاستكمال ضحكاتها في المطبخ، قلت:

ـ فطور! لا.. لا ترهقي نفسك، سأفطر بالخارج.

أقسمت (سالي) برحمة والدها أنها ستعد الوجبة بسرعة ولا بد أن أفطر معها، كانت هذه هي المرة الأولى التي أتناول فيها وجبة من صنع يديها، لكنها وجبة فطور عادية، لا تظهر مواهب المرأة في الطبخ.

بعد الفطور واستعدادي للخروج قلت لها:

ـ لا تفتحي لأي أحد.

ـ إلى أين؟

ـ ذاهب إلى عملي، هل تريدين شيئًا؟

ـ أنا لم أعرف حتَّى الآن ماذا تعمل.

بالتأكيد لن أخبرها الحقيقة، وحتَّى لو أخبرتها لن تصدق.. من يصدق أنني أعمل ميت؟! نعم.. هذه هي مهنتي.. المهنة: ميت.. هل هناك أي مشكلة بهذا الشأن يا فتاة؟!.. الناس يكسبون رزقهم حتَّى يستطيعوا الحياة، أما أنا فأموت لأستطيع كسب رزقي!

قلت باقتضاب:

ـ رجل أعمال.

ـ أي أعمال بالضبط؟!

ضممت شفتي تعبيراً عن الضيق فوضعت يدها على فمها ثمَّ أزاحتها قائلة:

ـ آسفة، لن أسأل.

توقعت أن أظفر بدقيقة من الصمت لكنها لم تستطعْ لصق شفتيها ببعضها لأكثر من ذلك، قالت:

ـ ألا يمكن أن تؤجل هذا العمل قليلا؟

ـ لماذا؟

اقتربت مني وقالت بضعف أنثوي:

ـ خائفة.

يا للورطة! ما الذي تريده هذه الفتاة؟! أترك عملي وأحرسها؟! سألتها:

ـ خائفة من ماذا؟ لا أحد يعرف أنكِ هنا.

أومأت برأسها متفهمة وقالت:

ـ حسنًا، معك حق.

توقعت أنها اقتنعت لكنها عادت لتقول:

ـ هل يمكن أن آت معك؟ لا أريد أن أبقى وحيدة.

ـ ولكنك تقولين أنك تعيشين وحيدة طوال الوقت.

ـ نعم.. في شقتي.. وسط جيراني.. لكن هنا.. أنا لا أعرف أحدًا.

ـ هل تريدين أن أوصلك لشقتك؟

تمنيت أن تجيب بالإيجاب، قالت بذعرٍ:

ـ لا.. لا أريد العودة إلى هناك الآن.

ـ لماذا؟! لو أنهم فتشوها بالأمس فلا بد أنهم انتهوا من عملهم منذ زمن، لن يفتشوها كل هذا الوقت.. إنها ليست مغارة (علي بابا)، في النهاية مجرد شقة.

ـ ربما كانوا يراقبون الشقة.

ـ ولماذا يراقبون الشقة وهم يظنون أنكِ ميتة الآن في القبر؟!

راحت تفكر لبعض الوقت، ظننت أنني نجحت في إقناعها لكنها عادت لتقول:

ـ ربما يراقبون الشقة ليعرفوا المصادر التي أعتمد عليها في تحقيقاتي الصحفية، ويراقبوا الناس التي تأتي لزيارتي لتطمئن على حياتي، وربما علموا بأن القبر مفتوحًا وأن هناك اِحتمال كبير أنني خرجت منه.

زفرت بحنقٍ قائلًا:

ـ حسنًا.. فلتبق هنا.. البيت بيتك.

ـ هل يمكن أن تعطيني رقم هاتفك؟ حتَّى أتصل بك إذا حدث أي شيء، ولأطمئن عليك.

(تطمئن عليّ)! كانت تقولها لي خطيبتي (وفاء) دومًا، كانت تتصل بي باستمرار للاطمئنان على صحتِي وعلى أحوالي. ومن قبلها خطيبتي (علا)، وأيضًا خطيباتي (هايدى) و(مجيدة) و(ريماس) و(أمينة) و(انتصار) و(ريهام) و(هدير) و(أماني) و(رحاب) و(عزة) و(سميرة) و(عبير) و(مريم) و(هالة) و(خيرية) و(سناء) و(تهاني) و(حور) و(دعاء) و(يسرا) و... و... وأخريات لا أتذكر أسمائهن الآن!

أعطيتها الرقم ليطمئن قلبها، وحتَّى لا تظن أني تخليت عنها، أتمنى فقط ألَّا تتصل بي كل دقيقة لتطمئن على صحتِي.

أنا بخير يا (سالي).

***

حياتي في منتهى الملل يا سادة!.. عندما تموت وتعيش وتموت وتعيش وتموت وتعيش وتموت وتعيش وتموت وتعيش وتموت وتعيش، ستعرف أن الحياة مملة! صدقني.. إن البشر العاديين الذين يموتون مرة واحدة فقط هُم في الواقع يعيشون

حياة مليئة بالإثارة و(الأكشن).. ربما لا تفهم منطقي.. حسنًا.. سأعطيك مثال لتوضيح نظريتي: لو أنك تلعب لعبة إليكترونية، ولديك ثلاث فرص فقط للنجاة، أو ثلاث قلوب على الشاشة للتعبير عن الحياة، ستلعب بمنتهى الإثارة والحذر خشية أن تفقد الثلاث فرص.. ماذا لو أنك فقدت (قلب) في اللعبة أو فقدت حياة بمعنى آخر؟ ستصبح اللعبة أكثر إثارة.. ماذا لو لم يتبقَ لك سوى (قلب) واحد؟ فرصة أخيرة للعب، ستلعب بمنتهى الإثارة لأنك تخشى الموت داخل اللعبة في أي لحظة.. كل هذه الإثارة في مجرد لعبة! فما بالك بالحياة نفسها؟!

ماذا لو لعبت نفس اللعبة لكن بتغيير بسيط في (الخيارات)؟! أن تلعب باستمرار دون توقف، دون فقد أي حياة، تخيل أن مصمم اللعبة قد جعلها تستمر للأبد، مهما خسرت تستطيع اِستكمال اللعب والفوز بنقاط جديدة، تتحطم سيارتك فتجد غيرها في الحال وتكمل اللعب، تسقط من الجبل فتجد نفسك بالأعلى مرة أخرى، يلتهمك الوحش فتجد نفسك واقفًا أمامه مجددًا، أين الإثارة هنا يا سادة؟!، ستكون ألعاب في غاية الملل.

إن اِحتمال الخسارة عامل مهم من أجل الإثارة والمتعة.. هذا معروف في عالم الألعاب، فلو أنك تخسر طوال الوقت لشعرت بالإحباط، لو فزت طوال الوقت لشعرت بالملل!

مثلًا: لو أنك تجلس في البرنامج الشهير (من سيربح المليار؟).. ولكن لا يوجد احتمال للخسارة.. اتفق منتجو البرنامج أنك ستكمل الأسئلة حتَّى تربح المليار في النهاية، إذا أخطأت في سؤال يعطونك سؤال آخر بديل وتستمر في اللعب حتَّى تستطيع الإجابة على كل الأسئلة مهما حدث، أين الإثارة هنا؟!.. أما لو أنهم قرروا أن تخسر كل ما كسبته إذا أخفقت في إجابة أي سؤال حتَّى لو كان السؤال الأخير، فسيصبح الأمر في منتهى الإثارة، تشويق أكثر من مباريات كأس العالم!

لذا عندما صدمتني سيارة أثناء عبوري الطريق بينما كنت شاردًا أفكر في أمر (سالي).. لم أهتم كثيراً بما حدث، نهضت من مكاني وأكملت السير وسط نظرات دهشة السائق.. لا شيء يمكن أن يحدث لي!.. اطمئنى يا (سالي)، أرجوكِ لا تتصلي.

لكنها فعلت!

***

كما توقعت.. راحت (سالي) تتصل بي كل ربع ساعة تقريبًا، صار الأمر مملًا أكثر من الملل نفسه، كيف أطلب منها عدم الاتصال دون أن أجرح مشاعرها؟!

ـ أرجوكِ.. لا تتصلي بي مرة أخرى.. إلَّا إذا كان الأمر ضروريًّا.. أنكِ تموتين مثلًا.

أظن أني قد جرحت مشاعرها وربما أسوأ، اعتذرت كعادتها ووعدتني بعدم الاتصال مرة أخرى، لكني سمعت رنة هاتفي مجددًا، ظننت أنها هي.

ـ ألو، أين أنت يا (مراد)؟

لم تكنْ (سالي)، كان العميل (كبش ع مراد)، قلت له:

ـ الزوج لم يأتِ.

ـ أعلم، ولكن البواب أخبرني أنك أحضرت فتاة معك.

ـ إنها... أأأ... إنها...

ـ لا يهمني أن أعرف.. الشقة ملكك حتَّى انتهاء المهمة، افعل ما بدا لك فيها لكن حافظ على الأثاث، ستجد في الثلاجة طعام.. تناول منه ما شئت، وإذا احتجت أي شيء أخبرني، المهم أن تبقى في الشقة حتَّى يجدك الزوج.

ـ لدي مهام أخرى أقوم بها.

ـ لن أعطلك عن مهامك، فقط عُد إلى الشقة عندما تنتهي منها.

دخلت السينما وشاهدت الفيلم الجديد (حرب المجرات ـ الجزء الثاني عشر: عودة أبوللو)، بعدها ذهبت إلى المطعم تناولت وجبة الغداء ثمَّ عدت إلى المنزل.

استقبلتنى (سالي) بابتسامة كبيرة، لمحت بقعة حمراء على البدلة.. ربما ظنت أنها أحمر شفاه من إحدى صديقاتي العاهرات، قلت بصدق:

ـ إنها من وجبة الغداء.

ظهر الغضب الشديد على ملامح وجهها.. لم أتوقع ذلك إطلاقًا، ليتنى قلت أنها أحمر شفاه.. ربما كانت ستغضب أقل. سألتني بحنق:

ـ هل أكلت بالخارج؟!

لا أعلم ما الخطأ في ذلك، لكني أجبتها:

ـ نعم، في المطعم.

ذهبت إلى غرفتها غاضبة وهي تقول:

ـ لقد صنعت لك وجبة الغداء وكنت أنتظرك.

وصفقت الباب خلفها بعنف، السؤال الأول: هل تظن نفسها زوجتى؟.. والسؤال الأهم: هل تظن أن وجبة غداء ستمنعني من تناول الغداء مرة أخرى؟! إنها لا تعلم أنني أتناول وجبة الغداء أكثر من مرة في أكثر من مطعم.

دخلت غرفتي لأنام قليلًا، ليس لديّ بال رائق لهذه المشاكل النسائية التافهة، متى يأتي خطيبها ليخلصني منها؟!

لكني.. لم أستطعْ النوم!

شعرت بتأنيب ضمير وكنت أظن أن ضميري ميتًا مثل قلبي ومثل مراكز الإحساس، طرقت بابها وسألتها:

ـ لماذا لا تأكلين؟!

ـ لا أريد.

ـ ولكني أريد.

ـ لا، أنت أكلت بالخارج.

ـ وجبة خفيفة.. والدليل أني جائع الآن، هيا أحضرى الغداء لنتناوله سويًّا و..

وقبل أن أكمل جملتي كانت قد فتحت الباب، كنت أظن أنها ستحتاج إلى ساعة من الإلحاح المتواصل كعادة النساء عندما يغضبن، لكن يبدو أنها كانت تموت جوعًا بالداخل، أو أنها لا تحب الخصام.

كان الغداء شهيًّا جدًا.. أعترف بذلك، وجبة الغداء أثبتت أنها طاهية ماهرة من الدرجة الأولى، وأنا الذي أكلت في مطاعم البلاد كلها يمكن أن أميز بين الطهي الجيد والطهي الممتاز جدًا.

ولقد أكلت وجبات منزلية كثيرة من قبل، كانت أحيانًا من طهي العميلة أو بنت العميل أو زوجة العميل، أيضًا خطيباتي كن يدعونني لتناول بعض الوجبات في منازلهن، سواء كان من طهيهن كما تدّعين أو من طهي أمهاتهن، لكني لم أذق في حياتي طعام أفضل من الطعام الذي صنعته (فوزية).. من هي (فوزية)؟ (فوزية) كانت زوجة العميل، لقد وافق على أن أتناول الغداء والعشاء مع زوجته بمفردنا في شقته حتَّى يظن القاتل أنني زوجها فعلًا، كانت إحدى مهام (الميت الكبش / الزوج)، كانت الزوجة على علاقة برجل خطير قبل زواجها، قرر العشيق أن ينتقم منها بعد خروجه من السجن في قضية مخدرات، أراد أن ينتقم لأنها لم تنتظر خروجه وتزوجت واحدًا غيره، لذا يضطر الزوج للاستعانة بي لأموت بدلًا منه، لذا لا مانع من بعض التضحيات مثل إعداد زوجته الطعام لي وتناوله معي أو الخروج معها ليظن القاتل أنني الزوج حتما، ربما أبيت أيضًا عدة ليالي حتَّى يتأكد العشيق أنني الزوج حقًا فربما كان يراقب المنزل ليلًا، لكن بالطبع كنت أبيت في غرفة غير غرفة نوم الزوجين، المرة الوحيدة التي نمت فيها مع الزوجة على فراش

واحد كان الزوج ينام أسفل فراشنا منتظرًا قدوم القاتل، يتحمل الزوج كل هذا من أجل إنقاذ حياته.

نعود لموضوعنا.. طبيخ (فوزية) كان أشهى ما تذوقت في حياتي التي أتذكرها، الآن فقط أقول أن طبيخ (سالي) قد حطم أسطورة طبيخ (فوزية).. باحتساب النقاط وبالطبخة القاضية.

عندما اِنتهينا من تناول وجبة الغداء سألتني متأهبة متحفزة:

ـ هل أعجبك؟

قلت بمنتهي الحماس:

ـ جدًا.. ألا ترين أني قد أنهيت كل الأطباق؟!

اِبتسمت وراحت ترفع الأطباق الفارغة عن المنضدة وتقول:

ـ يبدو أنك لم تتناول شيئًا بالخارج.

لا داعى أن أخبرها أني تناولت وجبة عائلية كبيرة في المطعم قبل هذه الوجبة، وليس من الضروري أيضًا أن أصدمها بحقيقة أني تناولت وجبة الغداء عشر مرات في أحد الأيام، وأعتقد أنها ستموت مصعوقة إذا أخبرتها أني أريد المزيد من الطعام الآن.

قالت بغموض أنثوي:

ـ أريد أن أخبرك بخبر سيئ.

***

(13)

الآن فهمت، الوجبة كانت لذيذة للغاية لأن بعدها سأتلقى خبر سيئ للغاية، يا لدهاء النساء!.. لا يتوقفن عن هذه الحيلة أبدًا.. أخبرينى يا فتاة.. ما الأمر؟

ـ اتصلت بخطيبي وقال أنه سيصل بعد خمس أيام، لذا ستتحملني خمس أيام أخرى.

قلت لنفسى (هل هذا هو الخبر السيئ؟!).. ربما هو خبر سيئ لأني أريدها أن تمكث معي أكثر من ذلك، أريدها أن تطبخ لي كل يوم بدلا من خمس أيام فقط، أريدها أن تعد لي خمس وجبات للغداء في اليوم، ربما لو أخبرتني بهذا الخبر قبل الغداء لغضبت بشدة لأنه سيتأخر كل هذا الوقت وكانت لديّ رغبة ملحة في التخلص منها! لكن الحال قد تغير بعد أسطورة الغداء.

جلسنا على الأريكة نشاهد التليفزيون، قبضت على الريموت كنترول بقوة حتَّى لا تفكر في الاستيلاء عليه.. لن يتكرر ما فعلته بالأمس يا فتاة.. أعترف أن فيلم (العشق في زمن الطاعون) كان جميلًا.. لكن فيلم رومانسي واحد في العمر أو العام أو حتَّى الشهر يكفي جدًا، أما نظام (فيلم رومانسي كل يوم) هذا مضر جدًا بالصحة! حتَّى بالنسبة لشخص مثلي لا يموت!

كانت (سالي) تلقى نظرة على الريموت كنترول كل دقيقة ونصف، وأنا أضغط عليه بقوة لتصلها الرسالة، قررت أخيراً أن تمد يدها نحوه، فأبعدت يديّ الممسكة به بعيدًا جدًا عنها، اِستسلمت وعادت إلى مكانها، وسألتني:

ـ ماذا تشاهد؟

ـ فيلم رائع.

ـ رعب أيضًا؟

ـ ألا ترين؟

ـ دعنى أختار لك فيلمًا جميلًا من القائمة أو نبحث عن قناة أفضل، ألم يعجبك فيلم الأمس؟!

ـ دعينا نشاهد هذا الفيلم.. تابعيه وسوف يعجبك.. جربي، ألم أسمع نصيحتك بالأمس وجربت المشاهدة؟ جربي أنتِ نصيحتِي اليوم.

ـ ما اِسمه؟

ـ اسم شيق وجذاب.. (كيف تأكل زوجتك دون أن تجرح أمعائها؟)

لا شك أن الاسم صدمها.. ربما تسمعه لأول مرة.. رغم أن الفيلم شهير ويعتبر من أشهر أفلام الرعب في السنوات الماضية وقد حقق إيرادات فاقت التوقعات وقت عرضه.

ـ اسم سخيف ومقرف.

ـ طبعًا تفضلين اسم مثل (العشق في زمن إنفلونزا الطيور).

كان المشهد على الشاشة لرجل ضخم الجثة مشوه في جميع أجزاء جسده وخاصة وجهه يتناول بنهمٍ شديد جثة آدمية متعفنة أمامه على الأرض، والأمعاء تظهر بوضوح على الشاشة الكبيرة أمامنا، كأنها أمعاء حقيقية، قالت الفتاة الرقيقة:

ـ يع!

ـ على فكرة.. فيلم الأمس كان به مشاهد مقززة أيضًا.

ـ نعم، لكنها ليست بمثل هذه المشاهد، لا أعلم كيف تتحمل مشاهدتها!

ـ أنا أستمتع بمشاهدتها.. أفلام خيالية رائعة متقنة الصنع!

حاولت (سالي) مجددًا السطو على الريموت كنترول وفشلت المحاولة بجدارة، جاءتها الفكرة فنهضت من مكانها على الفور واتجهت إلى التليفزيون نفسه وراحت تغيّر القناة من هناك، إنها فتاة ماكرة! وصلت للقنوات الرومانسية التي تريدها بعد عناء شديد وصبر، فقمت بإعادة قناتي المفضلة بضغطة واحدة على الريموت كنترول، غضبت (سالي) وحاولت مجددًا. فهزمتها مرة أخرى بضغطة واحدة.. لا فائدة يا عزيزتي.. الريموت كنترول يفوز دائمًا.

اِستشاطت غضبًا واتجهت نحوي وكلها إصرار.. يا للمرح! فلنلعب لعبة (من سيفوز؟).. أبعدت الريموت كنترول عن متناول يدها فقفزت فوقي بجسدها الرشيق وكل تفكيرها محصور في الفوز بهذه المعركة، التصقت بي التصاقا، أعترف أنني قد التصقت بأجساد نسائية كثيرة من قبل ومنهن من كانت عارية تمامًا لكني لم أشعر أبدًا بمثل هذا الإحساس الغريب وجسدي ملتصق بجسدها في تلك اللحظة، أنا الذي لا أشعر بأي ألم أكتشف إحساسًا جديدًا لم أعهده من قبل.. إحساس لا أدري كونه ولا أستطيع تفسيره.. بخلاف إحساس السعادة أني انتصرت عليها، اشتدت المعركة فسقطنا فجأة من الأريكة على الأرض لأجد جسدى فوقها تمامًا محتضنا إياها كأي عاشقين على الرمال في جزيرة الغرام وما زالت العنيدة مصممة على الفوز بالجهاز، ثمَّ انتبهت فجأة إلى الوضع الحساس الحرج الذي أصبحنا عليه أثناء الشجار فتحمر وجهها خجلًا وأزاحتني بعنف عنها ونهضت بسرعة لتعدل ملابسها، لمحت عيناها ما يُعرض على الشاشة، فشعرت بالتقزز الشديد، ثمَّ فجأة.. أفرغت ما في جوفها على وجهي وملابسي.

التفت بسرعة إلى الشاشة لأعرف السبب، لم يكنْ المشهد مقززًا لهذه الدرجة يا طفلتي الصغيرة!.. هرعت (سالي) إلى الحمام لتنظف نفسها، أو ربما لتفرغ أكثر إذا كان المشهد لا يزال عالقا في ذاكرتها.

ما ستفعل هذه المسكينة إذا شاهدت فيلم مثل (من فضلك ابصق على قبري قبل أن تأكل معدتي)؟!

عندما عادت (سالي) من الحمام اِعتذرت لى على الفوضى التي سببتها لي، طفلتي الصغيرة لا تعلم شيئًا عن حياتي الماضية، لن أخبرها عن ذكرياتي المقززة.. خاصة مهمة (ميت في المجاري) أو (ميت في الوحل).. كانت أيام لعينة بحق! لا زالت الرائحة عالقة في ذاكرتي!

ـ لا يهمك.. سأنظف نفسي الآن وأستحم.

مددت لها يديّ بالريموت كنترول باستسلام، رفضت بابتسامة رقيقة ودخلت غرفتها بهدوء، حسنًا كما ترغبين يا فتاتي.. لن ألح عليكِ.. لن أفوّت هذا الفيلم الرهيب من أجل إرضائك.. سأتابع المشاهدة، وأنظف الفوضى وأستحم فيما بعد.. لا أريد أن يفوتني مشهد.

***

في المساء..

طرقت باب غرفتها بهدوء.. لم ترد، ناديتها باسمها:

ـ (سالي).. يا (سالي).

لم ترد، يبدو أن الخصام شديد هذه المرة، ظننت أنها مختلفة عن باقي جنسها.

ـ افتحى الباب، أريدك في أمر هام.

لا ترد، حسنًا.. ليس أمامي سوى التهديد.

ـ افتحي وإلا اقتحمت الغرفة.

لم تفتح الباب و لم ترد، هذا لا يعني سوى شيء واحد.. يا إلهي! هل استجاب الله لدعائي وماتت؟! لكني لم أعد أتمنى موتها الآن، كيف سأتخلص من جثتها؟! إن صاحب الشقة يتوقع جثتي.. لا جثتها.

فتحت الباب عنوة.. كانت نائمة على السرير تغط في نوم عميق، تضع سدادات صناعية على أذنها، أعلم هذا النوع من السدادات المتطورة.. لو انفجرت قنبلة بجوار بيتكم لن تسمع صوتها، ربما وضعتها حتَّى لا تسمع الأصوات المرعبة الصادرة من الفيلم المرعب الجميل.

هززتها فاستيقظت، لاحظت غضبها لأني اقتحمت خصوصيتها ودخلت غرفتها بدون استئذان لكن يبدو أنها تذكرت في نفس اللحظة أنها ليست غرفتها وليست شقتها من الأساس، طبعًا لم أخبرها أنها ليست شقتي أيضًا!، اعتذرت لها بهدوء لأعطي لها انطباع جيد عني ولا أعلم سبب ذلك:

ـ آسف.. لكني قد طرقت الباب كثيرا وناديت عليك مرارًا لكنك لم تسمعيني بسبب السدادات، آسف لأني دخلت غرفتك بدون إذنك.. لكني كنت قلق أن تكوني قد...

لم أكمل.. لقد فهمت ما أردت قوله، واختفي غضبها في لحظة، وربما شعرت بالامتنان نحوي لأني قلقت عليها، لا تعلم أن سبب قلقي الحقيقي هو صعوبة التخلص من جثتها إذا ماتت هنا.. هذه ليست شقتي يا آنسة، إذا أردتِ الموت يمكنني أن أخبرك بألف مكان مناسب لكِ.. والوسيلة المناسبة أيضًا.

ـ أنا بخير.

قالتها بابتسامة هادئة، بادلتها الابتسام، وقلت:

ـ كنت أريد أن أدعوكِ على العشاء بالخارج.

تذكرت في نفس اللحظة آخر مرة قلت فيها مثل هذه الجملة، "كنت أريد أن أدعوكِ على العشاء بالخارج يا (علا) "، من (علا)؟! خطيبة سابقة، كان عشاء فاخرًا بحق في أشهر مطعم في البلدة، لكنه كان آخر عشاء لي معها، لأننا في اليوم التالي ذهبنا إلى محل الذهب لاختيار الشبكة المناسبة مع عائلتها والفرحة تطل من

جميع الأعين، عائلتي المزيفة استولت على (الشبكة) و فرّت هاربة من المحل دون أن ينتبه أحد، وتورط أهل (علا) في دفع ثمَّن الذهب المسروق ـ لأصحاب المحل- حتَّى لا يتعرضوا للسجن، بينما أنا أجلس بجوارهم على المقعد جثة هامدة داخل المحل، لقد تظاهرت بالموت، توقف قلبي فجأة نتيجة صدمة عصيبة عنيفة عندما رأيت أهلي يهربون بالذهب ويتركوني وحيدًا، أليس هذا سببًا كافيًا للصدمة؟!، كانت عملية سرقة ذكية خططنا لها لمدة أسبوع ودوري فيها هو أن أخطب (علا) أو أي فتاة أخرى ثمَّ أموت في محل الذهب، لقد تخلص أصحاب المحل من جثتي في منطقة بعيدة عن السكان عندما لم يعرفوا أهل لي وحتَّى لا يتعرضوا للاستجواب، وأهل (علا) قد تبرأوا مني ومن جثتي، يكفي ما دفعوه من أموال للتخلص من تهمة السرقة، وتكفل أصحاب المحل بمهمة التخلص من جثتي، صفقة عادلة بين الطرفين، وعاد أهل (علا) إلى منازلهم والحزن يطل من جميع الأعين، أما أنا فاتصلت بالعصابة وحصلت على نسبتي من الذهب المسروق، وكالعادة فكروا في قتلي والتخلص مني لذا أخذت نسبة جديدة من الذهب نفسه، حفاظًا على أرواحهم، نفس ما حدث في مهمة (خ ـ 12)، هل تذكرونها؟!، دائمًا يريديون تجربة قتلي ودائمًا يدفعون الثمَّن وأنا المستفيد في النهاية، كانت صفقة رائعة! ومهمة في غاية السهولة، لا أعرف ما حدث بعد ذلك لـ (علا) لكنها لم تكنْ الهدف ولا عائلتها، كان المطلوب مني أن أخطب أي واحدة والسلام.. من أجل الذهاب إلى محل الذهب واختيار شبكة غالية جدًا معها ثمَّ هروب عائلتي بها في غفلة منهم، ثمَّ اكتشاف السرقة، ثمَّ الصدمة العصبية فالتظاهر بالموت داخل المحل، ثمَّ يدفع أهل خطيبتي المبلغ لأصحاب المحل والعودة إلى منازلهم سالمين، ثمَّ التخلص من جثتي التي لا يجدون لها أهل، ربما أكرر مهمة (الموت عند الصاغة) مرة أخرى شريكًا مع نفس العائلة المزيفة في محل ذهب آخر مع خطيبة أخرى لها أهل لا يهتمون بالسؤال عن العريس.

***

قالت (سالي):

ـ لا، لدينا طعام كثير، يمكنني أن أعد لك وجبة ممتازة، دون أن تدفع مليمًا.

هل تظن نفسها زوجتي لتحاول تخفيض المصروفات؟ أنا لم أعطها مصروف البيت لتظن ذلك، ثمَّ إنها دفعت ثمَّن وجبة عشاء الأمس، ومن الطبيعي أن أدعوها أنا هذه المرة، أم أنها تظن أني أريد توريطها في وجبة هذه الليلة أيضًا؟!

ـ لقد كنت سخيفًا جدًا معكِ اليوم وأريد أن أعتذر لكِ لذا أرجو أن تقبلي هذه الدعوة.

ـ لا، بل كنت أنا السخيفة، أنسى دومًا أنني ضيفة هنا، ويكفي أنك وافقت على إقامتي عندك دون أي مقابل.

ـ ومن قال أنني لن أحصل على مقابل؟!

لا بد أن الشك قد ساورها، وظنت بي الظنون، وحتَّى لا يطير عقلها بعيدًا قلت بسرعة:

ـ إن وجبة غداء اليوم لا تقدر بثمَّن، أشهي طعام أكلته في حياتي، ربما أدفع نصف عمري كله في تناول وجبة أخرى مثلها.

قالت بابتسامة خجولة:

ـ أنت تبالغ جدًا!

لو أنها علمت سنوات عمري الحقيقي لعرفت أني أبالغ أكثر مِمَّا تظن، تابعت قائلة:

ـ حسنًا.. طالما أن الغداء قد أعجبك.. سوف أعد لك عشاء رائعًا مثله.

ـ لا، أنا مصمم على العشاء بالخارج، أنتِ بقيت بالمنزل طوال اليوم.. لا بد أن تخرجي قليلًا، هذا مفيد لصحتك ولحالتك النفسية.

وفي المطعم.. تركت لها حرية اختيار ما سنأكله، وضع النادل أمامنا جميع الأطباق التي طلبتها، قالت بفزعٍ:

ـ أظن أن هذه الوجبة غالية جدًا، ثمَّ إن المطعم راقي جدًا، أظن أن سعرها سيفوق توقعاتك، لماذا لا يكتبون السعر أمام الطبق في القائمة؟! على أي حال سأشارك معك في ثمَّن الوجبة.. بأي نسبة تريدها، أنا مدينة لك بحياتي.

قلت بصرامة:

ـ لقد أخبرتك أن هذه الدعوة على حسابي، لا تناقشيني في هذا الموضوع مرة أخرى، وأريد منك طلب آخر، لا تذكري أني أنقذت حياتك مرة أخرى، أنا لم أفعل المستحيل.. كنت أمرّ من هناك وسمعتك وأخرجتك، ليس عملًا بطوليًّا ولستِ مدينة لي بأي شيء.

ـ أنت متواضع للغاية! لا تقدر نفسك حق قدرها.. أنت بطل!

تكرر الساذجة كلمة (بطل) أمامي مرة أخرى، هل أخبرها بمهنتي الآن لتتوقف عن تكرارها؟! هل أخبرها عن خطيباتي السابقات اللاتي انتحرن واللاتي تعرضن لصدمات نفسية نتيجة هروبي أو موتي أو فضحهن أمام عائلاتهن؟ هل أخبرها عن النساء اللاتي لوثت سُمعتهن أمام أزواجهن لمجرد الظفر ببعض آلاف من الجنيهات من العميل؟.. كان الزوج يعود من عمله فيجدني عاريًا وأفتح له الباب بنفسي وزوجته لا تعلم شيئًا عن وجودي.. لكنه لن يصدقها، ولا يهم إن قتلني فالموت هو مهنتي، هل أخبرها عن الأزواج الذين دخلوا السجن لاعتقادهم أنهم قتلوني بعد هذا المشهد المشين؟! هل أخبرها عن الزوجات اللاتي قُتلن على أيدي أزواجهن في مثل هذه المهام؟! هل أخبرها عن الزوجات اللاتي انتحرن خوفًا من الفضائح بعد رؤية أزواجهن لهن في مثل هذه المواقف الملفقة؟!.. حياتي كلها كذب وتلفيق وتزوير للحقائق وتزييف للموت وقذارة.. كل هذا وتتصور أني بطل!! ربما

لو حكيت لها مهمة واحدة فقط منهم لأفرغت ما في جوفها على ملابسي لمدة ساعة ولقذفت الأطباق في وجهي وربما طعنتني بالشوكة والسكين التي تتناول بها الطعام.

"شكرًا لك.. أنا سعيدة جدًا".

قالتها ولمسة حانية دافئة من أصابعها الرقيقة على أصابعي وابتسامة هادئة تنير وجهها.

ما الذي يحدث لي بالضبط؟!

إنها مجرد لمسة! اللعنة.. إن هذه الفتاة تثير حيرتي بما يحدث لي، إنها ليست أول اِمرأة في حياتي.. إنها ليست في حياتي من الأساس، مجرد شريكة سكن.. ضيفة ثقيلة.. ليست خطيبتي ولا زوجتي ولا حبيبتي، لقد قابلت نساء في حياتى يفوق عدد لاعبي نادي (القمر) ومشجعيه.

هززت رأسي لها مبتسمًا وأكملت طعامي وأنا أقول:

ـ ألم أقل لكِ أنكِ تحتاجين للخروج؟!

ـ عفوًا، هل يمكن أن أسألك سؤال؟

ـ تفضلى.

ـ ألاحظ أن عيناك تنظر بين الحين والآخر إلى نقطة ما خلفي، هل هناك امرأة جذابة؟!

ـ لا، لكن هذا الرجل.. ينظر نحوكِ بنظرات مريبة.

ـ نحوي أنا؟!

ثمَّ حاولت الالتفات للخلف فقلت لها:

ـ لا تنظري له.. لا تعيريه أدنى اهتمام.

ـ نظرات مريبة! كيف؟! لا أفهم.

ـ عيناه لا تفارق جسدك بنظرات مستفزة حقيرة، ثمَّ يتحدث مع صديقه ويضحك ضحكات سخيفة، لقد طلبت منكِ ألا ترتدي هذا الفستان الفاضح، لكنكِ عاندت.

ابتسمت الفتاة وقالت بخجلٍ:

ـ لم أجد غيره يناسبني، ثمَّ إنه مخصص للخروج الليلي ولمثل هذه الأماكن الفاخرة.

ثمَّ سألتنى فجأة:

ـ هل هذه غيرة؟!

نهضت فجأة وقلت:

ـ ما هذا؟! لا بد أن أضع حدًا.. إنه رجل وقح، لقد رأيتك يا كلب.

نهضت (سالي) من مقعدها لتمنعني وسألتني بدهشةٍ:

ـ ما الذي حدث؟! أنس أمره.

ـ لا.. لا تشغلي بالك، ابق بمكانك، لا تتدخلي.

ـ لا، أرجوك.. لا تفعل، لا نريد فضائح.

لا تعرف أنني لا أخشى الفضائح، بل أبحث عن الفضائح، تابعت قائلة:

ـ أيا كان ما فعله، أنا سامحته.

ـ لكني لم أسامحه، أنتِ لا تعرفي ما فعله.

ـ ما الذي فعله؟!

تملصت منها واتجهت نحوه. فنظرت (سالي) إلى الرجل المقصود وقالت بفزعٍ:

ـ يا إلهي! إن بحوذته مسدس.. اِرجع يا مجنون، إنه شرطي.

***

(14)

اتجهت إليه ولم أخف من المسدس الراقد في جرابه المعلق في حزامه، أصبحتم تعرفون السبب، أنا لا أخاف الموت. صحت بصوت سمعه جميع رواد المطعم:

ـ أنت وقح، كيف تعاكس خطيبتي؟!

نهض الرجل بهدوء، وقال:

ـ أولًا: اخفض صوتك، نحن في مكان عام، ثانيا: هل توجّه هذا الحديث لي؟

ـ نعم، هل تظن أن مهنتك تحميك؟، أتظن أنه بإمكانك أن تفعل ما يحلو لك؟

سمعت صيحات الإعجاب من بعض رواد المطعم الذين صاروا يتابعون ما يحدث، بينما أنهمك الباقي في تناول طعامه والاهتمام بشئونه الخاصة.

ـ عُد إلى مكانك يا أستاذ، أنا لم أفعل شيئًا ولا أعرف خطيبتك حتَّى، ولم أنظر ناحيتها.

ـ أهاه، لأنك في مكان عام تحاول التظاهر بالأدب والأخلاق العالية، وعندما أعود لمنزلي تستدعيني في مكان عملك وتنتقم مني وأختفى فجأة بعدها ولا يعرف أهلي أي شيء عني.. لا.. إذا أردت تصفية الحساب فهذا هو المكان المناسب.. رَجُلًا لرجل.

ـ لا أعرف عم تتحدث!

تدخل النادل ليفض الشجار، وقف حائلًا بيني وبينه وقال:

ـ أرجوكم، هذا غير مسموح به هنا، من فضلكم عودوا إلى مقاعدكم وإلَّا استدعيت الأمن.

صاح الضابط قائلًا:

ـ (أمن؟)، أنا الأمن.. أنا الشرطة.. أنا الذي أحميكم من أمثال هؤلاء.

صحت قائلًا:

ـ أمثال هؤلاء! تقصد الشعب؟!.. (أنتم الأسياد والباقي خدامكم)، أليس كذلك؟

اقترب مني وقال:

ـ بل أقصد أمثالك من المجانين.

ـ (مجنون)! أهاه، كعادتكم الشهيرة، تقتلون وتدّعون بعدها أن القتيل كان مجنون.

سمعت صيحات التأييد من بعض المتابعين الذين ازداد عددهم وانضم إليهم بعض المارين خارج المطعم.

تدخل نادل آخر فأزاحه الضابط جانبًا فسقط أرضًا، ثمَّ انتبه إلى ذلك فانحنى نحوه ليساعده، انتهزت الفرصة وأخرجت مسدسه من جرابه ووجهته نحوه، لوحت بالمسدس في اتجاهه قائلًا:

ـ والآن.. السلاح معي، هل تشعر بالقوة والسطوة التي كنت تشعر بها منذ دقائق؟!

تكهرب الموقف، وسمعت تصفيق خافت من بعض الرجال والسيدات الواقفين بعيدًا، أما الضابط فقد حافظ على هدوئه وأنا أعلم جيدًا أن براكين الغضب تثور بداخله، مد يده نحوي وقال بهدوء:

ـ اعطني المسدس، لا تورط نفسك.

اندفعت (سالي) نحوي وقالت:

ـ ما الذي تفعله يا مجنون؟!، اعطه المسدس وهيا نرحل من هنا.

ـ اسمع كلام خطيبتك، إنها تريد مصلحتك.

صحت غاضبًا فيه:

ـ ليس لك شأن بها.

ثمَّ التفت إليها وقلت:

ـ ألم أطلب منك أن تجلسي في مكانك حتَّى أسوى الأمر مع هذا الحقير؟!

وفجأة أصبح المسدس في حوزته، لم أنتبه لتحركاته أثناء حديثي مع (سالي) التي كانت في غاية الرعب والذعر، صوّب الضابط مسدسه ناحيتي وقال:

ـ ما رأيك الآن؟! من منا الحقير؟!

نهض صديقه الذي كان هادئًا طوال الوقت وقال:

ـ اهدأ يا (وحيد)، تمالك أعصابك.

تكهرب الموقف أكثر وصار معظم رواد المطعم يتابعون ما يحدث بقلق شديد، مواجهة بين رجل مدني وشرطي، والكل يعلم جيدًا من سيفوز في النهاية كالعادة، قلت بشجاعةٍ:

ـ ستقتلني الآن، عرفت نهايتي، وسيخرج الوزير ويقول: (حالة فردية).

تعالت الصيحات مستنكرة ما سيحدث لاحقًا، حاول صديقه أن يثنيه عما سيفعله إن كان يفكر في فعله، لا أحد منا يعلم.. الله وحده يعلم.

نظر الضابط حوله، هناك مئات الشهود، أعاد المسدس إلى جرابه وقال:

ـ سوء تفاهم يا حضرات، فليعد الجميع إلى مكانه.

وعاد إلى مكانه وكأن شيئًا لم يكنْ، وعاد بعض الناس ظنا منهم أن الموقف قد انتهى، قلت بغضبٍ:

ـ أنت جبان.

سمعت الشهقات وأظن أن البعض كان يحسدني على هذه الجرأة الكبيرة في مواجهة شرطي في هذا الزمن، نهض من مكانه ولكمني في وجهي لكمة قوية جدًا، أعرف ذلك من تأثيرها وليس من الألم، لا ألم على الإطلاق، صاح:

ـ احفظ لسانك. واعرف إلى من تتحدث. يبدو أنك قد أفرطت في الشرب.. بطاقتك؟

وضعت يديّ داخل جيبي كأني سأخرج بطاقة، ربما لا تعلمون أنني لا أملك بطاقة، أنا لا أملك اسما أصلًا، لا أعرف متى ولدت.. أين ولدت.. من أين أتيت.. من أكون، لا أعلم شيئًا، الخانة الوحيدة التي أعلمها.. خانة المهنة، أخرجت يديّ من جيبي رافعًا الإصبع في وجهه بحركة بذيئة تثير غضب أي رجل فما بالك بشرطي؟!، أمسكني الرجل من ياقتي وقال بصرامة:

ـ هيا، ستأتي معي إلى القسم لنعرف حكايتك.

تشبثت بالمنضدة وقلت:

ـ أعرف ما ستفعلون، ستعذبونني حتّى الموت.

اندفعت (سالي) نحو الضابط وراحت تتوسل له:

ـ أرجوك.. أرجوك.. هو لم يقصد، أرجوك.. اتركه.

لا أعرف مشاعر (سالي) في تلك اللحظة، هل هي خائفة على مستقبلي أو ما سيحدث لي؟! أم أنها خائفة على نفسها؟! لأنها تبيت عندي فلو أني ذهبت إلى

القسم لن تجد مكان تذهب إليه، أم أنها خائفة على نفسها لأنها بصحبتي وقد تتورط في الأمر؟!، نظر لها (وحيد) من أعلى إلى أسفل بنظرةٍ أمنية خبيرة:

ـ هل أنتِ خطيبته التي يتحدث عنها؟.. لقد تجاوز خطيبك الحدود.

ـ آسفة جدًا.. لقد أفرط في الشرب، سآخذه ونرحل، أرجوك.. نحن لا نريد أي مشاكل، ونحترم الشرطة ورجالها.

قال صديقه:

ـ دعه يا (وحيد)، لا نريد مشاكل من هذا النوع حاليًا، أنت تفهم ما أعنيه.

تركني، فاندفعت نحوه بقوة ودفعت جسده أمامي حتَّى وصلت إلى الحائط وصحت بصوت غاضب سمعه جميع رواد المطعم والمطاعم المجاورة:

ـ يا سافل يا حقير يا نذل، تتلمس جسد خطيبتي أمامي مقابل أن تتركني.

واشتعل الموقف بقوة وأنا أضغط بجسدي على جسد الضابط والحائط خلفه يمنعه من الحركة أمام إعصار غضبي الشديد، و(سالي) خلفي تقول باكية:

ـ أرجوك توقف.. أرجوك، هو لم يفعل شيئًا معي.

ـ لا تكذبي، لا تخافي منه.. إلى متى سنخاف منهم؟!.. لقد رأيته بنفسي.

انتهز فرصة حديثي معها ودفعني بعيدًا، حتَّى سقطت أرضًا، عدّل ملابسه وقال:

ـ لقد جنيت على نفسك.

واندفع نحوي بغضبٍ، قالت (سالي) باكية:

ـ أرجوك.

ـ لقد أخذ فرصته.. الآن لن أرحمه.

هبط بجسده فوقي وراح يكيل اللكمات لي أمام الجميع، في البداية كان

يتعاطف البعض معي، بعد قليل من الوقت تعاطف الجميع معي حتَّى صاح البعض بكلمات مثل (كفي) و(هناك قانون) و(ستقتله يا مجرم) و(توقف يا بلطجي)، توقف أخيراً وهو يرى الدم يسيل من فمي ويديه، نهض أخيرا ثمَّ قبض على ياقة قميصي ورفع جسدي كما ترفع دجاجة مذبوحة من رأسها، قال:

- هيا إلى القسم.

منعه صديقه قائلًا:

- كفى يا (وحيد)، اتركه وهيا بنا نغادر هذا المكان.

بدأ يسمع كلمات مثل (بلطجية) و(مجرمين) و(قتلة) و(سفاحين)، تلفت (وحيد) حوله ليبحث عمن يتفوه بمثل هذه الكلمات لكن الجميع يصمت بمجرد مرور عينيه نحوه، قلت بصوتٍ واضح:

- كفى.. أنا لم أفعل شيئًا.. آسف.

الاعتذار سمعه الجميع، ثمَّ اقتربت من أذن الضابط وهمست له بكلمتين فقط، كان يظن أني سأعتذر له لكني ذكرت له العضو التناسلي لوالدته الشريفة وباللغة العامية طبعًا وحرصت ألا يسمع أحد ما قلته سواه.

- (......) أمك.

فجأة رأي الجميع الضابط وهو يمسك رأسي بقوة ويضربها بأحد المناضد الرخامية ولم يكتفِ بهذا بل استمر وراح يضرب رأسي بالحائط، لا يعرف أن الضربة السابقة تميت أي شخص عادي، ثمَّ ضربني مرة أخرى بالحائط، أنا متأكد أن هذا الصراخ يخص (سالي).. آسف يا عزيزتي.. لقد ورطتك معي في هذا، سأعوضك عن ذلك لاحقًا.

سقطت جثة هامدة أمام الجميع، أظن أني الوحيد الذي سمعت صديقه وهو يقول بصوت منخفض كأنه يحادث نفسه:

ـ ضاع مستقبله.

اقترب أحدهم مني وقام بالفحص اللازم ثمَّ أعلن النتيجة:

ـ مات.

سمعت الشهقات من الجميع وأظن أني أستطيع تمييز شهقة (سالي) وسطهم، أظن أن وجهي أمامها صار مشوهًا مثل الرجل الذي شاهدته في الفيلم المرعب، أتمنى ألا تتقيأ الآن.. الوقت ليس مناسبا أبدًا، حالتي لا تحتاج لمزيد من الفوضى!

صاح أحدهم بالجملة السحرية التي انتظرتها طويلًا:

ـ (فؤاد جلال) آخر!

من هو (فؤاد جلال)؟ هو الشاب البسيط الذي مات على أيدي رجال الشرطة أمام الجميع في أحد المطاعم منذ أعوام مضت وكان سببًا في قيام ثورة ضد الشرطة، الاسم أعاد إلى الأذهان ما حدث وقتها، ثمَّ تذكروا المسرحية الهزلية التي تسمى محاكمة، وتمَّ الحكم على الضابط بثلاث سنوات، ثمَّ تمت تبرئته بعد ذلك.

شعر (وحيد) بالخوف والذعر وهو يتأمل الغضب في عيون الواقفين، لا يعرف كيف يتصرف، التفت إلى صديقه فلم يجده، لقد خرج من المطعم، كان صديقه يعلم أن الموقف سيشتعل أكثر بعد موتى، ربما أراد أن ينفد بجلده أو ذهب لإحضار قوة لمساندة صديقه، إن كان يستطيع مساعدته قبل فوات الأوان.

صاح زعيم الواقفين:

ـ نعم (فؤاد جلال) آخر.. كلنا (فؤاد جلال).. كلنا (فؤاد جلال)، نفس الحادثة تتكرر كل يوم بأشكال مختلفة وفي كل مرة يقولون (حالة فردية)، وفي كل مرة يحصلون على البراءة، ويموت الشعب من أجل إسعادهم، الشعب في خدمة الشرطة، إلى متى سنظل صامتين؟!.. لا بد أن يحصل على جزائه الآن.. وإلا سنموت

جميعًا.. أنا وأنت وأنتِ وأنتم.. كلنا سنتعرض لنفس الموقف.. يومًا ما.. ولن يشعروا بأي ندم، إلى متى سنصمت؟!.. إلى متى سنرضى بهذا؟!.. إلى متى؟!.. لن ننتظر محاكماتهم الهزلية.. لن ننتظر مسرحياتهم المقيتة.. سنحكم الآن وسننفذ الآن.

واندفع نحوه ومعه بعض المشجعين المتحمسين الثائرين، أخرج (وحيد) مسدسه ورفعه في وجوههم وقال:

ـ إياك أن يقترب أحد.

كان هذا آخر خطأ ارتكبه في حياته!.. قال زعيمهم:

ـ هل ستقتلنا جميعًا؟!

***

(15)

تقول تقارير الشرطة أنهم لم يستطيعوا تحديد من القاتل بالضبط، لقد هجم الجميع على (وحيد) في وقت واحد، لم يستطعْ إنقاذ نفسه بواسطة سلاحه وسط غضب الجماهير، بالعكس.. تمَّ استخدام السلاح ضده، التقرير الجنائي يقول أن الرصاصة التي استقرت في ركبته صادرة من سلاحه، وانتهى التقرير على أنه ضرب أفضى إلى موت، نفس ما قيل عن الجثة التي ماتت في المطعم، والتي اختفت تمامًا بعد الحادث، لقد استمعوا إلى أقوال الشهود لكنهم لم يستطيعوا إعطاء وصف دقيق للقتيل، أو الفتاة التي كانت بصحبته، كأنهم يحمونها بذلك، خوفًا من انتقام الشرطة من عائلاتهم.

توقع رجال البحث الجنائي أن يجدوا تسجيلات مرئية على هواتف رواد المطعم للحادثة، لكن يبدو أن أحدًا لم يصور شيئًا وهذا احتمال ضعيف، أو أنهم حذفوا ما صوروه وهذا هو الاحتمال المنطقي؛ لأن الجميع يهوى التصوير منذ اختراع الهاتف المحمول المزود بكاميرا، ولم يجدوا أيضًا تسجيلات لكاميرات المراقبة داخل المطعم لهذا اليوم، ربما تم محوها حتَّى لا يتم التعرف على المشتركين في قتل الضابط، الجميع شارك في القتل والجميع شارك في إخفاء الأدلة.

***

وقفت سيارة أمام المطعم، خرج منها بضع رجال، سحبوا جثتي بهدوء إلى الخارج، لم يهتم أحد بسؤالهم عن هويتهم، كانوا مشغولين بضرب (وحيد)، كل

واحد كانت له مشكلة مع الشرطة قام بتفريغ غضبه في تلك اللحظة، وكأن (وحيد) يمثل كل من يعمل بالشرطة، الوحيدة التي سألتهم باهتمام حقيقي هي (سالي) فأجابوها:

ـ نحن أهله.

وركبت معهم السيارة، راحت تحتضن جثتي وتمسح الدم من جبهتي وتبكي، بمجرد ابتعادنا عن المكان سألتهم:

ـ ما رأيكم؟

كانت مفاجأة مذهلة لفتاتي الصغيرة البريئة، سألتني غير مصدقة:

ـ أنت حي؟!

مسحت بعض الدم الذي يتساقط خارجًا من فمي وأجبتها:

ـ نعم.

أجهشت بالبكاء وقالت:

ـ حمدًا لله، لكن...

ـ أعلم.. أسئلة كثيرة.. أجليها الآن لحين عودتنا إلى المنزل.

قال الرجل الذي يجلس بجوار السائق والذي أدى دور الزعيم الثائر منذ قليل:

ـ من هذه؟! خطيبتك حقا؟!

قالت (سالي) وبدأت تفهم ما يجري:

ـ هل كان كل هذا مُدبرا؟!

قلت للزعيم الزائف الحقير:

ـ نعم خطيبتي، ولا تشغل بالك بها، أين بقية أتعابي؟!

أراهن أن الأسئلة التي تدور في ذهن (سالي) الآن هو (أتعاب عن ماذا؟ ما هي مهنتك بالضبط؟).

أعطونى بقية أتعابي عن مهمة (ميت الثورة) ورحت أعدّ المال، قال الزعيم الوغد الحقير وهو ينظر بشهوة إلى الأجزاء المكشوفة من جسد (سالي):

ـ نعلم أنها ليست خطيبتك وليست شريكتك.. أنت دائمًا تعمل بمفردك، لذا.. كم تريد فيها؟

حاولت (سالي) أن تستر نفسها قليلًا بذراعيها وهي تشعر بالخوف الشديد منه والتصقت بي أكثر، خاصة مع تلك النظرات الذئبية التي تطل من عينى الرجل / الوحش.

المسكينة لا تعلم أنها تختبئ من وحش في أحضان وحش آخر!

يا عزيزتي.. كلنا وحوش!

نظرت للذئب الشهواني متحديًّا وقلت له بحزمٍ:

ـ لا تشغل نفسك بها أم تريد أن تسبق (وحيد)؟! هل تحب أن نلعب مبارزة بالمسدسات الآن ونرى من سيفوز؟!

ـ لا، شكرًا.. الرسالة وصلت، كنت أستفسر فقط.

وعاد ينظر إلى الطريق أمامه جالسًا بكل أدب وتهذيب واحترام، شعرت (سالي) بالسعادة الشديدة لأني أحميها من هؤلاء الوحوش والدليل على ذلك أنها التصقت بي أكثر، لا تعلم المسكينة أنني وحش ولكن من نوع آخر.. ربما أكثر ضراوة.

لكنها لا زالت مشغولة بما حدث.. تريد أن تفهم، أراهن أنها ستقضي الليل كله في إلقاء أسئلة حتّى الصباح، ستكون ليلة طويلة جدًا!

ما العمل؟!

***

لم نجد البواب في مكانه المعتاد، كان هذا من حسن الحظ.. لا أريد أسئلة.

وفي الشقة ساعدتني (سالي) على الذهاب إلى الفراش، تظاهرت أمامها أن عظامي تؤلمني وجسدي محطم للغاية حتَّى لا ترهقني بالأسئلة، طبعًا ساعدتني على غسيل وجهي وتغيير ملابسي، طلبت منها أن تطفئ النور وتدعني أنام، عرضت أن تتصل بطبيب لكني رفضت تمامًا وبشدة، قلت بابتسامة هادئة:

ـ في الصباح سأكون بخير، لا تقلقي.

لم تصدقني طبعًا، ربما ظنت أنها ستجدني ميتًا في الصباح، قالت بحسرة:

ـ لكن وجهك.. أنت تحتاج إلى جراحة عاجلة، وكشف بالأشعة على جميع أجزاء جسدك.

ـ لا تشغلي بالك، سأكون بخير في الصباح.

لا تعلم (سالي) أنني أخبرها بالحقيقة، بلا أي مبالغة، سأكون بأتم صحة في الصباح.. لا تقلقي يا عزيزتي.

ثمَّ جاء الصباح..

وجدتها نائمة على السرير بجواري.. لم أصدق ذلك! هل هي (سالي) حقًا؟ أم أنني في مهمة أخرى من مهام (العاشق الميت) وهذه زوجة العميل أو عشيقته؟! لا.. إنها (سالي)، يبدو أنها ظنت أني محطم تمامًا لا أستطيع تحريك إصبع لهذا شعرت بالأمان في النوم معي على فراش واحد، لا تعلم المسكينة أنني بصحة أفضل منها في أيامها السعيدة، تأملت وجهها الجميل الرائع، جبهتها العريضة، حواجبها الرفيعة، عيونها النائمة، أنفها، شفتيها، وجنتيها.. كانت في منتهى الجمال حتَّى أثناء نومها، شعرها الناعم الطويل يتناثر على الوسادة حتَّى يصل إلى جبهتي، أمسكت خصلات منه وشممتها، ما هذا؟! ما الذي أشعر به؟! ما الذي أفعله؟!.. تركت الخصلات سريعًا، ثمَّ نظرت إلى السقف شاردًا، أفكر في تصرفاتي العجيبة

معها، أفكر في الأحاسيس الغريبة، ثمَّ سمعت صوت غطيطها فقطع تأملاتي.. أنفها يحتاج إلى عملية عاجلة وإلا خطيبها ـ زوجها المستقبلي ـ لن يستطيع النوم بسبب غطيطها فى فراش الزوجية ! (خطيبها)! (خطيبها)! لقد قالت بالأمس أنه سيعود بعد خمس أيام.. خمس أيام فقط! فهل كان الأمس هو أول هذه الأيام أم كانت تقصد اليوم؟! وهل سيعود في اليوم الخامس نفسه؟! أم سيأتي في اليوم السادس؟! اليوم هو الأحد.. أتذكر ذلك جيدًا. رحت أعدّ الأيام.. (الأحد.. الاثنين.. الثلا.. أأأ).. ما الذي أفعله؟! هل هو خطيبى أم خطيبها؟! من منا ينتظر وصوله؟! فليأت اليوم أو الغد أو بعد غد، ما الذي يهمني في ذلك؟!.. ثمَّ تذكرت أسطورة طبيخ (سالي)!، إن هذا هو ما يهمني، فهل سيأتي (الخميس) أم (الجمعة)؟!.. أريدها أن تطبخ لى كل ساعة حتَّى موعد وصوله.. هل يمكن أن أستأذنه في أن تأتى لتطبخ لى كل يوم وتعود له مرة أخرى؟!.. أو أن يدعونى للغداء عندهم كل يوم؟! وسأدفع لهم ثمَّن الوجبات دون تردد وبسخاء شديد، أنا أحسده من الآن لأنه سيأكل من طهيها طوال الوقت.. إنه محظوظ للغاية! سمعت غطيطها مجددًا.. لكنه ليس محظوظًا لهذه الدرجة! سيسمع هذه الأسطوانة المزعجة كل ليلة أثناء نومه، مددت أصابعي نحو أنفها وتحسسته بهدوء من الخارج وقلت:

ـ هذه الأنف تحتاج إلى إصلاح!

مررت بأصابعي ببطء وبمنتهى الرقة من أنفها نزولًا إلى فمها الرقيق، تحسست شفتيها الجميلتين بأصابعي.. كانت رائعة حقًا! ما هذا الإحساس الذي ينتابني؟! ما الذي يحدث لي بالضبط؟! إن هذه المشاعر والأحاسيس لم أشعر بها من قبل وأنا في أحضان زوجاتي المزيفات أو عميلاتي العاهرات، شعرت برغبة شديدة في تقبيل تلك الشفاه، اقتربت بشفتي منها، اقتربت أكثر وأكثر، ثمَّ تحركت (سالي) في اللحظة قبل الأخيرة وغيّرت موضع جسدها، وأعطتني ظهرها، اللعنة.

حسنًا.. سوف أوقظها، نقرت بأصابعي على كتفها.

ـ (سالي).. (سالي).. استيقظي.

تثاءبت بقوة وقالت:

ـ كم الساعة؟

لم أجب سؤالها وسألتها:

ـ لماذا لم تنامي في غرفتك؟!

التفتت لي وهي تقول:

ـ آه، تذكرت، كيف حالك الآن؟ لابد أن نذهب إلى طبيب ليكشف عليك.

ـ لماذا لم تنامي في غرفتك؟!

ـ خشيت أن تحتاج شيئًا فلا أسمعك، وصوتك لابد أنه سيكون واهنًا من التعب.

ـ ألم تخافي مني؟!

لمحت ابتسامتها وهي تقول:

ـ أنت شديد التعب.. لا خوف منك أبدًا.. ثمَّ إنك رجل محترم وبطل و..

كانت تفتح عينيها بصعوبة طوال المدة الماضية، تحادثني بعيون شبه مغلقة من أثر النوم، الآن صارت الرؤية واضحة وفتحت عينيها على اتساعها وقالت:

ـ إنك تبدو بحال أفضل!

ـ نعم.

ـ عدا بعض الكدمات البسيطة هنا وهنا، لكنها لا تساوي شيئا بجوار ما توقعته اليوم.

ـ ألم أخبرك أنني سأكون بخير في الصباح؟!

نهضت من السرير قائلة:

ـ لقد توقعت العكس.. توقعت أن أجدك...

بترت جملتها فقلت بدلا منها:

ـ جثة هامدة.. أليس كذلك؟!

ـ نعم، لكن...

ابتسمت قائلًا:

ـ لا تشغلى بالك، أنا بخير.

ـ لا، أريد أن أفهم.. ما الذي يحدث هنا بالضبط؟! وما الذي حدث بالأمس؟!.. أرجوك أخبرني الحقيقة.

وبعد إلحاح شديد منها ورغبة داخلية عندي للبوح لها أخبرتها قائلًا:

ـ جسدي يستطيع مداواة نفسه، الجروح تلتئم بسرعة، لا أشعر بالألم إلى حد ما.

أخبرتها بنصف الحقيقة، عقلها لن يستطيع استيعاب الحقيقة الكاملة، قالت:

ـ ولهذا خططت لفعل ما حدث بالأمس؟!

ـ كانوا يريدون التخلص من هذا الضابط الفاسد، يقولون أنه يعذب المواطنين في السجون ويلفق لهم قضايا، فأرادوا أن يتخلصوا منه بطريقة ذكية لا تورطهم في الأمر.

ـ ولكنك استعنت بي في هذه المهمة، فهل كان ذلك من الخطة؟!

ـ لا، الخطة كانت في استفزازه، أهين كرامته بأي طريقة، كنت سأخترع أي سبب للشجار معه، فيتهور ويضربني، لكن وجودك جعل الخطة أفضل.. سامحيني لأني اقحمتك في هذا الأمر.

قالت بحماسٍ شديد:

ـ بالعكس، أنا سعيدة باشتراكِ معك في هذه المهمة الوطنية النبيلة، لقد تخلصت من شرطي فاسد.. واحد من النظام الفاسد الذي أحاربه بقلمي، طبعًا لم أكنْ أحب هذه الطريقة العنيفة، لكن طالما أن العدالة غائبة فلا توجد وسيلة أخرى.

ـ لقد جاءتني الفكرة بالأمس، عندما فكرت أن أدعوك للعشاء وكنت في نفس الوقت أريد الذهاب من أجل هذه المهمة.. فضربت عصفورين بحجر واحد.. دعوة للعشاء أثناء المهمة.

ضحكت قائلة:

ـ ولكن هذه الدعوة لا يمكن احتسابها، لقد نهضت من المائدة دون أن أكمل طعامي.

ـ كذلك أنا، لقد نمت جائعًا بالأمس.

ـ حسنًا.. في المرة القادمة قُم بالمهمة بعد الانتهاء من الطعام، وأرجوك أخبرني بدوري قبلها، لا تجعلني مثل الأصم في حفل زفاف.

ـ لا، لن أقحمك في هذه الأمور مرة أخرى.

ـ لماذا؟! هل أفسدت شيئًا بالأمس دون أن أدري؟! هل صدر مني تصرفا ضايقك؟! أتقصد الفستان؟! حسنًا.. لن أرتديه مرة أخرى، سأرتدي ما يعجبك.. سأطيع جميع أوامرك.

لا داعي أن أخبرها أن الفستان كان أجمل شيء في ليلة الأمس، بعد وجبة العشاء اللذيذة طبعًا، الطعام أولًا!

ـ المسألة أن أدائك كان رائعًا بالأمس لأنه كان طبيعيًا.

ـ نعم، وهل هناك مشكلة في ذلك؟!

ـ المشكلة أنه لن يكون طبيعيًّا أبدًا بعد ذلك، سيكون الأمر خاضعًا لموهبتك التمثيلية.

ـ اطمئن من هذه الناحية.. أنا أعشق التمثيل، أنا موهوبة منذ الصغر، جربني.. وسوف تنبهر، يمكنني أن أقلّد لك أي ممثل تريده، يمكنني أن أمثّل أمامك أي مشهد تحبه.. لقد كنت أشترك في الفريق المسرحي بالجامعة.

ـ لا، لا تحاولي إقناعي، لن أفعل أبدًا.

ـ لماذا؟!

قطعت عليها الطريق وقلت:

ـ لأني أعمل وحدي.

ـ ماذا؟!

ـ ألم تسمعي الرجل بالأمس؟!، أنا بالفعل أعمل وحدي دائمًا.

ـ ولكنك تحتاج إلى شريك في العمل بالفعل، هُم كانوا شركائك في العمل بالأمس، أليس كذلك؟ أحدهم أثار الناس ضد الضابط وذكّرهم بالشهيد، واحد آخر أحضر السيارة وأخرجك من المطعم، لا بد أنك تحتاج إلى شريك دائمًا يسهل لك العمل. معظم الأبطال لديهم شركاء.. مثلًا (باتمان) **Batman** كان لديه (باتجيرل) **Batgirl**.. و(سوبرمان) **Superman** كان لديه الصحفية (لويس لين) **Lois Lane**، أنا صحفية أيضًا ويمكن أن أساعدك.

قاطعتها قائلًا:

ـ أبطال مرة أخرى! أنا لست (بطل)، صدقيني.

قالت بعناد طفولي:

- لا، أنت بطل، لقد أكدت لي بما حدث ليلة أمس إحساسي بأنك بطل، بطل تحارب الفساد والظلم في هذا البلد، وليس بطلًا عاديًّا، لقد اكتشفت الآن أنك بطل خارق أيضًا.

- بطل خارق!

- نعم، جسدك منيع، مثل (سوبرمان)!

ضحكت قائلًا:

- (سوبرمان) لا يسيل منه كل هذه الدماء.

- ربما، لكنك الآن في أتم صحة، جروحك التأمت، لم يبقَ سوى بعض الكدمات البسيطة، ربما تحتاج بعض الراحة وسيعود كل شيء لطبيعته كما تقول، ثمَّ إنك لا تشعر بأي ألم.. لقد تعرضت لضربات يمكنها أن تقتل أي إنسان عادي، ومع ذلك نجوت من الموت، إذن أنت بطل خارق!

***

(16)

عزيزي القارئ.. إذا كنت تظن أنني بطل خارق.. فأنت مخطئ بالتأكيد، أنا لا أموت.. فإذا كنت تعتبر عدم الموت قوة خارقة.. إذن أنا (رجل) خارق، لكن أرجوك لا تعتبرني (بطل) خارق، أنا أبعد عن مفهوم البطولة ملايين السنين الضوئية.

ولا أعتبر أن ما لديّ يدعي قوى خارقة، إذا كان العيش في ظروف صعبة أو التعرض للمخاطر ثمَّ النجاة والبقاء حيًّا نعتبرها قوى خارقة فأنا أرى سكان دول بالكامل لديهم هذه القوى الخارقة.. العيش في ظروف صعبة لا تليق بالمستوى الآدمي.. التعرض لشتى أنواع الأمراض.. الحوادث تحيط بهم في كل مكان.. لا يوجد أدنى مستوى من الأمان في أي مصنع أو منشأة.. ورغم ذلك يعيشون ويكافحون ويناضلون من أجل البقاء!

ليس لديّ أي قوى خارقة بالمعنى الشائع للكلمة.. لا أستطيع القفز فوق ناطحات السحاب مثل (هانكوك) Hancock.. ما أستطيعه هو السقوط من ناطحة سحاب، ولا أستطيع حمل دبابة مثل (الرجل الأخضر) Hulk.. ما أستطيعه هو حمل ذبابة وأستطيع أيضًا طلاء جسدي بدهان أخضر، ولا أستطيع إخراج حبال متينة لزجة من أيدى مثل (الرجل العنكبوت)، لكن باستطاعتي تعليق حبال متينة للغسيل لأنشر عليها ملابسي، لا أحمل مطرقة أسطورية مثل (ثور) Thor تزلزل الأرض بضربة واحدة، لكني أحمل مدية أطعن نفسي بها بين الحين والآخر

إن لم يطعنني بها العميل، لا أستطيع التخفي مثل (الرجل الخفي) ولا أملك (طاقية الإخفاء) مثل (عصفور قمر الدين) في الفيلم.

هل جربت يومًا أن تقذف نملة من مكان عالي؟ هل ستموت النملة إذا هبطت إلى الأرض من هذا الارتفاع الشاهق؟ لا، هكذا أنا، لا أموت من السقوط، أيعني هذا أنني Ant-Man (الرجل النملة)؟ طبعًا لا، إن (الرجل النملة) نفسه لا يملك أي قوى خارقة.. فقط يرتدي البدلة الخارقة التي تقلص حجمه ويبدأ (الأكشن).

إن النملة أقوى مني بالتأكيد، فهي تحمل أضعاف وزنها وأنا لا أستطيع، إن النملة أفضل مني بالطبع، فهي منظمة للغاية، أما منزلي المؤقت يشبه مقلب مهملات تمَّ دكه تحت عجلات قطار سريع ثمَّ طاح به إعصار لمدة شهر، أرجو ألَّا أكون قد قصّرت في توضيح الصورة.

وبالتأكيد لست مثل (سوبرمان) الذي يجمع كل الصفات الخارقة في سلة واحدة وبدون ضريبة مبيعات!

أنا لا أموت.. أو بمعنى آخر أكثر دقة: ربما سأموت لكني لم أتعرض بعد للوسيلة التي ستقضى عليّ وستكون بها نهايتي.. لا أعرف نقطة ضعفي بعد!

(سوبرمان) نفسه لديه نقطة ضعف، بل إنه مات في إحدى مغامراته، وأنا بالتأكيد أضعف بكثير من (سوبرمان) لكني لم أكتشف بعد مادة (الكريبتونيت) الخاصة بي، أو بمعنى آخر لم أكتشف نقطة ضعفي بعد.. (كعب أخيل) الخاص بي والتي بسببها سأموت وأنتهي للأبد.

أنا لست بطل، ولا أحب ادعاء البطولة، أحب مشاهدة الأبطال الخارقين في السينما، لكني لا أرى نفسي واحدًا منهم، ولا أستطيع ممارسة حياتى مرتديًا زيًّا سخيفًا مثلهم.

أختلف كثيراً عن البشر.. أعلم ذلك، ربما أنا لست واحدًا منهم.. من يدري؟!.

إن البشر يموتون بسرعة.. ولأتفه الأسباب. هذا يثير غيظى كثيراً، أنا أختلف عنهم بالتأكيد في هذا الشأن.. طرق الموت! هناك مليون طريقة للموت، وجميعها لا تؤثر على حياتي.

ربما أنا لست بشرًا! لديكم كل الحق في الاعتقاد بذلك، من أكون؟! هل أنا ملاك؟! هل أنا شيطان؟! لا أعلم، ربما حالة وسطية بين الاثنين، ربما أجمع الحالتين معًا، أصدقكم القول لا أعلم حقًا.

لا أتذكر شيئًا عن الماضي، ربما تلف مخي يومًا ما في إحدى المهام، وإلتأم وأصبح جديدًا فذهبت كل الذكريات القديمة منه، بالتأكيد مخ جديد طازج لن يحمل أي شيء قديم بداخله.

جسدى يتجدد تلقائيًّا، عند حدوث أي إصابة أو فقد أي عضو.. بمرور الساعات أو الأيام أو الأسابيع أو الشهور يعود كل شيء كما كان.. مثالى كالجديد!

ما الهدف من الحياة التي أعيشها؟! لا أعلم، هل سألت يومًا طفلًا هذا السؤال (لماذا تعيش؟)؟ هل رأيت نظرة الحيرة في عينيه بعد هذا السؤال؟ حسنًا.. ستجد نفس الحيرة عندما توجه لي نفس السؤال، أنا لست طفلًا، لكن جميع أعضاء جسدي تكونت من جديد كأنها وليدة الأمس، رغم أن جسدي يوحي بأننى في الثلاثين أو الأربعين من عمري، لكني متأكد أن عمري الحقيقى هو مئات الأعوام أو آلاف.. ربما ملايين!

ربما عمري أكبر من عمر الأرض نفسها!.. من يدري؟!

فأنا لا أعلم شيئًا عن نفسي سوى ما أكتشفه كل يوم، وربما أتعرض لإصابة جديدة داخل مخي فينشأ من جديد بذاكرة جديدة وأبدأ التعلم كطفل صغير يجمع معلومات عن نفسه وعن الكون حوله، أنا (شاب عجوز بعقل طفل)! أولًا: جسد شاب يتجدد جسده تلقائيًّا ليظل في عمر الشباب دومًا، عُمر رجل عجوز لا

يعلم متى وُلد ولا متى سينتهي! عقل طفل بحجم عقل شاب لكنه لا يحوي من المعلومات سوى ما يحتويه عقل طفل آخر.

لا أملك ذاكرة خارقة، حتَّى وإن كانت الذاكرة جديدة، فأنا لا أستطيع حفظ معلومات مثل الحاسب الآلي، ذاكرتي عادية جدًا مثل ذاكرة أي شاب عادي.

كيف تكون ذاكرتي خارقة وأنا لا أتذكر اسمي حتَّى؟! لا يا عزيزى اسمي ليس موشومًا على يدي حتَّى أعرفه، ولا أنوي وشمه من أجل تذكره بعد ذلك إذا نسيته أو فقدت الذاكرة، فأنا لا تهمني الأسماء، أعيش مائة حياة بمائة اسم، هل تظن أن الحفاظ على اسم واحد فقط في كل هذه الحياوات شيئًا مثيرًا أو مميزًا؟ لا أظن! الأسماء لن تحدث تغييرًا.

أعيش وحيدًا، ليس لي عائلة ولا أعرف كيف جئت إلى هذه الدنيا، ليس لي زوجة أو خطيبة أو حبيبة، يمكن أن أقع من الدور السبعين لكن لا يمكن أن أقع في الحب أبدًا، كيف أحب فتاة تصغرني بمئات السنين؟! كيف تقبل فتاة أن تتزوج من رجل لا يموت أبدًا؟! ربما أحببت وتزوجت من قبل عشرات أو مئات أو آلاف النساء لكن لا أتذكر شيئًا عن ذلك لذا أعتبره لم يحدث، لكن لديّ رهبة شديدة من السقوط في الحب، أكثر من رهبتك من السقوط من الدور العاشر!

لا أظن أن هناك الكثيرون مثلي وإلَّا أصبحت القبور خاوية، ربما أنا الوحيد في هذا العالم، ربما هناك اثنان أو ثلاث أو أي رقم أقل من عشرة، في العالم كله، ولكنهم لا يظهرون أنفسهم للآخرين، يتنقلون مثلي بين البلاد حتَّى لا يعرف أحد حقيقتهم، حتَّى لا يلاحظ أحد أنهم لا يكبرون، ولا يموتون.

ربما أشبه (المرأة القطة) **Catwoman** لأنها تسقط من أعلى ولا تموت مثل القطط، لديها سبع أو تسع أرواح، ربما أشبه أيضًا (دراكولا) **Dracula** لأنه لا يموت وعمره آلاف السنين ويبدو شابًا دائمًا، وأيضا أشبه (**Deadpool**) لأنه

يستعيد أعضائه التي يفقدها، لكني لا أرتدي بدلة حمراء سخيفة مثله ولا أملك وجهًا مشوهًا، ربما كنت مثله إنسانًا عاديًّا ثمَّ وافقت على إجراء تجربة علمية هي سبب تكوينى الحالي، ونسيت أمر هذه العملية عندما فقدت جزء من مخي في أحد المهام وتكّون جزء جديد بدلًا منه، فقدت الذاكرة القديمة وأصبح لديّ ذاكرة جديدة بيضاء، لكن إذا كان جسدي الخارق نتاج تجربة علمية فأين القائمين بها والعاملين على متابعتها؟! ربما ماتوا، ربما أنا قتلتهم، ربما ظنوا أني قد مُت فتركوني لحالي، ربما لا يعلمون أني نهضت بعد الموت، أو ربما يعلمون كل شيء عني ويراقبونني الآن وسوف يظهرون في أي لحظة، فهل أنا تحت المراقبة؟! ربما.. وربما احتمالات أخرى، ربما أنا شيطان في جسد إنسان ثمَّ فقدت الذاكرة، ربما أنا كائن فضائي هبط على الأرض ونسى كل شيء عن أصله بسبب مناخ الأرض الملوث، ربما، وربما.. عشرات الاحتمالات!

جميع الاحتمالات واردة!

لكني متأكد من أمر واحد.. أنا لست بطلًا، أنا لا أواجه الأشرار، أنا واحد منهم، أنا صديق لهم، أنا أساعدهم في أعمالهم الدنيئة.. مقابل المال.

أحب الطعام والسينما، وأنفق معظم مالي عليهم، يمكن أن أشاهد فيلمًا جميلًا أكثر من مرة، ويمكن أن أتناول وجبة الغداء في أكثر من مطعم، ولا يمكن أن أموت من الجوع، لقد جرب أعدائي هذا معي وفشلوا! جربوا أيضًا إغراقي في الماء لساعات، خرجت بعدها حيًّا كأي سمكة قرش تحترم نفسها لا يمكن أن تموت من الغرق، جربوا خنقي بالغاز، ماتوا من الرائحة التي تسللت إليهم وعشت أنا.

أنا لا أموت.. أو بمعنى آخر.. أموت كثيراً.

معي فقط.. الموت لا يأتي مرة واحدة!

***

(17)

قالت (سالي):

- لا تخرج اليوم، لا تتحرك من السرير، أنا سأخدمك حتَّى يتم شفائك.

ضحكت قائلًا:

- ألم تقولي منذ لحظات أنني بطل خارق؟! هل رأيت من قبل (سوبرمان) راقدا في السرير؟!

ابتسمت قائلة:

- ألم تقل أنت أنك لست بطل خارق؟!

- وهل تصدقين كل شيء أقوله؟!

قالت بصوت ناعم تسلل إلى قلبي وليس إلى أذني:

- نعم أصدقك، وأثق فيك تمامًا.

ما الذي تعنيه؟! لا أفهم، هل تراني بطل خارق أم لا؟ أم أنها تصدق أي شيء أقوله حتَّى لو كان الشيء ونقيضه، قلت لها:

- ولكن.. لديّ عمل كثير اليوم.

- مهمات وطنية؟

- لا، أنا لا أقوم بمثل هذه المهام يوميًّا إن كنت تظنين ذلك، أنا رجل أعمال،

لست بطلًا متخفيًا، إن ما حدث بالأمس كان مهمة تحدث كل عام أو كل عشر أعوام.

ـ عشر أعوام! كم عمرك إذن؟!

لن أخبرها طبعًا بعمري الحقيقي، إنها لا تعلم أني أقدم من جدها الأكبر، ربما أقدم من الهرم الأكبر نفسه، قلت:

ـ ثمَّ إنها لم تكن مهمة وطنية كما تظنين، ألم تلاحظي المال الذي حصلت عليه نظير ما قمت به؟

ـ وما المانع في ذلك؟ هناك رجال يحمون الوطن من العدو الخارجي ومقابل رواتبهم، فهل هذا يعني أنهم لا يقومون بمهام وطنية؟! هل نتجاهل تضحيتهم بأرواحهم في سبيل الوطن لمجرد أنهم يقبضون رواتبهم؟!

عدّلت الوسادة تحت رأسي وهي تقول مبتسمة:

ـ وعلى فكرة.. أنا أستحق جزء من هذا المال لأني اشتركت معك في المهمة.

لم أستطع الرد، لا أعرف إن كانت تمزح أم تطالبني بالمال، انطلقت ضحكتها عالية:

ـ أنا أمزح معك يا بطل، بل أنا مدينة لك بحياتي.

ـ ألم أطلب منك ألا تقولي هذا مرة أخرى؟!

ـ نعم، ولكني أقصد ليلة أمس، لقد دافعت عني في مواجهة ذلك الذئب.

ـ لكن الضابط لم يعاكسك أو يتحرش بك، لقد اخترعت كل هذا لأثير غضب رواد المطعم منه وأفتعل سبب مقنع للشجار.

ـ أعلم ذلك، أنا أقصد ذلك الرجل الذي كان يجلس بجوار السائق والآخر الذي كان يجلس بجوارك، لم أشعر بالخوف أبدًا وأنا في حمايتك، رغم أنك كنت في حالة سيئة للغاية، لكني شعرت أنك بطل وستحميني مهما تطلب الأمر.

واتجهت ناحيتي وقبلتني من وجنتي، قالت لي بحنان أم تجاه طفلها:

ـ استرح يا بطل، سأعد لك الفطور وأجلبه لك هنا.. في السرير.

ـ لا، أنا أريد أن أتناوله معكِ.

ـ ومن قال أنني لن أفعل؟! سوف نأكله في السرير معًا.

قلت مندهشًا:

ـ في السرير! لقد كنتِ تخشين الدخول إلى غرفتي فيما مضى، ما الذي حدث؟! تنامين معي في الفراش طوال الليل ثمَّ نتناول الفطور هنا سويًّا!

شرحت نظريتها قائلة:

ـ الثقة يا بطلي العزيز! بالأمس نمت بجوارك لأني ظننت أنك جثة هامدة لا قلق منها بل القلق عليها، وعندما استيقظت واكتشفت الحقيقة وأنك بكامل صحتك ومع ذلك لم تحاول القيام بأي شيء برغم وجودي بجوارك طوال الليل في نفس السرير يفصلني عنك سنتيمترات، هذا جعلني أثق فيك بدرجة لا يمكنك تخليها.

رن هاتفها، نظرت إلى اسم المتصل وقالت:

ـ عن إذنك.. خطيبي يتصل.

وراحت تتحدث خارج الغرفة، وتركتني شاردًا في كلماتها المؤثرة، وأنا الذي ظننت أنني لا أتأثر بمثل هذا الكلام!

عادت بعد ربع ساعة وهي تحمل صينية عليها وجبة فطور شهية، جلست بجواري على السرير وابتسمت قائلة:

ـ هل تحب أن أطعمك بنفسي؟

واقتربت من فمي بيدها البيضاء الرقيقة حاملة لقمة من الفول، ابتسمت لها قائلًا:

ـ هذه فقط حتَّى لا أحرج يدك.. لكن..

يمكن أن أقسم أن هذه اللقمة أحلى بكثير من جميع ما أكلته بعد ذلك في نفس الوجبة.

أكملت وأنا أمضغ اللقمة:

ـ يمكنني تناول الطعام بيدي، إنها سليمة، أنا في أتم صحة، لا تعطلي نفسك عن الأكل.

وقبل أن تقول شيئًا سألتها:

ـ كيف حال خطيبك؟

ـ سيصل بعد أربع أيام.

ـ سيطل الخميس أم الجمعة؟

توقفت اللقمة في يدها قبل أن تصل إلى فمها والتفت إليّ تسألني:

ـ لماذا هذا الاهتمام؟! أمازلت تريد التخلص منى؟

أجبتها على الفور:

ـ لا، بالعكس.

ابتسمت لجملتي واستكملت تناول طعامها، مضت دقائق من الصمت الرهيب قبل أن أكسر جبل الجليد قائلًا:

ـ هل انتبه زملائك لغيابك عن الجريدة؟

ـ لا، لو غبت أكثر من أسبوعين سوف ينتبهوا، أنا لست صحفية مشهورة كما تظن، لكن تحقيقاتي مشهورة، لا أكتب بانتظام للأسف، ليس لي عمود يومي أو أسبوعي ثابت ليلاحظ أحد غيابي.

انتهينا من الفطور، قلت لها:

ـ لا أحب المكوث في السرير.

ـ حسنًا، يمكنك التحرك في الشقة، لكن لن تخرج.

ـ لكن..

ـ أرجوك.

ـ لا تقلقي، أنا بخير.

ـ أعلم، ولكن لا داعي من الخروج اليوم، يمكنك تأجيل أي أعمال اليوم.

ـ لكنني لا أحتاج إلى الراحة.

ـ جسدك هو الذي يحتاج إلى الراحة، انظر إلى وجهك في المرآة.

ـ لا تقلقي، سيختفي كل هذا خلال ساعات، وربما دقائق.

وبعد إلحاح منها نفذت طلبها، لم أخرج وجلست أمام التليفزيون، أعطتني الريموت كنترول وقالت لي:

ـ شاهد ما تريده، لن أتعارك معك أبدًا.

ثمَّ تركتني واتجهت إلى غرفتها، سألتها باهتمام:

ـ ألن تشاهدي معي التليفزيون؟

ـ لا أحب أفلام الرعب.

قلت باستسلام:

ـ حسنًا، سأختار فيلمًا تحبينه.

سألتني مندهشة:

ـ هل ستضحي بمشاهدة فيلم رعب من أجلي؟!

أومأت برأسي إيجابًا، فاتجهت ناحيتي وقالت بابتسامة سعادة ورضا:

ـ أشكرك، أنا أعلم مقدار هذه التضحية عندك.

لا أعلم سبب ما فعلته لكني كنت أريدها أن تشاركني مشاهدة التليفزيون.

أعطيتها الريموت كنترول بقلب صاف، أخذته مني وجلست بجواري على الأريكة كأي زوجان سعيدان، راحت تقلب القنوات حتَّى عثرت على فيلم رومانسي وقالت:

ـ فلنشاهد هذا، سوف يعجبك.

ابتسمت قائلًا:

ـ أنا متأكد أنه سيعجبني.

***

كانت (سالي) تضع رأسها على كتفي في بداية الفيلم ثمَّ بمرور الوقت أسندت رأسها على صدري حتَّى انتهي بها الأمر وهي نائمة ورأسها على حجري.

انتهي الفيلم ونامت كعادتها في منتصفه، يبدو أن الأفلام الرومانسية تساعدها على النوم، لن أوقظها حتَّى أستطيع مشاهدة فيلم مرعب دون إزعاج، سأخفض الصوت وأتركها نائمة.

داعبت شعرها الناعم وأنا أقلب القنوات، كنت أخشى أن توقظها مداعبتي لكن يبدو أنها ساعدتها على النوم بعمق.

ما هذا؟! أين القنوات؟! ما هذا العدد؟!

ـ (سالي).. (سالي).. استيقظي.

نهضت تتثاءب وهي تقول:

ـ ما هذا؟! هل سقطت في النوم؟!

ـ نعم، والفيلم انتهى منذ زمن، كنت أريد أن أسألك عن القنوات، العدد تناقص كثيراً، وهناك قنوات بعينها لا أجدها، اختفت.

وضعت يدها على فمها لتمنع التثاؤب وقالت:

ـ آه، لقد حذفتها.

ـ حذفتِ قنوات، لماذا؟!

ـ كانت قنوات إباحية، لا أظن أنك تشاهدها.

ـ وما دخلك أنتِ؟! سواء كنت أشاهدها أو لا أشاهدها لماذا تحذفينها؟! هذا ليس تليفزيونك.

لا داعي أن أخبرها أنه ليس تليفزيوني أيضًا.

قالت بحنقٍ:

ـ لم أكنْ أعلم أنك تحب مشاهدة هذه القنوات!

ـ لماذا تتصرفين في شيء لا يخصك؟! لقد حذفت أكثر من 2000 قناة، لا بد أنك حذفت قنوات أفلام الرعب أيضًا. فمعظم أفلامها تحتوي على مشاهد إباحية، ووقت الحذف لن تستطيعي التفريق بينهما.

ـ آسفة.

ثمَّ نهضت من مكانها وذهبت إلى غرفتها وصفقت الباب خلفها.

قمت لأصالحها، لسبب واحد فقط، لقد اقترب موعد الغداء.

طرقت الباب، فتحت لي بعد دقائق، تنظر للأرض بخجل وغضب، قلت:

ـ لقد غضبت بسبب حذفك لقنوات أفلام الرعب، أما القنوات الجنسية لا تهمني، كنت سأحذفها إن لم تحذفيها.

ـ أنت حُر، هذا تليفزيونك.

ـ لا تقولي هذا، ولا تفتعلي أي شجار حتَّى تتهربين من إعداد الغداء.

نظرت لي وقالت:

ـ أبدًا، كنت سأحضره لك حتَّى لو كنت لا أزال غاضبة.

واتجهت إلى المطبخ بسرعة لتعد وجبة غداء أسطورية جديدة، كدت أن ألتهم أصابعي معها، لا يهم، حتَّى لو التهمت أصابعي سوف تنشأ من جديد!

***

في المساء..

اتجهت إلى غرفة (سالي) وأنا أرتدي بدلة رسمية أنيقة فسألتني مندهشة:

ـ ألم نتفق على عدم الخروج اليوم؟!

ـ نعم، ولكننا أصبحا في المساء، ووجهي تحسن كثيرًا.. انظري.

تأملت وجهي وفحصت مكان الكدمات، فاقتنعت، سألتني:

ـ وهل يمكن أن أسأل إلى أين أنت ذاهب؟!

ـ بالطبع، يمكن أن تسألي، بل وستأتين معي.

ـ آتى معك، إلى أين؟!

ـ فرح صديق عزيز، وارتدي الفستان الذي يعجبك، لن أعترض.

سألتني بابتسامة خجولة:

ـ وبماذا ستقدمني له؟!

غمزت لها وابتسمت:

ـ خطيبتي طبعًا.

***

(18)

في الفرح، كنت أجلس بجوار (سالي) على أحد المناضد، كأي خطيبين يتأبطان ذراعي بعضهما، يتأملان العروسين ثمَّ يبتسمان ثمَّ يتحدثان حديثًا جانبيًا لا شك أنه حديث رومانسي يخص فرحهما القادم والتخطيط لحياتهما المستقبلية وعدد الأطفال المتوقعين وأسمائهم، لكن لو اقترب أحد منا لعرف الحقيقة المُرة، وأن حوارنا كان عن:

ـ هل غسلت جواربي؟

ـ نعم، لا تقلق وغسلت قميصك الملوث بالدم أيضًا.

ـ وهل اختفت بقعة الدم؟!

ـ لا تشغل بالك، ستجده كأنه جديد.

ثمَّ استأذنتها، نهضت من مكاني واتجهت إلى (الكوشة)، صافحت العريس بحرارة وقبّلته، ثمَّ صافحت العروسة بحرارة شديدة وانحنيت برأسي لأقبّلها.. حيث كانت جالسة، استوقفني العريس بسرعة، لديه سرعة استجابة رهيبة!

ـ ما هذا يا أستاذ؟!

ـ ماذا؟! دعني أقبّلها.

ـ تقبّلها!!!، أنا عريسها ولم أقبّلها بعد!.. من أنت يا أستاذ؟!

ـ أنا (دودي).

- (دودي) من؟!

- صديق عزيز.

- (عزيز) من؟!

- لا، أنا أقصد أنى صديق عزيز للعروسة.

نظر العريس إلى عروسه، فقالت مدافعة عن نفسها:

- لا أعرفه والله.

سألنى العريس بغضبٍ:

- من أنت؟! وماذا تريد؟!

نظرت للعروسة مبتسمًا وقلت:

- لقد جئت لأبارك لأعز مخلوقة لقلبي.

أمسكني العريس من ياقة قميصي وقال:

- ماذا تقول؟!

انتبه بعض الواقفين لما يحدث فاقتربوا منا، بينما العروسة تدافع عن نفسها قائلة:

- والله العظيم لا أعرفه.

نظرت لها وقلت بحزنٍ:

- هكذا.. بمنتهى السهولة تبيعين حبك القديم.

هنا استشاط العريس غضبًا ولكمني في وجهي فسقطت أرضًا وتعالت الصيحات، ثمَّ التفت إلى عروسه يسألها:

- هل تعرفينه؟!

ـ والله العظيم لا.

التف حولنا رجال ونساء من المدعوين، يسألون العريس:

ـ ما الذي حدث؟!

ـ لا أعلم، يبدو أنه رجل سكير أو مجنون، أولًا يريد أن يقبّلها..

ـ يقبّلها!!

ـ ويقول أنه الحب القديم..

ظهرت أم العروسة وهي تقول:

ـ من السافل الذي يقول هذا الكلام على ابنتي؟!

رفعت يديّ قائلًا:

ـ أنا يا (طانط).

خلعت السيدة حذائها الأسود ذو الكعب العالي وراحت تضربني على رأسي وأنا أقول:

ـ أنا لم أحب في.. آااه.. حياتي سواها، وهي أيضًا لم ..آااه.. تحب أحدًا غيري، آااه، لقد قضينا أجمل ..آااه.. أيام في.. آاااه..

سألتها صديقاتها بشك فقالت العروسة:

ـ والله العظيم ما أعرفه.

سألتها صديقة غبية:

ـ هل هذا هو (مدحت) الذي حدثتنا عنه؟!

نظرت العروسة بغضب إلى صديقتها الغبية بينما سألها العريس وقد سمع السؤال بوضوحٍ

ـ من (مدحت) هذا؟!

ـ لا أعرف أحدًا بهذا الاسم والله يا حبيبي.

أما أنا فقلت:

ـ لا، أنا لست آااه (مدحت)، أنا ..آااه ..(محمود).. حبها ..آااه.. الأول.

ـ والله العظيم لا أعرفه، وهذه هي أول مرة أراه فيها.

جميع الضربات والركلات التي تعرضت لها لم تشعرني بأي ألم، لكنني صحت بصوتٍ عالي لأن المفروض أن أتألم.. نهضت من مكاني واندفعت ناحية العروسة لأحتضنها وأقبّلها لكنهم منعوني بالقوة، تملصت منهم وجلست على حجرها واحتضنتها بالقوة وقبّلت وجهها بطريقة حيوانية أثارت اشمئزاز البعض وشهوة البعض الآخر، ارتفع غضب أهل العروسين وفكر الجميع في الفتك بي، فجأة انهارت مقاومتي تمامًا وسقطت أرضًا، وصراخ العروسة يعلو في المكان وهي ترى الدم يغرق فستانها، وتنظر إلى جثتي عند قدميها وفي جانبي تبرز مدية ملطخة بدمائي وتلوث بدلتي الأنيقة..

الصراخ تعالي في المكان..

جثة في فرح! منظر لا يتمناه أحد، ضاعت الفرحة من وجوه الجميع، ابتعد الكل عن جثتي حتّى لا يُتهم أحد بالقتل.. صاح العريس:

ـ من فعلها؟! من الذي قتله؟!

كان الجميع يهدد بقتلي منذ لحظات، أما الآن فالجميع يتبرأ من الاتهام، لا يعلم أحد من الحضور أن القاتل هو أنا.

وهذه هي مدينتي.

***

كانت مهمة تقليدية مملة تحمل اسم (ميت في الفرح)، دمرت الفرح بسهولة، نفذت مهمتي على أكمل وجه، المفروض أن أحصل على مكافأة سخية من العميلة، لا أعلم إن كانت عدو للعروسة، أم صديقة قديمة للعريس أو عشيقته، ربما كانت عدو لأهل العريس أو أهل العروسة، لا أعلم ولا يهمني أن أعلم، كان المطلوب هو أن أفسد الفرح بموتي فيه.. فقط.

سمعت العريس يقول:

ـ فتشوا جيوبه، ربما نعلم من هو.

لم يجدوا شيء يدل على هويتي، هذه ليست أول مرة أقوم فيها بدور ميت في فرح، ولهذا تنكرت بعض الشيء قبل حضوري إلى هنا، شارب مستعار وذقن مستعارة، وصدقت (سالي) أني أفعل ذلك لأنها حفلة تنكرية، لا بد أنها تجلس في مكانها الآن وقد خمنت ما حدث، في المرة الأولى كانت صدمة لها، لكن الموت أمامها في المرة الثانية يصبح أمرًا معتادًا وربما يدعو للملل، لا بد أنها تشرب شيئًا ما وتتابع ما يحدث بملل حتَّى وصول الشركاء.

لا يا عزيزتي.. لن يحضر الشركاء هذه الليلة ليحملوني.

ثمَّ انطفأت الكهرباء، قام الشريك بعمله على أكمل وجه.. هو الذي قطع الكهرباء.

اندفع الحاضرون خارجين مذعورين من القاعة، لا أحد يريد أن يبقى في المكان مع جثة حديثة.

نزعت المدية من بطني وخلعت تنكري ونهضت بسرعة وسرت معهم، اتجهت إلى المنضدة التي تجلس عليها (سالي). لمحتني أمامها في الضوء الخافت أمد يدي لها فابتسمت وسارت معي، سألتنى هامسة:

ـ والدم؟!

ـ لست الوحيد، انظرى حولك، هناك عشر أشخاص على الأقل تلوثت ثيابهم من الدم.

عادت الكهرباء، كانت القاعة خالية إلَّا من العروسين، والجثة اختفت تمامًا، لكن الدماء لا زالت موجودة، علمت بعد ذلك أن العريس قد طلق عروسه قبل أن يغادر القاعة.

تمت المهمة بنجاح!

***

عُدنا للمنزل، البواب كان لا يزال مستيقظًا لسوء الحظ، رآنا ثمَّ لمح ثيابي الملطخة بالدم، فسألني:

ـ ما الأمر يا (مراد) بك؟!

ـ كانت مشاجرة عادية، لكن الحمد لله، أنا بخير.

ـ وهذه الدماء؟!

ـ (كاتشاب).. كنا نتشاجر بالكاتشاب.

دخلت الشقة برفقة (سالي) وهي لا تتوقف عن الضحك من حديثي مع البواب، ثمَّ سألتني:

ـ ماذا عن عريس الليلة؟! هل كان ضابط فاسد؟ أم تاجر مخدرات؟ أم ابن وزير مرتشي؟

قاطعتها قائلًا:

ـ وهل يهمك ذلك في شيء؟!

ـ أنت لم تخبرني أنها مهمة عمل، ظننت أنه فرح عادي تريد حضوره، ثمَّ إنك لم تعطنِ أي دور، كنت أريد الاشتراك.

ـ الحمد لله أنكِ لم تشتركِ، كنتِ ستنالين قسطًا وافرًا من الضرب على أيدى أهل العروسة أو العريس، كانوا يريدون الفتك بي أو بأي أحد بصحبتي.

ـ لكنك...

قاطعتها قائلًا:

ـ هل سنضيع الوقت في الأسئلة؟ ألن تساعديني في تغيير ملابسي وغسيل وجهي؟

ضحكت قائلة:

ـ هذا كان بالأمس.

ـ وما الفارق؟! لقد كنت ميتًا بالأمس، واليوم ميتًا أيضًا، ألا ترين الدم؟!

ابتسمت قائلة:

ـ (كاتشاب)!

ـ أيعني هذا أنكِ لن تبيتي معي مثلما فعلتِ بالأمس؟

هزت رأسها نفيًا ودخلت غرفتها بينما أقول لها:

ـ ليتني كنت ميتًا مثل الأمس.

سمعت ضحكتها فقلت لها:

ـ ألا تثقين فيّ؟!، أعدك أني سأنام كجثة كما فعلت بالأمس.

لم ترد، ما هذا الذي أفعله؟! ما هذا الذي أقوله؟! أنا لم أكنْ بمثل هذه الحالة من قبل! ما الفائدة من نومها بجواري؟! لماذا أطلب هذا من الأساس؟!

قُمت بتغيير ملابسي، فأتاني اتصال من (كبش ع مراد)، قلت له:

ـ لم يأت الزوج بعد.

ـ لكن البواب أخبرني أنه رأي دماء على ملابسك، فظننت أن المهمة انتهت، وأنه قتلك في الشارع أو في أي مكان بالخارج.

ـ لا، لم يقتلني بعد.

ـ والدم؟!

ـ (كاتشاب).

بعد انتهاء المكالمة، خرجت من أجل مهمة جديدة، بدون إذن من ماما (سالي).

***

طرقت الباب، فتح لي الرجل، فسألته على الفور كعادتي:

ـ هل أنت الأستاذ (عبد العزيز عبد الشكور على محب سعيد الراوي)؟

ضحك الرجل على غير العادة وقال:

ـ أين أنت أيها الشبح؟!، لقد انتظرتك بالأمس، أنا وأصدقائي، لكنك لم تحضر وظنوا أنني مجنون!

الأمس كان السبت، لم أمر عليه بالفعل، هذا من حسن الحظ طالما أنه كان ينتظرني مع آخرون، إن الرسالة موجهة له هو فقط. سألنى مرة أخرى:

ـ أين كنت؟!

ـ كنت مشغولًا.

ـ خير؟! ما الذي شغلك عنا؟

ـ كنت أموت في مكان آخر.

ضحك الرجل، قلت له الجملة المعتادة:

ـ الشبح طلب مني أن أسلمك هذه الرسالة..

ـ آه، أعلم.. أعلم.. (الشبح) و(الرسالة).. وسوف تتظاهر أمامي بالموت، رصاص مزيف وسكين مزيف، ما الذي أحضرته معك هذه المرة يا جبان؟!

وأمسكني من ملابسي بقوة وهو يفتش في جيوبها، ويقول:

ـ لن أتركك هذه المرة حتَّى أسلمك للشرطة.

قلت له لأريحه من التفتيش:

ـ ليس معى أي شيء.

ـ حسنًا، كيف ستموت هذه المرة؟!

التقطت نفسًا عميقًا وسألته:

ـ هل أنت مستعد لتلقي الرسالة؟!

تراجع الرجل للوراء وقال:

ـ ما الذي ستفعله؟! هل ستفجر نفسك؟!

هذا الرجل يتمتع بخيال جامح، منعت نفسي من الضحك وقلت:

ـ الآن.

ثمَّ وقفت على الدرابزين وقفزت إلى بئر السلم من الدور الرابع أمام عيني الرجل المذهولتين، وطبعًا عندما يهبط للدور الأرضى لن يجد جثتي، لقد نهضت من أجل مهمة جديدة، مهمة مختلفة من نوعها.. مهمة من أجل الحب.

وغدًا سأموت أمامه بطريقة جديدة!

***

(19)

" أين هي حبيبتك؟".

سألت الشاب فأجابني:

ـ قادمة في الطريق، هل حفظت دورك جيدًا؟

ـ يا عزيزي.. هذا الدور مأخوذ من مائة فيلم عربي قديم، البطل الذي يريد أن يظهر أمام حبيبته قويًّا شجاعًا مغوارًا.. فيستأجر ممثلًا قويًّا ليضربه أمام حبيبته ليفوز بقلبها، الاختلاف هنا هو أن الممثل سيموت، لا أظن أن الدور يحتاج إلى ملكة الحفظ أو موهبة تمثيلية، المطلوب مني هو أن أتلقى الطعنات وأصرخ من الألم حتَّى أموت، كان البطل يدفع للممثل مبلغًا على كل لكمة، أما أنت ستدفع لي على كل طعنة!

ـ تمام، هل أنت مستعد؟

ـ بالتأكيد، مستعد للموت دائمًا.

فتيات هذا الزمن يختلفن كثيرًا عن فتيات الزمن الماضي الجميل، كانت الواحدة قديمًا ترغب في رؤية حبيبها وهو يضرب الرجال، الآن تريد أن تراه وهو يقتل الرجال، وهذا الشاب سينفذ لها ما تريده، سيقتل واحدًا أمامها ليثبت لها رجولته وشجاعته!

كانت مهمة مختلفة من نوعها، مهمة من أجل الحب! أطلق عليها اسم مهمة (الميت الضعيف)، حيث أظهر أنا ضعيفًا أمام البطل ليظهر هو قويًّا أمام حبيبته.

سألته باهتمامٍ:

ـ ما الذي يدفعك لفعل هذا؟!، يمكنك أن تختار أي واحدة أخرى غيرها، ليس ضروريًّا تلك الفتاة التي تعشق القتل والدم. ما الذي يجبرك على هذا؟!

ـ من أجل الحب يا صديقي.. الحب!

ـ ألهذه الدرجة؟!

ـ نعم، ويمكن أن أفعل أكثر من ذلك.

قطع كلامه فجأة ثمَّ قال:

ـ ها هي قادمة، اختبأ هنا، هل حفظت دورك؟

لم أرد عليه، لقد سألني هذا السؤال مليون مرة! جاءت حبيبة قلبه.. قابلها بحضن كبير وقبلات كثيرة ثمَّ كلمتين رومانسيتين هامستين، ثمَّ سارا سويًّا شابكي الأصابع، خرجت من مخبئي شاهرًا المدية في وجوههم كأي بلطجي محترف.. لكن الفارس الرومانسي المغوار لم يهتز له رمش، طمأن حبيبته وتقدم نحوي بكل شجاعة مصطنعة ثمَّ وجّه لكمة قوية ناحية ذقني لكنها لم تصلْ، ومع ذلك تسببت في ترنحي، ثمَّ وجّه لكمة أخرى ناحية ذراعي، لم تصطدم بذراعي لكنها أسقطت المدية من يدي رغم ذلك، قرر أن يستخدم ساقه فركلني، الركلة طارت في الهواء لم تصطدم بي من الأساس، لكني تخيلت حدوث ذلك فتأوهت بقوة، سمعت تصفيق الحبيبة الحار، التفت البطل لحبيبته ليرى فرحتها، وهذا أكبر خطأ يمكن أن يحدث في مواجهة لص؛ لأن اللص سوف يستغل تلك اللحظة ويقتله أو يهرب، لكني طبعًا لست لص، أنا (الميت الضعيف)، لذا انتظرت حتَّى عاد لي ليكمل ضربه، ضربة أخرى في الهواء لم تصل لرأسي، لا بد أن يتعلم هذا الشاب الضرب أولًا قبل أن يفكر في القتل! لكني قمت بدوري على أكمل وجه، وسقطت أرضًا أمامه، أمسك الشاب المدية وطعنني بها في بطني، وأنتم تعرفون الباقي!

انتهى الشاب من الطعن الكثير عندما همدت حركتي تمامًا، نهض قائلًا:

ـ ما رأيك؟!

اندفعت الحبيبة المجنونة ناحيته وقبلته من شفتيه قبلة طويلة، يا للملل! متى ستنتهي هذه القبلة؟! أريد العودة لمنزلي يا شباب.

بعد سنوات من التقبيل قالت الفتاة بحماسٍ غريب:

ـ ماذا ستفعل الآن في الجثة؟!

ـ سأتركها لحالها، هيا بنا.

فرحت عندما سمعت جملته، لقد انتهت المهمة أخيرًا وسأحصل على بقية أتعابي منه، لكنها قالت:

ـ لا، يبدو أنك مبتدئ في الإجرام، أنسيت المدية؟! عليها بصماتك.

ـ آه، معك حق.

انتزع المدية من بطني وقال:

ـ هيا بنا.

ـ ربما هناك دليلًا آخرًا غير البصمات.

ـ ما هو؟!

ـ لا أعلم، ولكن هذا احتمال وارد.

ـ حسنًا.. ما الذي تريدينه؟! هل نبحث عن أي دليل ضدنا؟! رأيى هو أن نغادر المكان فورًا، وجودنا هنا هو أكبر دليل على الجريمة.

ـ انتظر، ألم تتعلم الدرس من قبل؟!

ـ أي درس؟!

ـ هناك دائمًا من يفهم في هذه الأمور أكثر منا، وهو المتخصص في محو أي آثار لجريمتك.

ـ من تقصدين؟!

ـ منظف الجرائم.

ـ وكيف سأطلب واحدا؟!

ـ معي رقم واحدًا منهم.

هذه الفتاة أكثر إجرامًا من حبيبها! لا أستبعد أنها قتلت رجالًا من قبل، ودون الاستعانة بميت مثلي.

اتصلوا بالمنظف..

وانتظروا بعيدًا عن الجثة حتَّى لا يتورطوا في الجريمة.

حضر المنظف بعد ربع ساعة من الاتصال، رأي جثتي ثمَّ طلب منهم المبلغ، دفعوه على الفور، قال لهم:

ـ حسنًا.. سوف أخلصكم من الجثة وأي آثار تخصكم، لا تقلقوا.

غادروا المكان مطمئنين، قال المنظف مبتسمًا:

ـ كيف حالك يا ميت؟!

نهضت من مكاني قائلًا :

ـ الحمد لله يا (مازن)، لم أتوقع أنهم استدعوك أنت!

قال منظف الجرائم (مازن):

ـ خيرًا فعلوا، ربما لو اتصلوا بمنظف آخر لألقاك في المحرقة.

ضحكت قائلًا:

ـ وهل تظن أنني سأنتظر حتَّى يلقيني فيها؟!

ثمَّ قلت بغموض مخيف:

ـ وهل تظن أني لم أدخلها من قبل؟!

***

في اليوم التالي: الإثنين

بعد وجبة الفطور المدهشة.

ذهبنا إلى شقة (سالي) بعد أن وعدتني بأنها ستعود معي للمكوث في شقتي، حتَّى عودة خطيبها من السفر، هي تريد ذلك لأنها لا زالت خائفة وأنا أريد ذلك لأني أحب طهيها وأشياء أخرى!

كانت شقتها منظمة جدًا، شقة آنسة عصرية، لمحت صورة كبيرة لسيدة عجوز في غرفة نومها، عرفت أنها أمها، كانت هناك مقالات معلقة على الحائط من جريدة (القيل والقال) التي تعمل بها، جميع المقالات عليها اسمها (سالي دويدار)، تحقيقات صحفية جريئة عن عصابة (الناب الأزرق) وعمارة حشمت باشا (عمارة العفاريت) والملياردير الهارب (حسام هيثمّ) والمجرم الخطير (جابر السلعوة)، إلخ.

أحضرت ما تريده من الشقة وعدنا سالمين، لم يتعرض لنا أي أحد، لو أن هناك من كان يراقب الشقة منذ يوم دفنها أظن أنه قد مات من الملل!

بعد وجبة الغداء الشهية المذهلة.. اِرتديت ملابس الخروج، سألتني:

ـ مهمة وطنية؟ خذني معك.

ـ لا، أنا ذاهب لعملى الأصلى.

ـ ما هو؟!

ـ رجل أعمال.

ـ حسنًا، خذني معك.

رفضت بشدة، أخبرتها كالعادة أنني أعمل في مكان يعمل به الرجال فقط!

***

طرقت باب شقة الضحية، فتحت لي سيدة محترمة أنيقة وقبل أن تسألني، أمسكت بطني متوجعًا وقلت:

ـ من فضلك، أريد أن أدخل دورة المياه.

ودفعت الباب بيديّ عنوة.. وسط صيحات المرأة الغاضبة:

ـ ما الذي تفعله يا أستاذ؟!.. أخرج ولا استدعيت الجيران ليضربوك.

ـ بطني.. أرجوكِ.. أنا مريض، أين دورة المياه؟! سأفعلها في ملابسي.. انقذيني.

بحثت عن دورة المياه في شقتها حتَّى وجدتها..

ـ يا أستااااذ.. لا يصح ما تفعله، أنا امرأة متزوجة، وأنا وحدي الآن، هذا لا يصح.

قلت لها من داخل دورة المياه:

ـ سأفعلها وأخرج على الفور، صدقيني لا أريد أي مشاكل، لقد أنقذتني، أشكرك.

لقد أخبروني أن زوجها سوف يأتي في تلك اللحظة، لو تأخر قليلًا لا أعرف ماذا أفعل وقتها، ستفشل الخطة، ولن أستطيع تكرار مهمة (العاشق الميت) مع نفس الزوجة مرة أخرى.

تركت الزوجة الشريفة باب شقتها مفتوحًا ملتزمة بالأصول والعُرف والتقاليد، لا يمكن أن تغلق باب شقتها على نفسها مع رجل غريب، كان قلبها يخفق من القلق والتوتر، تشعر بالشك في الموضوع، صاحت قائلة:

ـ اخرج يا أستاذ من عندك حالًا، وإلَّا صحت بأعلى صوتي وسيتجمع الجيران حولك ويضربونك ضربًا مبرحًا.

وطرقت بعنف على باب دورة المياه، لا أعرف لماذا تأخر الزوج!، لقد أخبروني

أنه قادم من عمله الآن، هذه واحدة من المهام التي تعتمد على دقة المواعيد! الثانية الواحدة لها أهميتها، لن أستطيع الانتظار داخل دورة المياه أكثر من ثلاث دقائق أخرى.

- انتظري.. بطني تؤلمنى.. سكاكين! ألم تمري بهذا من قبل؟! الرحمة حلوة، لقد أنقذتني.

سمعت صوت رجل بالخارج يصيح.

(لماذا تتركين باب الشقة مفتوحا؟!).

لقد عاد الزوج.

(أين أنت يا هانم؟!).

خلعت ملابسى بسرعة.

(ما الذي يحدث هنا؟!).

وخرجت عاريًا تمامًا من دورة المياه.

كانت مفاجأة مذهلة للزوج والزوجة، الزوجة كانت حائرة كيف ستفسر وجود رجل في دورة المياه بمنزلها، الآن أصبحت المصيبة أكبر.. كيف ستفسر وجود رجل عاري تمامًا في شقتها؟!، أما الزوج فألجمته الصدمة للحظات، ثمَّ اندفع إلى المطبخ وأحضر سكينًا وطعن زوجته في بطنها، ثمَّ اندفع خلفي وطعنني، لكن الطعنة جاءت في ذراعي فقط.. بسيطة!

هرعت أمام الجيران عاريًا تمامًا بين ضحكات عالية رقيعة وصرخات دهشة وذهول وعيون مغمضة وشبه مغمضة وعيون أخرى مفتوحة على اتساعها وابتسامات خجولة وابتسامات ماجنة، هبطت الدرج بسرعة، وجدت الحقيبة خلف البوابة. لقد ترك العميل بالطو بها، تحسبًا للظروف، ارتديته وأسرعت إلى سيارتي.

كنت أضع بها ملابس إضافية، ارتديتها داخل السيارة، ورحت أفكر فيما حدث،

هل كان العميل يقصد الفضيحة فقط؟! أم أنه سيسعد بهذه النتيجة الدموية؟!، لقد قتل الرجل زوجته الشريفة العفيفة البريئة وأنا السبب في هذه الجريمة، لا يهم، طالما أنني سأحصل على المال، أنا لم أقتلها، أنا فقط ساعدت في قتلها، أو تسببت في ذلك!

اتصلت على العميل لأخبره:

ـ لقد قتلها الزوج.

ـ لقد علمت بذلك.

بدا عليه الحزن، أظن أنه كان يريد الفضيحة فقط! ربما الطلاق.. لكن لا يصل الأمر إلى القتل، ربما كان العميل عاشق قديم أو زوج سابق وأراد أن يطلقها ليتزوجها هو، طالما أن الفضيحة من صنعه لا يهم، سوف يتزوجها وهو يعلم أنها أشرف زوجة في الكون، لكنه الآن لن يستطيع الزواج منها، وربما كان العميل حبيب قديم رفضت زواجه بسبب سُمعته السيئة أو سلوكه المشبوه فأراد أن يلطخ سُمعتها النظيفة لينتقم منها، لكنه لم يرد قتلها بالتأكيد!

ـ أين بقية أتعابي؟!

ـ لقد وضعتها في جيب البالطو.

بحثت في الجيب، وجدت المال، ما هذا الغباء؟! فلنفترض أن أحدًا آخرًا عثر على الحقيبة وأخذ البالطو وبقية الأتعاب. ماذا كنت سأفعل وقتها؟! سألته:

ـ لماذا لم تسلمني المبلغ بنفسك؟!

ـ أنا آسف، لا أستطيع، أنا مقبوض عليّ، لقد قتلت زوجتي.

ـ ماذا؟!

يا إلهي! إن العميل هو الزوج نفسه.

***

(20)

طرقت باب الشقة من أجل مهمة جديدة من مهام (الميت الشبح)، فتح الرجل العجوز الباب فرآني أقف على مقعد، وأقول له:

ـ هل أنت الأستاذ (عبد العزيز عبد الشكور على محب سعيد الراوي)؟

ابتسم الرجل وقال:

ـ أهلًا، لقد انتظرتك منذ الصباح، هل تظن أني صدقت موتك بالأمس؟!، لا بد أنك كنت تضع مراتب أسفنجية في بئر السلم أو شبكة مطاطية كبيرة.

ـ لقد طلب مني الشبح أن أسلمك هذه الرسالة..

ـ حسنًا، ما هي رسالة اليوم؟! كيف ستموت هذه المرة؟!

يبدو أنه لم يفهم بعد ما أنوى فعله، المقعد الذي أقف عليه لم يثر انتباهه، والأنشوطة التي أمسكها بيدي لم تستحوذ على تفكيره! سألني:

ـ هل تنوي شنق نفسك؟!

أخيرًا فهم.. في اللحظة التي قمت فيها بالتنفيذ.

دفعت المقعد بقدمي وسمع الرجل طقطقة رقبتي لكنه لم يصدق نفسه، راح جسدي يتطوح أمامه من الحبل المعلق، لكنه لم يتحرك من مكانه، ظل يراقب جثتي للحظات ثمَّ اتجه نحوي وراح يهزني، ثمَّ صاح فجأة:

ـ يا الهي! لقد مات فعلًا هذه المرة!

وراح يتصل على أحدهم، كان يضع هاتفه المحمول في جيبه هذه المرة حتَّى لا يضطر لدخول شقته كما حدث في المرات السابقة، كان يخطط لمراقبة الجثة حتَّى لا تهرب منه هذه المرة أيضًا، لكنه عندما أنهي المكالمة لم يجدني، وجد المقعد الملقى على الأرض والحبل المعلق في الهواء.

أغلق باب شقته وهو يرتجف من الرعب!

***

فتحت باب الشقة بهدوء، سمعت صوت أغنية صاخبة، الصوت صادرًا من غرفة (سالي)، يبدو أنها لم تنتبه لدخولي الشقة بسبب الصوت العالي، اتجهت نحو غرفتها، كان الباب مفتوحًا، كان ظهرها لي، جسدها المتناسق يتلوى في نعومة ساحرة على نغمات الأغنية الصادرة من جهاز (اللاب توب). كانت ترقص أفضل من أفضل راقصة رأيتها في حياتي الطويلة، ليتني أحضرت (اللاب توب) من شقتها منذ أول يوم.

اختبأت خلف المنضدة في الصالة، خشيت أن تراني فتتوقف عن الرقص، رحت أتابعها بصمت وأشجعها في سري. تمنيت لو أنني أقف معها بالداخل أشاركها الرقص.

(سالي) الأسطورة! صاحبة أفضل طهي وأفضل رقص.

ما هذا الذي أفكر فيه؟! ما هذا الذي أفعله؟! أختبئ مثل الصبيان وأتجسس على فتاة ترقص دون علمها، لقد شاهدت راقصات بعدد سكان شارع (أبو الهول)، فما المميز هنا؟!

نهضت من مكاني واتجهت نحو الباب لأخرج من الشقة وأدخل مرة أخرى، لمحتني وأنا بالقرب من الباب أوقفت الأغنية واتجهت نحوي لتسألني:

ـ متى عدت؟!

ـ الآن.

سألتني بخجلٍ:

ـ هل...؟

سألتها بجدية:

ـ هل... ماذا؟

ابتلعت سؤالها مع نظراتي الخشنة، وقالت:

ـ هل تحب أن أحضر لك العشاء؟

ـ لا، سوف نأكل بالخارج، أنا أدعوكِ، أنسيت أن الوجبة السابقة لا يمكن احتسابها لأننا خرجنا قبل أن نأكل شيئا؟!

سألت بشكٍ:

ـ ما الأمر هذه المرة؟! من سيموت؟ أنت أم شخص شرير؟

ضحكت قائلًا:

ـ لماذا تتوقعين أن هناك موت؟!

ـ لأن هذا ما حدث في المرات السابقة، أول أمس دعوتني على العشاء فقامت ثورة وقتلوا الضابط الشرير، بالأمس دعوتنى إلى فرح، اتضح أنك لا تعرف أحدًا بالفرح، وقتلت نفسك أمام العريس الشرير، ما الأمر هذه المرة؟!

ـ لا يوجد أي موت هذه المرة، اطمئني.

***

في المطعم الفاخر.. انتهينا من وجبة العشاء الدسمة، سألت (سالي) مبتسمًا:

ـ ألم أقل لكِ؟! لا يوجد أي موت.

ابتسمت قائلة:

ـ معك حق.. كنت صادقًا معي، آسفة لأنني شككت في الأمر.

ابتسمت ابتسامة خبيثة وقلت:

ـ حسنًا، يمكنك الانصراف الآن.

نهضت من مقعدها وسألتني:

ـ ماذا؟! ألن تأتي معي؟!

ـ لا، انتظرينى بالخارج، أو اسبقيني إلى المنزل، خذى المفتاح، ألا تعرفين العنوان؟!

أعطيتها مفتاح الشقة وهي تجيب:

ـ نعم أعرفه، ولكن.. ما الأمر؟!

ـ لقد كذبت عليكِ.

سألتني حائرة:

ـ ما الذي تعنيه؟!

ـ ألم تفهمى بعد؟!

فهمت الآن، فنظرت حولها لتستطلع وجوه رواد المطعم، وسألتني بفضولٍ:

ـ من الذي سيموت؟!

أجبتها بكل هدوء وأنا أستكمل تناول طعامي:

ـ أنا.

***

(21)

أخرجت الكيس البلاستيكى من جيبي والذي يحتوي على الطعام الفاسد المسموم وبعض الديدان وأفرغت محتواه في طبقي ثمَّ تخلصت من الكيس الفارغ في سلة المهملات بجواري، ورحت أتناول طعامي كاتمًا أنفاسي حتَّى لا أشم الرائحة العفنة المقززة، وتحملت المذاق المُر اللاذع، ثمَّ صرخت بأعلى صوتي:

ـ آااااه.. بطني، إن هذا الطعام فاسد، إنكم تسممون الزبائن، آه.. بطني.. مغص شديد.

كانت فضيحة كبيرة للمطعم الشهير، أول حادث تسمم في تاريخه، لقد تسببت في غلق المطعم الشهير لشهور طويلة، وفقد سُمعته الطيبة للأبد، تلك السُمعة التي بناها على مدار سنوات كثيرة، كان العميل صاحب مطعم منافس، وهكذا انتهيت من مهمة (ميت في المطعم).

كنت نائمًا في سيارة الإسعاف عندما اتصلت بي (سالي)، تأكدت أن لا أحد هناك يلمحني، فقبلت المكالمة ورحت أحادثها بصوتٍ منخفض:

ـ أنا في سيارة الإسعاف الآن.. حالة تسمم.. هل وصلتِ المنزل؟

ـ نعم، هل ستعود الليلة؟

ـ لا أظن، سأبيت في المشرحة، وينقذني صديقى الذي يعمل هناك والذي يأتي صباحًا.

ـ حسنًا.. أحلامًا سعيدة، لكني أتعجب كيف ستحلم أحلامًا سعيدة وأنت في المشرحة!

ـ لا تشغلي بالك، لقد تعودت على النوم هناك.

ـ ماذا؟!

ـ آسف.. لأني أقحمتك في هذا الأمر.

ـ لا، أنت طردتني من المكان قبل أن يبدأ أي شيء، أنت لم تقحمني البتة!

ـ هذا أفضل لكِ!

ـ هل يعمل صاحب المطعم في أعمال ممنوعة ولهذا قررتم إغلاقه؟ هل يستخدمه كساتر لأعماله المشبوهة أو لغسيل أمواله القذرة؟

ثمَّ قالت فجأة بحماسٍ شديد:

ـ أنا أريد الانضمام إلى تنظيمكم السري هذا.

ـ تنظيم سري! يبدو أن خيالك جامح، أنا أعمل بمفردي، وكفى حديثًا حتَّى لا ينتبه أحدًا لي.. تصبحين على خير.. أراكِ صباحًا.

وأنهيت المكالمة، وعُدت إلى وضعي الساكن كجثة طازجة، فجأة توقفت سيارة الإسعاف.. لا بد أن السبب هو الزحام المروري، سأتأخر هكذا عن المشرحة، ثمَّ جاءتني الفكرة.. لماذا لا أهرب الآن طالما أن الطريق متوقف؟ ولماذا أنتظر توقف الطريق وأنا يمكنني القفز من سيارة مسرعة طالما أن أحدًا لن يراني؟

خرجت من السيارة، وهربت.

أظن أن رجال الإسعاف سيتلقوا اللوم هذه المرة بدلًا من عمال المشرحة، (أين اختفت الجثة يا أغبياء؟)

***

لم تتوقع (سالي) عودتي هذه الليلة، لقد أخبرتها أني سأبيت في المشرحة لذا عاشت بحريتها داخل الشقة، وكانت مطمئنة للغاية لأن المفاتيح معها، خرجت من الحمام لا تضع على جسدها سوى منشفة فقط تغطي بها رأسها المبلل، وقد قررت أن ترتدى كامل ملابسها في غرفة النوم، مرت من الصالة، ثمَّ فزعت لوجود رجل معها في الشقة ثمَّ اكتشفت أن هذا الرجل هو أنا! فتحول الفزع من وجود لص إلى خجل من وقوفي أمامها،عندما اكتشفت أني أراها بدون أي ملابس على الإطلاق!

تحول وجهها كله إلى اللون الأحمر وهرعت إلى غرفتها في قمة الغضب والخجل وأغلقت الباب خلفها بقوة، صاحت من الداخل بمنتهى الانفعال:

ـ كيف دخلت؟! إن المفتاح معي!

ـ معي نسخة.

ـ ألم تقل أنك ستبيت في المشرحة؟!

أجبتها ضاحكًا:

ـ غيرت رأيي.

ـ هل كنت تخطط لذلك؟!

ـ لا والله.

قلت هامسًا لنفسي:

ـ كان هذا من حسن حظي!

وظلّت صورتها في خيالي لا تفارقني أبدًا، لقد حرّكت أشياء بداخلي ظننت أنها ميتة مثل قلبي، لقد رأيت نساء كثيرات من قبل لكن لم تؤثر إحداهن في مشاعري هذا التأثير الجميل اللذيذ، ما الأمر؟! ظللت أتساءل حتَّى سمعت صوت العصافير المزعج.

عصافير.. عصافير.. عصافير.

لا بد أنه البواب اللعين.

فتحت الباب دون النظر من العين السحرية، وجدت رجلًا أراه لأول مرة، سألته:

ـ ماذا؟

راح يتأملني من أعلى إلى أسفل وسألني:

ـ هل أنت (مراد)؟

أهاه.. إنه الزوج، لقد أتى أخيرًا.. أهلًا وسهلًا.. لقد انتظرتك طويلًا يا رجل.. أين كنت؟! ما سبب هذا التأخير؟! لقد اشتقت لرؤيتك، أجبته متظاهرًا بالبلاهة:

ـ نعم، أنا.

تردد الرجل قليلًا قبل أن يخرج يده من جيبه..

يقولون أن الجريمة الأولى هي أصعب جريمة، هذا الرجل سيقدم الآن على جريمته الأولى، وبالتأكيد ستتغير حياته بعدها ونظرته لنفسه، هل المفروض أن أشجعه على قتلي لتتم المهمة بنجاح وأموت بدلًا من العاشق الحقيقي؟! أم أمنعه من التهور وأخبره أن القتل لن يحقق أي فائدة وأن الصلح خير والمغفرة جميلة وأننى لم أخنه مع زوجته الطاهرة سوى مرة واحدة في لحظة ضعف واحدة؟!

لمح الزوج الصورة الكبيرة المعلقة على الحائط فقال بغضبٍ:

ـ وتضع صورتها عندك يا جبان!!

إذن هذه هي صورة الزوجة الخائنة.. لقد تأكدت الآن، أخرج الرجل السكين من جيبه أخيرًا وطعنني بها مرة واحدة.. تظاهرت بالدهشة ثمَّ المقاومة ثمَّ الألم الشديد، فرّ الزوج هاربًا بعد تحقيق انتقامه، أظن أنه لم يستخدم قفازًا، هذا

الرجل مبتدئ في الإجرام، بصماته على السكين وصورة زوجته في الصالة، أي تحقيق سريع سيؤدي للتوصل للجاني، سينال الإعدام بسهولة، لكني سأغفر له غبائه، أغلقت الباب بهدوء.

"من الذي كان بالباب؟".

قالتها (سالي) وهي تخرج من غرفتها بكامل ثيابها هذه المرة.

عندما استدرت لها لأجيب تساؤلها رأت السكين البارز من بطني والدم الذي يسيل مني بغزارة، أسرعت نحوي وسألتني بذعر:

ـ ما هذا؟!

أجبتها ببرود:

ـ لا تشغلي بالك، أحدهم قتلني وفر هاربًا.

ـ لا بد أن نضمد هذا الجرح حالًا.

أخرجت السكين من بطني بسهولة وقلت:

ـ هذه ليست أول مرة، لا تقلقي.. أنا بخير.

سألتنى بقلقٍ:

ـ هل أنت متأكد؟! لا بد أن نتصل بطبيب.

نظرت إليها وتخيلتها مجددًا كما رأيتها آخر مرة، فشرد ذهني بعيدًا، وشعرت بإحساس غريب مرة أخرى، لاحظت (سالي) شرودي فقالت:

ـ (مراد).. فيم تفكر؟!

انتبهت للاسم وتذكرت المهمة، لقد انتهت أخيرًا مهمة (الميت الكبش/ العاشق)، وسوف ننتقل من هذه الشقة.

ـ اسمى ليس (مراد).

ـ ماذا؟!

ـ اسم (مراد) كان يخص المهمة، وهذه ليست شقتي، هذه شقة العميل، تركها لي من أجل المهمة، وسوف ننتقل الآن؛ لأن المهمة قد انتهت.

كانت المفاجآت كثيرة بالنسبة لها، لست وحدك صاحبة مفاجآت هذه الليلة يا عزيزتي!، لكن، بصراحة مفاجأتك كانت أفضل!

ـ لن أستطيع الانتقال الآن، لنؤجلها للصباح.

ثمَّ فوجئت بها تسألني وهي تشير نحو الصورة الكبيرة:

ـ وهذه الصورة.. أهي صورة حبيبتك؟ أم تخص صاحب الشقة؟

ـ تخص صاحب الشقة، لكن لماذا تسألين عنها بالذات؟! ولماذا تظنين أنها حبيبتي وليست أختي؟!

ـ لأن صورها الأخرى التي وجدتها هنا فاضحة، لا يمكن أن تحتفظ بها لو كانت أختك.

أثارت فضولي فسألتها:

ـ أين هذه الصور؟!

ـ لن أخبرك.

ـ أريد أن أراها.

ـ لا، لن تراها أبدًا.

ثمَّ قالت هامسة:

ـ ألم يكفيك ما رأيته منذ قليل؟!

نعم، لقد سمعتك يا فتاة، ابتسمت وغمزت لها قائلًا:

ـ يكفيني جدًا.

اِحمر وجهها خجلًا ودخلت غرفتها ونسيت أمر الطعنة والدم!، أما أنا فاتصلت بالعميل وأخبرته أن المهمة انتهت، فأخبرني أنه سيمر عليّ ليعطيني بقية أتعابي ويستلم الشقة مني، أخبرته أنني سأنتقل في الصباح، فوافق.

***

طرقت باب غرفة (سالي) قائلًا:

ـ سوف ننتقل في الصباح كما طلبتِ.

فتحت الباب وقالت:

ـ حسنًا، سوف أعود إلى شقتي.

ـ لا، سوف تنتقلين معى إلى شقتي، حتَّى وصول خطيبك، لقد وعدتني.

ـ أفضل الإقامة في شقتي.

ـ حسنًا.. سأنتقل معك إلى شقتك، وأقيم معك فيها حتَّى وصول خطيبك.

ـ لا، الجيران سيرونك، وسيتحدثون، لا أريد فضائح.

ـ إذن ستأتين معي إلى شقتي، لن أتركك وحيدة أبدًا.

ـ لا تقلق، أظن أن الخطر قد زال.

ـ لا، لن أطمئن.

شعرت أنها سعيدة بخوفي وقلقى عليها، لكنها قالت بعنادٍ:

ـ أفضل العيش بمفردي.

ـ آه، فهمت الأمر، لا تقلقي، لن يتكرر ما حدث اليوم، سوف أطرق الباب قبل دخول الشقة، وإذا أحببتِ أن تأخذي كل المفاتيح حتَّى لا أستطيع الدخول إلَّا إذا فتحتِ لي، أنا موافق.

- لا، ليس لهذه الدرجة.

- وإذا أردتِ الذهاب إلى الحمام سأدخل غرفتي أو أخرج من الشقة ولن أعود حتّى تسمحي لي بالدخول.

ضحكت قائلة:

- لا، هذا كثير!

- ليس كثيراً.. طالما سأستعيد ثقتك بي.

نظرت لعيني مباشرة وقالت بابتسامة هادئة:

- ما زلت أثق بك يا (مراد).

- اسمي ليس (مراد) كما أخبرتك، هذا اسم يخص المهمة التي انتهت.

- حسنًا، بم أناديك؟

- اختاري أي اسم يعجبك، (مراد) مثلًا.

ضحكت قائلة:

- (مراد) مرة أخرى! لا، أنا أريد أن أعرف اسمك الحقيقي.

إذا عرفته أنا أولًا سوف أخبرك به ثانيًا، لم أقل لها هذا طبعًا، قلت متظاهرًا بالغموض:

- لا يمكن أن أخبرك به، هذا لمصلحتك.. من أجل سلامتك، قليل من المعلومات كثير من الأمان، والآن اختاري اسمًا وإلّا اخترت أنا.

فكرت قليلا ثمَّ قالت:

- حسنًا، يناسبك اسم (رؤوف) إلى حد كبير.

- (رؤوف)، لماذا اختر...

قاطعتنى العصافير.

عصافير.. عصافير، الحمد لله أن المهمة انتهت حتَّى لا أسمع هذا الصوت مجددًا، من المزعج هذا؟! من الذي يريد زيارتنا الآن؟! طلبت منها أن تدخل غرفتها حتَّى أفتح الباب لأعرف من الطارق، نفذت الأمر دون نقاش، ثمَّ نظرت من العين السحرية لأجد شخصًا مألوفًا للغاية، (مازن).. منظف الجرائم.

فتحت له الباب على الفور فقال:

ـ من؟ يا إلهي! أنت مرة أخرى! ألن تكف عن الموت يا رجل؟! إن الموت الكثير يضر بالصحة.

ضحكت قائلًا:

ـ يبدو أن العمل كثير هذه الأيام، ألَّا يوجد منظف جرائم غيرك في البلدة؟!.. هل اتصل بك الزوج؟!

ـ يبدو الأمر كذلك، لم أتوقع أنك القتيل، لقد أخبرني بمكان الشقة، وجدت آثار دماء أمام الباب، فقررت أن أرن الجرس.. ربما كان القاتل ينتظرني بالداخل مع الجثة.

ـ لا، القاتل ليس هنا، الجثة فقط.

***

(22)

سألنى (مازن):

ـ حسنًا، ما هو المطلوب منى إذن؟!

ـ كما تفعل في كل مرة تقابلني فيها، ستتظاهر أنك دفنتني أو ألقيتني في المحرقة، ثمَّ تخلصت من كل آثار الجريمة وتذهب بعد ذلك لتحصل على أتعابك من القاتل.

ـ حسنًا، ألن تخبرني باسمك؟! هذه عاشر مرة أجدك فيها ميتًا، أليست هذه المرات كافية لتعرفني جيدًا وتثق بي؟!

ـ أنا أعرف أن اسمك الحقيقي ليس (مازن)، فما فائدة الأسماء إذن؟! أما إذا كنت مصممًا على معرفته فلنؤجلها للمرة المائة.

ضحك (مازن)، وقال:

ـ حسنًا، سأظل أدعوك بـ (الميت) أو (الجثة)، حتَّى تخبرني باسمك.

قبل انصرافه، طلبت منه أن يمحي أي آثار للدماء من أمام الشقة، حتَّى لا نثير شكوك الجيران، ثمَّ أعطيته وسادة قطنية طويلة ليضعها في الجوال.. كأنها جثتي، فربما كان الزوج ينتظره بالأسفل، أغلقت الباب واتصلت بالعميل وأخبرته بالأحداث الجديدة.

بعد المكالمة، طرقت باب غرفة (سالي).

ـ تعالي لنشاهد فيلمًا سويًّا.

ـ لا، سأنام، اختر ما يحلو لك من الأفلام وشاهده، وعلى فكرة لقد بحثت لك عن القنوات المحذوفة وقمت باستعادتها.. ستجد جميع القنوات، بما فيهم القنوات الجنسية.

ـ لن أشاهدها بدونك.

سألتني بغضبٍ:

ـ من قال أني أحب مشاهدة القنوات الجنسية؟!

ضحكت قائلًا:

ـ لا أقصد إطلاقًا، بل أعني لن أشاهد أي قنوات بدونك.

ـ افعل ما يحلو لك، أنا سأنام.

ـ حسنًا، سأنام أنا أيضًا.

اتخذت القرار الصعب وتركت التليفزيون من أجلها، بعد ربع ساعة فوجئت بها تدخل غرفتي دون أن تطرق الباب، ثمَّ تتجه إلى سريري لتكتشف أنني لم أنم بعد، سألتني:

ـ لماذا لم تشاهد التليفزيون؟!

ـ لقد أخبرتك.

ابتسمت وقالت:

ـ حسنًا، هيا بنا لنشاهد التليفزيون سويًّا.

أدرت ظهري لها مازحًا وقلت:

ـ لا، أريد أن أنام.

جذبت ذراعى بقوة، أخرجتني من سريري، ورحت أشاهد التليفزيون معها

بالقوة الجبرية الناعمة، تركت لها حرية اختيار القناة أو الفيلم، وأعطيتها الريموت كنترول وأنا بكامل قواي العقلية والعصبية والنفسية، قالت بابتسامة رائعة:

ـ ستختار أنت، أريد أن أشاهد فيلم رعب معك، ولكن ابتعد عن الأفلام التي تحتوي على مشاهد مقززة مقرفة، لن أتحملها، اختر فيلم يعتمد على الرعب النفسي.

ـ وماذا عن المشاهد الجنسية؟!

ضربتني في كتفي لكمة خفيفة، ضحكت، ثمَّ رحت أقلب القنوات باحثًا عن فيلم رعب نفسي لا يحتوي على مشاهد مقززة أو إباحية، إن المهمة تشبه مهمة البحث عن إبرة في كومة من القش كما يقولون، ربما أصعب من مهمة الموت التي أقوم بها يوميًّا.

سألتني وهي تلمح بقعة الدم على ملابسي:

ـ هل أنت متأكد أنك لا تحتاج إلى طبيب؟!

ـ لا، صدقيني، إن الجرح يلتئم وحده.. هل تريدين رؤيته؟!

فوجئت بها تومئ برأسها دليلًا على الموافقة، استجبت لرغبتها ورفعت ملابسي وكشفت عن بطني لترى الجرح الصغير، مدت أصابعها البيضاء الرقيقة الناعمة تتحسس موضع إصابة السكين، كان لا يزال هناك قطع صغير ودماء تلوث مكان الطعنة، ملمس أصابعها رفع درجة حرارة جسدي بصورة غير طبيعية، لم يحدث هذا لي من قبل!، أنا الذي لا أشعر بأي حرارة عندما أقترب من النار، أنا الذي لا أشعر بأي ألم إذا احترقت يديّ بالكامل، ما الذي يحدث لي؟! المشكلة أنها لم تكتفِ باللمسة السحرية الجبارة، فوجئت بها تقترب برأسها من مكان الإصابة وأشعر بأنفاسها الحارة على بطني، قبل أن تضع شفتيها الرقيقتين على جسدي وتمنح مكان الإصابة قُبلة شديدة الأثر قوية المفعول، ثمَّ تقول بكل رومانسية:

ـ أنت بطل!

عادت الملعونة (سالي) إلى مكانها وغطت بطني بنفسها، فنهضت من مكاني لأقف وأعدل ملابسي ولأزيل بعض الأثر القوى للمساتها وقبلتها الحارة، سألتني:

ـ ألن تخبرني ما هي المهمة الوطنية التي جعلتك تقيم في هذه الشقة طوال هذه المدة؟!

ـ من الأفضل ألا تعرفي، ثانيًا: هذه الأمور ليست للنشر إن كنت تفكرين في عمل تحقيق صحفي.

ـ لا أبدًا والله، من جعلك تظن هذا؟! بالعكس.. أنا أريد أن أعتزل الصحافة، أريد أن أشترك معك في جميع مهامك الوطنية من الآن فصاعدًا.

اعترضت قائلًا:

ـ أولًا: هذه المهام خطيرة جدًا، لن تستطيع آنسة رقيقة مثلك تحمل العواقب، ثانيًا: لا توجد مهام أخرى بعد ذلك، هذه كانت آخر المهام، سأعود مرة أخرى لمتابعة أعمالي التجارية ومشاريعي.

ـ من قال لك أنني آنسة رقيقة؟!، أنا شجاعة جدًا ولا أخاف.

ضحكت قائلًا:

ـ أنتِ لا تستطيعين النوم وحدك في شقتك منذ الليلة التي حبسوكِ فيها داخل قبر، ولا ندري ما الذي يمكن أن يفعلوه في المرة القادمة.. إن كانت هناك مرة قادمة.

ـ لا، أنا لا أخشى شيئًا، ولا أخاف من أحد، ومن الغد سوف أنام في شقتي وحدي، لأثبت لك أنني شجاعة ولا أخاف منهم.

ـ لا، أرجوكِ، لقد اتفقنا، لقد وعدتني أن تبقى معي حتَّى وصول خطيبك،

أما بخصوص ما قلته.. فأنتِ أشجع واحدة على كوكب الأرض، أنا الذي أخاف من النوم وحدي لذا أريدك بجانبي.

ـ حسنًا، سوف أثبت لك الآن أنني شجاعة.

اختارت (سالي) قناة تعرض فيلم رعب مقزز اِسمه مكتوبًا في ركن الشاشة (خمن، من سنأكله على العشاء؟)، فقلت لها:

ـ هذا الفيلم لن يعجبك.

ـ سأشاهد معك هذا الفيلم، لأثبت لك أنني شجاعة.

وكما يحدث في كل مرة، نامت أثناء المشاهدة، لا لم تتقيأ، لقد تماسكت، أو ربما كانت تغمض عينيها في المشاهد القاسية.. لا أعلم، لكن بعد مدة قصيرة من المشاهدة سمعت غطيطها، يبدو أن الأفلام تساعدها على النوم.. سواء كانت رومانسية أو رعب أو (أكشن)، أو أنها ليست معتادة على السهر، تركتها بجواري نائمة على الأريكة وتابعت المشاهدة حتَّى سمعت صوت العصافير.

حملتها وأدخلتها غرفتها ورحت أفتح الباب، كان العميل صاحب الشقة، أعطاني باقي أتعابي.

***

في صباح يوم الثلاثاء.. خرجنا من شقة العميل وذهبنا إلى شقتي.. واحدة من الشقق الكثيرة التي أمتلكها، دخلت (سالي) الشقة وراحت تتجول فيها، قالت ساخرة من ملحمة الفوضى:

ـ هذه شقة رجل أعزب فعلًا.

ثمَّ دخلت المطبخ، لم تجد شيئًا للأكل عكس الشقة السابقة، فأخبرتها:

ـ معظم الوقت بالخارج، وأتناول الوجبات في المطاعم، أو أطلب خدمة التوصيل للمنازل.

ـ حسنًا، سوف أخرج لأشتري بعض الخضروات والفاكهة، لا تشغل بالك.

أخرجت من جيبي رزمة من المال وأعطيتها لها فسألتني مندهشة:

ـ ما هذا؟!

ـ من أجل التسوق.

ضحكت قائلة:

ـ مصروف البيت!

ـ نعم، اعتبري نفسك زوجتي أو أختي أو ابنتي وهذا هو مصروف البيت، أريدك أن تطهي لي طعامًا لذيذًا مثلما كنتِ تفعلين.

ـ لا، شكرًا، معي مال.. لا تقلق.

ـ لا، أبدًا، سأتكفل بجميع المصاريف.

ـ لكن، أنا مدينة لك بالكثير، أنا مُدينة لك بحياتي.

ـ لقد أخبرتك ألا تقو....

قاطعتنى قائلة:

ـ حاضر.

الغريب أنني كنت أفرح بأي توفير للمال فيما مَضى، اليوم أفرح بإنفاق المال على أحد آخر غيري، بل أرجوها ألا تدفع مليمًا في أي شيء، كأنها تخصنى ومن الواجب أن أنفق عليها، أتذكر الآن خطيباتي السابقات، كنت أنفق عليهن مالًا من جيب العميل، لم أدفع لفتاة منهن مالًا من جيبي قط! كنت أوفر الكثير وأحصل على الكثير.

اتصلت بالمطعم القريب فأحضر لنا وجبة فطور ساخنة، تناولناها سويًّا ثمَّ قلت لها:

ـ سأخرج الآن لأتابع أعمالي، البيت بيتك، لا تفتحي لأي أحد، ليس لي أي أصدقاء، إذا حدث أي شيء اتصلي بي.

ـ مهمة وطنية؟

ـ لا.

في الساعة العاشرة صباحًا، اتجهت إلى المهمة الجديدة، العنوان الذي وصفته لي العميلة (ث ـ 10)، كانت مهمة جديدة من مهام (العاشق الميت)، هذه المهمة يزداد الطلب عليها باستمرار لدرجة أني أتعرى معظم اليوم، ربما أتحول بمرور الوقت من (المهنة: ميت) إلى (المهنة: عاشق)، فتحت لي العميلة باب شقتها واستقبلتني بترحاب شديد، ضحكت قائلًا:

ـ أنتِ يا (محاسن)! لهذا السبب كنت أشعر أن الصوت مألوفًا.

ضحكت (محاسن) ضحكة ماجنة كعادتها، وضربت كتفي بيدها الغليظة قائلة:

ـ كيف حالك يا ميت؟!

ـ بخير، كيف حالك أنتِ يا (محاسن)؟ ما الأمر؟! هل عندك زوج جديد؟!

فردت كفها في وجهي قائلة:

ـ الخامس.

ربما تخشى أن أحسدها على كثرة الزواج، غطت وجهي بأصابعها الخمس، ضحكت قائلًا:

ـ هل أعجبتك اللعبة يا (محاسن)؟! لقد قتلني أربع أزواج لكِ من قبل.

ضحكت مجددًا وقالت:

ـ واليوم.. الدُور على الخامس.

ـ وماذا كان مصير الأربعة السابقين؟!

ـ ثلاثة منهم .. سجن، وواحد إعدام.

ـ وكل هذه الأحكام بدون جثة؟!

ـ منهم من يعترف على نفسه أو يقوم الجيران بالاعتراف عليه.

ـ لماذا لا تطلبين الطلاق بطريقة مباشرة، بدلًا من كل هذا؟!

قالت بحسرةٍ:

ـ يرفضون دائمًا.

ـ ألا تخافين من الفضيحة يا (محاسن)؟!

قالت بثقةٍ:

ـ إن المال يدارى أي فضيحة، إن أي عريس جديد يرى المال فيتجاهل ما يسمعه عني.

ـ هل تشترين أزواجك؟!

ـ إن الزواج صفقة، أنا أشتري شبابهم وهُم يأخذون المقابل مالًا، إن العريس السادس أفضل من الخمسة السابقين.. شباب ووسامة.

ـ تفكرين في السادس وأنتِ مازلت على ذمة الخامس!!

ـ السادس يختلف عنهم جميعًا، ربما أبقيه معي للأبد.

ـ لقد قلتِ نفس الكلام عمن سبقوه.

ـ لا، السادس أروع بالتأكيد، المهم ألا يطلقني هو من أجل أخرى.

ثمَّ التفتت لي قائلة:

ـ لقد أصبحت تثرثر كثيراً، وأنا أعلم أن الموتى لا يثرثرون، توقف عن الأسئلة، ونفذ ما أطلبه منك حتَّى تحصل على الأجر كاملًا.

وراحت تمد يديها الغليظتين وتفك أزرار قميصي وتساعدني في خلع ملابسي بسرعةٍ قائلة:

ـ أسرع، اخلع ملابسك كلها، إنه في الطريق، ليس لدينا وقت، جهز نفسك للموت.

خلعت ملابسي كاملة بينما لم تخلع هي شيئًا واحدًا، ثمَّ سمعنا نغمة موسيقى أغنية شعبية.

ـ ما هذا؟!

ـ جرس الباب.

ـ هل ستفتحي أنت؟!

ـ لا، بل افتح أنت، لتكون في المواجهة، سأنتظر أنا بالداخل على السرير، سيقتلك ويتجمع الجيران ثمَّ أخرج أنا بعدها من الغرفة.

انتظرت حتَّى اختبأت في الداخل ثمَّ فتحت الباب لأجد آخر شخص أتوقع رؤيته في تلك اللحظة وفي هذا المكان.

لم يكن زوجها، تمنيت أن يكون هو..

لقد كانت (سالي)!

***

(23)

لم أكنْ أعلم أن (سالي) خرجت خلفي لتراقبني، لترى المهمة الجديدة التي ذهبت إليها، كانت تريد الاشتراك فيها، حاستها الصحفية لم تمت بعد، كانت ذكية للغاية لدرجة أني لم ألاحظ سيرها خلفي، انتظرت تراقب الشقة لبعض الوقت ثمَّ طرقت الباب، رأتنى أمامها عاريًا تمامًا.. كما رأيتها بالضبط من قبل.. خالصين كده يا (سالي)!

رأيت على وجهها نظرات اِحتقار وهي تنظر لي من أعلى لأسفل.

ـ أهذه هي المهمة الوطنية؟!

فوجئت بنفسي أقول لها:

ـ (سالي)، سأفسر لك كل شيء.

رمقتنى بنظرة احتقار أخرى وقالت:

ـ الموضوع لا يحتاج إلى تفسير.

المفروض أن يضبطني زوج (محاسن) الجديد.. لا أنتِ، قلت لها:

ـ دعيني أشرح لك..

لقد مررت بهذا الموقف كثيراً، كثيراً جدًا، أزواج وزوجات رأوني عاريًا في شققهم، الزوج الذي يعود من عمله يجدني عاريًا في فراشه مع زوجته، الزوجة التي تكتشف وجود رجل عاري في منزلها قبل دخول زوجها الشقة بلحظة واحدة،

إلخ. وكنت أتظاهر أمامهم بالارتباك ومحاولة الدفاع عن نفسي، لكن هذه المرة تختلف! أنا مرتبك بالفعل، لا أعرف ماذا أقول وماذا أفعل وكيف أتصرف! أنا أذوق الآن من نفس الكأس الذي أسقيته للآخرين، قالت (سالي):

ـ أنت حُر، افعل ما يحلو لك.

خرجت (محاسن) من الغرفة ورأتنا، فسألت بصوتها الغليظ الذي يذكرني ببائعة السمك في سوق مزدحم:

ـ من هذه؟!

التفت إليها وأجبت سؤالها:

ـ (سالي).

ـ (سالي) من؟!

عُدت إلى المصدومة، لم أجدها!، لقد هبطت (سالي) الدرج، هبطت خلفها فسمعت (محاسن) خلفي تقول:

ـ هل ستخرج الشارع عاريًا هكذا يا حلو؟!

انتبهت في تلك اللحظة لكوني غبيًا، عُدت إلى الشقة وقلت:

ـ معك حق! لا بد أن أرتدي ملابسي.

أغلقت (محاسن) الباب وقالت بغلظةٍ:

ـ لن ترتدي شيئًا، لا بد أن أنتهي من هذا الموضوع اليوم.

ـ لكن.. لا بد أن أشرح لها، أنني...

سألتني:

ـ من هذه؟! زوجتك؟

ـ لا.

ـ خطيبتك؟

ـ لا.

ـ عشيقتك؟

ـ لا.

ـ طالما أنها ليست عشيقتك ولا خطيبتك ولا زوجتك لماذا تشغل نفسك بها هكذا؟!

لم أستطع الرد، كان منطقها سليمًا، لماذا أشغل نفسي بتلك اللعينة (سالي)؟! إنها ليست زوجتي، ولا حتَّى خطيبتي، إنها مخطوبة لأحد آخر، وسوف يتزوجا، فلماذا يهمني أمرها؟! فلتفهم ما تفهمه، هذه هي مهنتي! ولا أجيد غيرها، وهي مجرد شريكة سكني، قلت للعميلة:

ـ معكِ حق.

اقتربت منى وداعبتني، لم أشعر بأي حرارة على الإطلاق، لم أشعر بأي شيء.. اللعنة.. لماذا (سالي) فقط؟! أريد أن أفهم، لماذا أتغيّر عندما أكون معها؟! ما المختلف فيها عن باقي نساء العالم؟! دفعت (محاسن) بعيدًا عني وقلت غاضبًا:

ـ كفي! لقد أتيت لأموت، لم آت لشيء آخر.

قالت الزوجة الغير شريفة:

ـ كنت أحاول تعديل مزاجك، لتنسي موضوع تلك الفتاة، وتسترخي تمامًا، لا تنس أنك ستقوم بدور العاشق الولهان أي أنك تحبني وكنا نمارس الغرام قبل وصول زوجي.

بعد جملتها بثوان، سمعنا الموسيقى مرة أخرى، اتجهت إلى غرفتها وفتحت أنا الباب عاريًا، نظر الزوج لي ثمَّ شعر بالصدمة فقال:

ـ استر نفسك يا أخي قبل أن تفتح الباب، وآسف أني طرقت بابك بالخطأ.

لم يصدق الزوج المسكين أن هذه شقته!، ظن أنه خلط بين الشقق أو الأدوار، معه حق، من هذا العاشق الجريء الذي يفتح للزوج باب شقته وهو لا يرتدي شيئا؟! كانت خطة غبية، المفترض دائمًا أن العاشق يختبئ تحت السرير أو في الدولاب أو في أي مكان، ويحاول أن يرتدي شيئًا قبل أن يراه أي أحد، ما التصرف السليم الآن؟! هل أنادي على الزوج وأخبره أن هذه شقته وأنني الرجل الذي أخونه مع زوجته؟ أين أنتِ يا (محاسن) لتحلي هذه المعضلة؟.. أخرجي الآن ليعلم الزوج أنها شقته.

ظل الزوج حائرًا من أمري، قال:

ـ اغلق بابك وارتدي شيئًا يا رجل، لو رآك أحد الجيران سيظن أنني خارج من عندك.

أنا أقف صامتًا، لا أدري ماذا أقول له، في النهاية أغلقت الباب، بعد دقائق طرق الزوج الباب غاضبًا، يبدو أن المفاتيح ليست بحوزته، يعتمد على أن زوجته تفتح له الباب دائمًا:

ـ افتحي يا خائنة، هذه شقتي! من هذا الرجل؟!

لقد توقع الزوج أن أرتدي ملابسى وأهرب، لكنه فوجئ بي أفتح له الباب بنفسي مرة أخرى وبدون ملابس كما كنت.. دفعنى جانبًا بيده وهو يسألني:

ـ أين هي؟!

ـ انتظر، سوف أشرح لك...

اندفع ناحية المطبخ وأحضر سكين ثمَّ اندفع نحوي وطعننى في بطني، تظاهرت بالألم وسقطت أرضًا، صاحت الزوجة من داخل الغرفة لتستنجد بالجيران، ليشهدوا

على جريمة زوجها، لم يأت أحد، فتحت النافذة ونادت بأعلى صوتها (النجدة، الغوث)، لم يأت أحد!

الزوج يدفع باب غرفتها بكتفه القوي حتّى فتحه أخيراً، ماذا أفعل؟! هل أنهض لأتلقي الطعنة بدلًا منها؟ لكن المفروض أنني ميت الآن في الصالة، لا يمكننى التحرك كأي ميت، نالت (محاسن) طعنة في ذراعها عندما حاولت الدفاع عن نفسها، طعنة أخرى في صدرها الكبير، طعنة ثالثة في بطنها، رابعة في فخذها، والخامسة في.... إلخ

أظن أنها لن تعيش بعد كل هذه الطعنات! أظن أنها خمس عشر طعنة تقريبًا، ربما عشرون، لقد توقفت عن العدّ منذ الطعنة السادسة، أتى الجيران بعد فوات الأوان، عندما صارت (محاسن) جثة هامدة.

لن تستطيع الزواج من العريس السادس! والسؤال: من سيدفع لي بقية أتعابي يا (محاسن)؟!

***

عُدت إلى شقتي، لم أجد (سالي).

لقد تركت الشقة، يمكن تخمين أنها عادت إلى شقتها، لقد توقعت ذلك، حسنًا.. لن أذهب إليها.. لقد اختارت، لست متفرغًا لهذا الخصام ومحاولات الصلح، لديّ أعمال كثيرة، ولا أريد أن يعطلني أحد، ويكفي أن مهمة (محاسن) انتهت بدون الحصول على أي أموال جديدة، فعندما رأيتها قد ماتت، نهضت من مكاني وفررت من المنزل، المهمة فشلت، سأذهب الآن لمهمة (الميت المنتحر).

***

وقفت أمام الناشر الكبير (سعيد رضوان) داخل غرفة مكتبه في المبنى العملاق لدار النشر الشهيرة وقلت له:

ـ أخيراً، استطعت مقابلتك.

ابتسم ابتسامة صفراء وقال:

ـ أعذرني، لديّ مشاغل كثيرة، ماذا تريد؟

ـ أنا مؤلف شاب، أرسلت روايتي لكم أكثر من مرة منذ سنوات ولم يأتيني الرد حتَّى الآن.

تنحنح قائلًا:

ـ إن لجنة القراءة لديها أعمال كثيرة، وروايتك سوف يأتي دورها بالتأكيد، هل هناك أمر آخر؟!

أكملت:

ـ ثمَّ قرأت إحدى إصداراتكم منذ أيام فاكتشفت أنها روايتي، منقولة بالحرف، مع تغيير اسم الرواية، وباسم مؤلف آخر. غيري، عرفت أنه يعمل في لجنة القراءة لديكم.

نهض من خلف مكتبه وصاح:

ـ هذا اتهام خطير لا أسمح به، نحن دار نشر عريقة، من أنت؟ ومن الذي سلطك علينا؟

ـ هذه هي الحقيقة، لا ألقي بالاتهامات.

ضغط زرًا بجواره وقال:

ـ سوف أستدعي الأمن، ليخرجوك فورًا ويطردوك خارج المبنى.

صحت قائلًا:

ـ لا، لا تطلب الأمن.

ثمَّ اتجهت ناحية نافذة مكتبه الكبيرة المطلة على النيل، وقلت:

ـ سوف أنتحر أمامك لتشعر بتأنيب الضمير، أنت السبب في الحالة التي وصلت إليها، لم تعد لديّ رغبة في الحياة وقد سرقت طفلتي الأدبية.

كان يظن أنني أمزح فقال:

ـ صدقني، لو فعلتها سوف أشعر بسعادة بالغة.

ـ حسنًا.. سأنتحر أمامك.

لوّح بيده في الهواء مشجعًا:

ـ هيا.. افعلها.

ـ حاضر.

قفزت من النافذة أمام عينيه.

تمت المهمة.

***

طرقت الباب، فتحه الرجل العجوز وقال بسعادةٍ:

ـ أهلًا، كيف حالك؟ وكيف حال الشبح؟

قلت له كالعادة:

ـ هل أنت الأستاذ (عبد العزيز عبد الشكور عـ.....

قاطعنى قائلًا:

ـ نعم.. نعم.

قلت له:

ـ الشبح طلب مني أن...

قاطعني الرجل مرة أخرى وقال:

ـ بل أنا الذي أريد تسليمك رسالة تخص الشبح.

ثمَّ أظهر لي السكين التي كان يخبئها خلف ظهره، ثمَّ طعنني بها فجأة قائلًا:

ـ هذه هي الرسالة.

❊❊❊

(24)

تلقيت الطعنة في صدري وتظاهرت بالألم الشديد والدم يسيل ملوثًا ثيابي، لم أتوقع أن يقوم هذا العجوز بهذا الهجوم المفاجئ، كنت أجهز له طريقة جديدة للانتحار أمامه كالعادة، لم أتخيل أن يقتلني هو هذه المرة. سقطت أرضًا والدم يسيل مني. انحنى الرجل وهو يتفحص جسدي:

ـ يا إلهي! لقد قتلته، لقد أصبحت مجرمًا، يا إلهي!، سأدخل السجن، ما الذي فعلته؟! لقد ظننت أنه شبح لن يموت، لقد ظننت أنه سيهرب مني عندما أهدده بالسكين، يا إلهي!

وراح يلطم وجهه أمام جثتي، والدم يسيل بغزارة، ظل يبكي كثيرًا، يا للملل! متى سينتهي؟! متى سيدخل شقته ليتصل بأحدهم كما يفعل كل مرة؟

بعد ربع ساعة، نظر الرجل إلى عيني، وجدها مفتوحة، فقام بإغلاقها بيديه، بعد دقيقة فتحتها فقام بإغلاقها مرة أخرى.. فلنمرح قليلًا!.. ظللت مغمض العينين لمدة دقيقة ثمَّ فتحتها فجأة، بطريقة أثارت ذعر الرجل، فقام بإغلاقها مرة أخرى، ثمَّ فتحت عيني بعد دقيقة، وعندما مدّ يده لإغلاقها ابتسمت فجأة وأنا أصيح:

ـ الشبح.

تراجع الرجل مفزوعًا للوراء، الجثة عادت للحياة أمامه، أكملت جملتي قائلًا:

ـ يريد منك أن تستلم منه رسالة.

نهض الرجل ودخل شقته وهو يبسمل ويحوقل، وأغلق بابها بسرعة في وجهي.

***

وقت الغداء.

وضع النادل أمامي الوجبة العائلية، مددت يديّ إلى الطعام ورغبة قوية بداخلي لالتهام كل هذه الأطباق، ثمَّ.. لا شيء!

ما هذا؟!

تذكرت طهي (سالي)!.. اللعنة!.. أكان لا بد أن تراقبني؟! يا لفضول الأنثى! ما الذي كان سيحدث لو أنها أطاعتني وبقيت بالمنزل تجهز لوجبة الغداء وتنتظرني كأي ربة منزل ملتزمة؟.. لكنها ليست زوجتي.. إنها مخطوبة لشخص آخر.. وسوف يتزوجها، وكانت ستخرج من حياتي آجلًا أو عاجلًا، يجب أن أتعوّد على ذلك.

حاولت تناول الطعام مجددًا..

ثمَّ..

لا شيء.

ما الذي يحدث لي؟!.. لم يمنعني أي سبب من قبل عن تناول الطعام، يومًا ما تناولت الطعام وأنا شبعان ببطن ممتلئة فوق الطبيعي! تناولت طعام وأنا في أماكن قذرة! تناولت طعام قذر وفاسد!.. لم يمنعني شيء من قبل عن الأكل، ما الذي يحدث؟!

(سالي).. (سالي).. (سالي).. (سالي).. (سالي).. (سالي).. (سا... نهضت من مكاني ودفعت الحساب وتركت المنضدة بما عليها من طعام لم ينقص ملعقة، لأول مرة أفعلها في حياتي، دون أن يطلب العميل مني ذلك.

ذهبت إلى شقتها وضغطت بإصبعي على زر الجرس، سمعت نغمة موسيقى

رومانسية حالمة، توقعت أن تنتظر طويلًا قبل أن تفتح لي، فوق الباب كاميرا، لا بد أنها تستخدمها لتعرف من الطارق عن طريق قناة في التليفزيون أو اللاب توب أو هاتفها المحمول، ليست بدائية لتستخدم العين السحرية، نظرت إلى الكاميرا ولوحت لها:

ـ أنا يا (سالي).

فتحت الباب لي وقالت مبتسمة:

ـ كنت أعلم أنك ستحضر.

قلت ساخرًا:

ـ قلب الأم!

حاولت الدخول لكنها منعتني قائلة:

ـ انتظر ثوان.

وأغلقت الباب في وجهي، ما هذا؟! لماذا لم تدخلني؟! هل تخاف على سُمعتها وسط جيرانها؟! لكنها طلبت مني أن أنتظر ثواني، لم تطلب مني أن أنصرف، وهذا يعني أنها ستفتح لي وتدخلني بعد ثوان، حسنًا سوف أنتظر، لكن لماذا لا أنتظر بالداخل؟! ماذا تفعل بالداخل؟! من معها بالداخل؟!

بعد دقائق فتحت (سالي) الباب مرة أخرى، ابتسمت لها، أعطتني بعض الأكلات الشهية قائلة:

ـ انتبه.. الأطباق ساخنة.

كانت ترتدي قفازات المطبخ لتستطيع حمل الأطباق الساخنة، تناولتها منها ولم أشعر بأي سخونة، ابتسمت قائلة:

ـ نسيت أنك لا تشعر بأي ألم!

أخذت جميع الأطباق التي أعطتني إياها وسألتها:

ـ ما هذا؟!

ـ ألم تأتِ من أجل الغداء؟! لقد أعطيتني مصروف البيت لأطهي لك ما تأكله.

نعم، هذا هو السبب الرئيسي لعودتي إليها لكن..

ـ ألن تأكلي معي؟!

ـ لا، سبقتك.

وهمّت بغلق الباب فأسرعت قائلًا:

ـ انتظري، هل سأتناول طعامي هنا؟ أمام شقتك؟ كأي شحاذ؟!

أجابت ببساطة:

ـ نعم.

ـ ألا تخافين على سُمعتك أمام الجيران عندما يرون رجلًا غريبًا يتناول الطعام أمام شقتك؟!

قالت ببرود:

ـ لا، سيقولون إني طيبة القلب، قدمت له الطعام وتركته يأكل أمام شقتها.

فكرت قليلًا ثمَّ قلت مهددًا:

ـ حسنًا، سأخلع جميع ملابسي، وأنت تعلمين جيدًا أنني لا أخشى شيئًا ولن أتردد في فعل ذلك، وإذا رآني أحد جيرانك سأخبرهم أنني كنت معك بالداخل وطردتني فجأة، سأقول مثلًا أن زوجتي ضبطتني عندك، وسوف أصف لهم شقتك بالوصف التفصيلي لأثبت لهم أقوالي، وسوف أصف لهم حجرة نومك بدقة، وسريرك، وحمامك، وربما أصف لهم تفاصيل جسدك أيضًا وأنا أحفظه جيدًا من المرة الوحيدة التي رأيته فيها.. سوف تحتاجين لسنوات لتمحي آثار هذه الفضيحة عنكِ.

ظلت صامتة لثوان ثمَّ قالت وهي ترمقني بنظرة تقزز واشمئزاز:

ـ كم كنت غبية! يا لحقارتك! لا أعرف كيف وثقت بك يومًا ما!

يبدو أنني قد بالغت في التهديد، ألصقت بنفسى تهمة جديدة لأحاول الدفاع عن التهمة القديمة ..أنا غبي من الدرجة الأولى، قلت بسرعة:

ـ لن أفعل ذلك طبعًا.. لن يحدث ذلك أبدًا.. لقد بالغت كثيرًا، فقط كنت أحاول أن أقنعك بإدخالي، لكن صدقيني.. ما زلت نفس الشخص الذي وثقتِ به.

ـ قل ما عندك، لكني لن أدخلك أبدًا.

ـ حسنًا، كما تأمرين، كنت أريد أن أخبرك أنني لم آت إلى هنا من أجل الغداء فقط، ربما كان الغداء هو السبب الرئيسي.. أعترف، لكن هناك أسباب أخرى، أسباب لا تقل أهمية، أولًا.. أريد أن أفسر لكِ ما رأيته.. لقد كانت مهمة عمل.

قالت ساخرة:

ـ مهمة وطنية؟! هل كانت هذه السيدة جاسوسة وكنت تحاول استخراج المعلومات منها؟!

ـ لا، إنها امرأة عادية، ولا تربطني بها أي علاقة عاطفية، العلاقة التي بيننا هي علاقة عمل فقط، لقد استأجرتني من أجل أن.....

قاطعتني قائلة:

ـ استأجرتك! هل تبيع جسدك للنساء؟!

ضحكت قائلًا:

ـ لا، بل أنني لم أضاجع امرأة في حياتي قط.

سمعت جملتي وبدا عليها عدم التصديق، أكملت لها:

ـ أنا أعمل ميت.

ـ (ميت)!!

ـ سأخبرك بالحقيقة كاملة، لكن لن أستطيع الشرح وأنا أقف أمام الباب هكذا، والطعام سوف يبرد.

ـ لا أحتاج لمعرفة أي شيء عنك. تناول طعامك وانصرف.

وأغلقت الباب، حسنًا.. سوف أتناول غدائي، لولا طعامك الشهي لما جئت إلى هنا، سأتناوله وأنصرف.. كما تشاءين، لكن لا بد أن تحضريه لي كلما جعت.. لا بد أن نتفق على ذلك، وسوف أتفق مع خطيبك على ذلك.. أمسكت الملعقة والحماس يجتاحني لتناول الطعام، وفجأة..

لا شيء!

توقفت الملعقة في منتصف المسافة، اختفت رغبتي في الطعام!

كنت أظن أن السبب هو رغبتي في طهي (سالي)، لكنى اكتشفت الآن أنني أرغب في تناول الطعام مع (سالي)، ولهذا تناولت الطعام معها في المطعم بشراهة شديدة، رغم أنه لم يكنْ من إعدادها، لقد أحببت تناول الطعام معها، أكثر من الطعام الذي تعده.

طرقت بابها، ضغطت على زر الجرس، لم تفتح، لا بد أنها وضعت السدادات على أذنيها كعادتها، لو أنني فجرت بابها الآن بالديناميت لن تسمع صوت الانفجار، ما العمل الآن؟!

***

تركت الطعام كما هو، وغادرت العمارة ثمَّ دُرت حولها، تسلقت المواسير حتَّى وصلت إلى نافذتها، طرقت على الزجاج، طبعًا لم تتوقع أن يطرق أحد نافذتها وهي تسكن في الطابق السادس، تجاوزت دهشتها وخلعت السدادات وفتحت النافذة وقالت:

- ما الذي تفعله يا مجنون؟!

قلت بمنتهى الصراحة:

- أنا بالفعل مجنون، مجنون بكِ.

سألتنى مندهشة:

- ما الذي تقوله؟

أجبتها بكل صدق:

- لقد اكتشفت هذه الحقيقة الآن، لقد وقعت في الحب، لقد أحببتك يا (سالي).

***

(25)

صاحت (سالي) وهي تقف أمام نافذة غرفتها:

ـ ما الذي تقوله؟!

كنت لا أزال واقفًا على الماسورة بجوار نافذتها بالخارج، قلت:

ـ هذه هي الحقيقة.. لقد أحببتك يا (سالي)، كنت أظن أن قلبي ميتًا.. لا يستطيع الحب مثل باقي البشر، لكنكِ صنعتِ المعجزة.. لقد نبض قلبي أخيراً بالحب بسببك.

قالت بدهشة:

ـ كلام غريب! كيف ومتى وأين حدث هذا؟!، لقد كنت تريد التخلص مني.

ـ أنا لا أعلم مثلك بالضبط، لكني اكتشفت الآن أنني أحبك.. أحبك بجنون.

ـ لكني مخطوبة، ولا أحبك.

ـ وأنا لم أطالبك بأن تحبينني، فقط أعترف لكِ بما يجول في صدري، لا أطالبك بأي شيء.

ـ ولماذا تعترف لي بمثل هذا الاعتراف؟! ما الذي تريده؟

ـ لكي تطمئني لي، وتتركيني أدخل شقتك وأتحدث معكِ وأخبرك بكل شيء، لتثقى في وتعودي إلى شقتي.

ـ هل أنت أحمق؟!

ـ ماذا؟!

ـ بعد هذا الاعتراف، لا يمكن أن أذهب معك في أي مكان أبدًا.

ـ لا أفهمك!

ـ كنت أقيم عندك في الشقة لأني أعلم أنك تكرهني وتريد التخلص مني لكني واثقة في أنك ستحميني، لكن الآن الوضع اختلف، لا يمكن أن أقيم عندك أبدًا، بعد الاعتراف بحبك لي سأظل واثقة في أنك ستحميني لكن لا أضمن ألا يحدث شيئًا ما بيننا.

فهمت نظريتها، لديها بعض المنطق فيما تقوله! بالأمس كنت أحميها ولن أقترب منها لأني لا أطيقها وهكذا اطمأنت، اليوم سأحميها لكن لن أطيق البعد عنها لذا لن تطمئن على نفسها مني!

ـ أعدك أني لن أفعل شيئًا.

ـ لن أصدق أي وعد.

غيرت أقوالي والهدف واحد، قلت:

ـ حسنًا.. أنا أكرهك، كنت أكذب عليك عندما قلت أني أحبك، هيا افتحي الباب حتَّى أستطيع قتلك.

ضحكت بقوة وقالت:

ـ لن أفعل أبدًا.

ـ ألا تخافين من العصابة الشريرة؟!

ـ لا، لقد اقتنعت بوجهة نظرك، هم يظنون أني ميتة لذا لن يشغلوا بالهم بي.

ـ افتحي أرجوك.

ـ لا.

ـ افتحي وإلَّا سألقي بنفسي أمامك الآن.

لم تهتم بتهديدي، قلت بلهجة جادة:

ـ ألا تصدقينني؟! حسنًا.. سألقي بنفسي الآن.. واحد..

نظرت لي بتحدي، تظن أنني أمزح.

"اثنان."

ظنت أني سأعد حتَّى المائة ولن أقفز أبدًا.

"ثلاثة."

وتركت يداي في الهواء وسقطت بدون أن أتشبث بأي شيء أمام عينيها المذعورتين، من الطابق السادس.

***

طبعًا نجوت.. ربما تحطمت بعض العظام لكنى ما زلت حيًّا، ربما نزفت دمًا لكني لا أشعر بأي ألم، نظرت حولي، كانت أرض فضاء، لو أنني سقطت أمام العمارة لتجمع المارة حول جثتي، أما خلف العمارة أرض خراب يسكنها الذباب فقط، ولهذا تسلقت النافذة الخلفية لشقة (سالي)، لا أريد فضائح اليوم، أريد فقط أن أثبت لها أني مستعد للقيام بأي شيء حتَّى تثق بي مرة أخرى.

لم تستغرق (سالي) سوى دقائق في الوصول لي، لا أعلم إن كانت استخدمت المصعد أم الدرج لكنها وصلت لمكان جثتي بسرعة.. كانت تلهث.. تلتقط أنفاسها بصعوبة، يبدو أنها قامت بمجهود جبار.. أظن أنها استخدمت الدرج، لا أظن أن المسافة من بوابة العمارة وحتَّى مكان جثتي مسافة طويلة تستحق كل هذا اللهاث، لا بد أن المصعد كان معطلًا، أو أنها أرادت ألا تتأخر بانتظار المصعد، المهم أنها وصلت لمكاني ويبدو عليها القلق الشديد، ربما ظنت أني قد مُت حقًا.

ـ (رؤوف). (رؤوف).

لم أخبرها أن هذا الاسم لا يعجبني ولا يناسبني، لكنه اسم في النهاية وقد استخدمت لنفسي مئات الأسماء، منها ما كان لطيفًا ظريفًا، ومنها ما كان غريبًا ومُحرجًا، لكن الاسم في النهاية من اختيار (سالي)، إذن سأتقبله.

نهضت من مكاني وقلت:

ـ نعم.

ضربتني على ساقي بميوعة وقالت:

ـ الحمد لله أنك بخير، لقد أفزعتني، كاد قلبي أن يتوقف.

ـ هل قلقت عليّ؟!

شعرت بسعادة جمة عندما قالت باقتضاب:

ـ بالتأكيد.

ثمَّ نظرت إلى جبهتي ورأت الدم فسألتني بذعر:

ـ ما هذا؟!

ـ لا تشغلي بالك، سأكون بخير في الصباح.

نظرت لي متعجبة:

ـ لا أفهمك، أنت إنسان غريب! أي أحد آخر لو سقط من كل هذه المسافة لمات في الحال، لا يجلس مكانك ويمزح ويطمئنني أنه سيكون بخير في الصباح، أنت حقًا بطل خارق!

ضحكت قائلًا:

ـ (بطل خارق) مرة أخرى!، حسنًا.. أنا (سوبرمان).. هيا بنا نطير من هنا.

ظهرت ابتسامة كبيرة على وجهها وسألتني مندهشة:

ـ هل حقًا تستطيع الطيران؟!

لا شك أنها غبية، جميلة وأنيقة وطباخة ماهرة لكنها غبية! قلت:

ـ لو أنني أستطيع الطيران.. كنت سأحلق الآن أمام نافذتك، أو فوق سطح عمارتك، لا أتسلق المواسير وأسقط من هذا الارتفاع، لم أكنْ أعلم أنكِ بهذا الذكاء!

ضربتني مرة أخرى، قبل أن أتابع:

ـ آسف لو كنت قد خيبت توقعاتك، لكنني لا أستطيع الطيران.

ثمَّ أمسكت يدها الناعمة وقلت:

ـ هيا، ساعدي (سوبرمان) على النهوض يا (لويس لين).

ساعدتني على النهوض ثمَّ سألتني:

ـ هل تستطيع السير؟

ـ سأحاول، على أي حال سيارتي ليست بعيدة.

ـ هل تحب أن أستدعي طبيب ليفحصك؟

ـ لا، اطمئني، سيعود كل شيء لسابق عهده، أنا لا أحتاج إلى طبيب.

ثمَّ نظرت إلى عينيها الجميلتين وأكملت:

ـ أنا أحتاج إليكِ أنتِ.

قالت بلهجة جادة حادة صادمة:

ـ أنا مخطوبة، وأحب خطيبي، ولا أعرف عنك أي شيء.

قلت بكل صدق:

ـ أي شيء تريدين معرفته.. سوف أخبرك به.

نظرت لي باحتقار وقالت:

ـ ما رأيته يكفيني.

يبدو أنها لن تغفر لي موضوع (محاسن)! قلت:

ـ سأفسر لكِ كل شيء، لقد كانت مهمة عمل، دعيني أشرح لك.

ـ لا أريد سماع أي شرح، ولا أحتاج إلى سماع تبرير لما تفعله، أنت حر في تصرفاتك، ليس لى أي علاقة بك، لقد تقابلنا بالصدفة، وأنقذت حياتي، وأنا مدينة لك بذلك.

ـ وماذا عن حياتي أنا؟! لقد تغيرت حياتي عندما دخلتِ إليها، أصبح هناك شيئًا جديدًا بها.

ـ ما كل هذا الكذب؟! إن حياتك تختلف تمامًا عن حياتنا، كل يوم هناك شيء جديد.. تعيش أكثر من حياة.. ترتبط كل يوم بواحدة.

قاطعتها قائلًا:

ـ أقسم لكِ لم أحب سواكِ، كل النساء اللاتي قابلتهن في حياتى كانوا في مهمات عمل.

قالت باحتقار:

ـ والسيدة التي خلعت ملابسك كلها في شقتها! كانت مهمة عمل أيضا؟! هل تظن أنني غبية؟!

ـ دعينى أشرح لكِ..

ـ لا أريد أن أسمع حرفًا من أكاذيبك.

ـ هل ستسمعيني؟! أم ألقى بنفسي مرة أخرى من نافذتك لتسمعيني؟!

ـ حتَّى لو ألقيت بنفسك من برج القاهرة، لن أسمعك.

ضحكت قائلًا :

ـ على فكرة.. لقد فعلتها مرة.

نظرت لي مندهشة، وسألتني:

ـ من أنت؟!!!!!

ـ حسنًا.. تعالي معي إلى شقتي ونتناول الغداء وسأخبرك بكل شيء، تفاصيل حياتى كلها التي أعرفها.

ـ لا.

ـ حسنًا.. سأصعد معك إلى شقتك ونتناول الغداء وسأخبرك بكل شيء، تفاصيل حياتى كلها التي.....

قاطعتنى قائلة :

ـ لا.

ـ حسنًا.. سأصعد معك إلى شقتك وأقف أمام الباب وأتناول الغداء وسأخبرك بكل شـ.....

قاطعتنى لتقول (لا) فقاطعتها قائلًا:

ـ أرجوكِ.. لا تقولي لا.

***

ساعدتني على السير حتَّى وصلنا إلى مدخل العمارة، سألتني مندهشة:

ـ ألا تستطيع السير حقًّا؟! أم أنك تدعي ذلك لغرض دنيء؟!

ـ لا والله، جروحي لم تلتئم بعد، لا أشعر بأي ألم لكن عظامي محطمة بالتأكيد.

ثمَّ نظرت إلى ملابسها المنزلية وسألتها:

ـ هل أنتِ معتادة على الخروج من العمارة بهذا الشكل؟!

نظرت إلى ملابسها وزفرت في ضيق قائلة:

ـ لا طبعًا، لكنك السبب، عندما رأيتك تسقط أمامي لم أفكرْ سوى في الهبوط بسرعة لأطمئن عليك، لم أفكرْ في تغيير ملابسي وارتداء ملابس مناسبة، وهذا الحديث يذكرني بأن أسألك: هل كنت تخطط للسقوط من البداية؟ هل كنت تنوي أن تلقي بنفسك من هذا الارتفاع لتثير اهتمامي أو لتدفعني للخروج من شقتي؟

ـ لقد فكرت في الصعود إلى نافذتك كما يفعل العشاق، (روميو) الذي يتسلق الشجرة من أجل لقاء حبيبته، شعرت أن هذا سيكون رومانسيًّا.. لكن لا توجد أي شجرة، لذا تسلقت المواسير، وظننت أنكِ ستفتحين لي، لم أخطط للسقوط، هذا ليس رومانسيًّا بالمرة!

سألتني:

ـ هل ستتحمل الصعود على الدرج أم ننتظر المصعد؟

في نفس اللحظة دخل رجلان العمارة، وجوههما ليست مريحة على الإطلاق، تشعر أنهما مجرمين، سألنا أحدهم:

ـ في أي الأدوار شقة الأستاذة (سالي) الصحفية؟

وقبل أن أجيب، كانت (سالي) تضغط على قبضتي، وتجيب بدلًا مني:

ـ في الدور العاشر.

ـ أي شقة؟

ـ الشقة الأولى على اليمين.

ـ شكرًا.

سألتهم مبتسمة:

- من أنتم؟!

- نحن أهلها.

ودخلا المصعد معنا، صعدنا للطابق السادس بينما هما أكملا الصعود للطابق العاشر، سألتها مندهشًا:

- لماذا؟ هل.....؟

- نعم، لا أعرفهم.

***

(26)

سألت (سالي) بقلقٍ:

ـ ماذا ستفعلين الآن؟!، سوف يطرقون باب الشقة في الدور العاشر، ويخبرهم جارك أنك تسكنين هنا، سيهبطون إليك.

ـ اطمئن، لا أحد يسكن في الطابق العاشر.

ـ ربما يسألون البواب، أو أي أحد من الجيران، وسيصلون إليكِ.

ـ سنكون قد غادرنا المكان.

ـ إلى أين؟!

ـ إلى شقتك طبعًا.

شعرت بسعادة كبيرة، وددت لو أصعد لأشكر العصابة على ما فعلوه، سمعتها تقول:

ـ أين الطعام؟! الجيران الأوغاد! لقد سرقوه.. حتَّى الأطباق نفسها.

ـ لا تشغلي بالك، سنأكل في أي مطعم، المهم أن تسرعي الآن وتحضري ما يلزمك للإقامة عندي.

لوحت بإصبعها في وجهي قائلة:

ـ سأقيم عندك.. بشروط.

ابتسمت قائلًا:

ـ موافق عليها جميعًا قبل أن أسمعها.

شردت للحظات ثمَّ نظرت لي بغموض وقالت:

ـ تبدو سعيدًا للغاية!، هل أنت من دبرت لهذا؟! هل هذان الرجلان يعملان معك؟، استأجرتهما لأشعر بالقلق مجددًا فاضطر للإقامة عندك.

ذكية! ذكية لدرجة خطيرة، كيف ظننت أنها غبية في لحظة من اللحظات؟! يبدو أنني الغبى لأظن ذلك، ما العمل الآن؟! يبدو أنها فقدت الثقة تمامًا بي، قلت لها بصدقٍ:

ـ لا والله، ولا أعرف كيف أقنعك أنني بريء! لو أقسمت لكِ لن تصدقي، لو صعدت لأواجههم وقتلوني لن تصدقي، أنا حائر في التصرف، كيف أعطيكِ دليلًا على صدقي؟!

نظرت قليلًا في عيني ثمَّ أصدرت حكمها وقالت:

ـ أصدقك، لا تحتاج إلى دليل، هيا ساعدني لنغادر هذا المكان فورًا.

***

في شقتي، قلت لحبيبتي (سالي):

ـ أتمنى أن تكوني قد أحضرت بعض الملابس من أجلك، فشقتى ليس بها أي ملابس نسائية.

ابتسمت قائلة:

ـ اطمئن، لكن، هل أعتبر هذا تلميح بأنك لا تحضر نساء إلى شقتك؟!

ـ أتمنى أن تصدقيني.

ـ طبعًا.. لأنك تذهب إليهم.

ـ حسنًا.. سأشرح لكِ كل شيء وستعرفي أني بريء، لكن.. بعد الغداء.

ـ لا تشرح لي شيئًا، حياتك لا تهمني، فلتجلب ما تشاء من النساء إلى شقتك، لكن ليس في وجودي، هذا هو شرطي الأول.

ـ اطمئني، والآن هيا بنا إلى المطعم.. لأنني جائع.

سألتنى بدهشة:

ـ هل تشعر بالجوع مثلنا؟!

ـ ألستِ جائعة؟

ـ جائعة جدًا.

ـ لماذا تكثرين من الأسئلة إذن؟

ـ سؤال آخر، كيف حال عظامك الآن؟!

حركتها أمامها قائلًا:

ـ تحسنت نوعًا ما، يمكنني السير بمفردي، لكن بعرج خفيف.

ثمَّ نظرت إلى عينيها وأكملت:

ـ إلا إذا كنتِ تريدين مساعدتي.

رفعت سبابتها في وجهي محذرة :

ـ والشرط الثاني.. لا مغازلة ولا تحرش، ولا تقترب مني حتَّى.

ـ حاضر، هل يمكننا الذهاب إلى المطعم الآن؟

ـ ولماذا نذهب إلى المطعم؟!، لماذا لا نطلب خدمة التوصيل للمنازل؟!

ـ لقد فكرت أنكِ تحتاجين إلى الخروج.

قالت بذكاء:

ـ أم أنك ذاهب في مهمة جديدة؟!.. وهذا هو شرطي الثالث، لا تأخذني في مهمة من مهامك دون أن تخبرني قبلها.

ـ اطمئني، لن أصطحبك في أي مهام، هل هناك أي شروط أخرى؟

أخبرتني بحوالي أربعون أو خمسون، أو ستون شرطًا آخرًا.. لا يتسع المجال لذكرها هنا.

***

بعد الوجبة الدسمة في المطعم، قالت (سالي):

ـ والآن.. ماذا ستفعل؟ هل ستتشاجر مع أحدهم لأنه ينظر لي نظرات مريبة؟ أم ستضع طعام فاسد في أحد الأطباق وتتناوله ثمَّ تتسمم؟ أم...

قاطعتها قائلًا:

ـ أرجو أن أستعيد ثقتك بي، لقد أخبرتك أني لن أورطك في أي شيء بعد ذلك، لن تخرجي معي في أي مهام، بل سألغي أي مهام من أجل البقاء معك وحمايتك.

ـ ما هذا الحديث؟! ألم نتفق على عدم المغازلة ومنع الأحاديث الرومانسية؟!

ـ أنا ملتزم بالشروط التي ذكرتها، ولم أقل أي غزل، اعتبريني حارس خاص، يقوم بحمايتك ومهمته هي البقاء إلى جوارك طوال الوقت من أجل إحساسك بالأمان.

ـ إذا كنت حارس خاص، فأنا لا أستطيع دفع راتبك.

ـ ومن قال أنني أريد راتب منكِ؟! بالعكس.. أنا أريد أن أدفع لكِ راتبًا من أجل البقاء إلى جوارك طوال الوقت، المنفعة متبادلة، أنتِ تشعرين بالأمان، وأنا أشعر بالسعادة!

ابتسمت قائلة:

ـ أليس هذا غزلًا؟! لقد خالفت أحد الشروط الآن.

ـ لا، إحم.. أأأ.. أنا أقصد الشعور بالسعادة لأني أقوم بواجبي على أكمل وجه،

سعادة إنجاز المهام، سعادة القبول في وظيفة، سعادة ممارسة مهنة محببة إلى قلبي، سعادة الفخر برضا العميل، أقصد هذا النوع من السعادة، فهل يعتبر هذا غزلًا؟! أما لو فكرتِ في مسألة الراتب، فأنتِ بالفعل تدفعين أكثر من أجري بكثير.

- كيف؟!

- إياك أن تظني أني سأخالف الشروط، لن أقول كلامًا رومانسيًّا مثل أنك تدفعين لي بنظرات دافئة من عينيكِ أو ابتسامة هادئة من شفتيكِ أو أي من هذا الكلام الفارغ، لا.. أبدًا.. بل تدفعين بطهيك لي، أنا أعمل مقابل الطعام.

منحتني ضحكة فاتنة رائعة تساوي عندي طعام العالم كله، وما أدراك ما أهمية الطعام بالنسبة لي!

***

بعد ذلك ذهبنا للتسوق، اشترينا بعض الخضروات والفاكهة والأطعمة المحفوظة، وكل ما تحتاجه (سالي) في المطبخ. اصطدمت برجل أثناء حديثي معها، لم أنتبه له، اعتذر لي، ثمَّ نظر إلى وجهي وظهرت عليه الدهشة.. وسألني:

- هل تقابلنا من قبل؟!

تذكرته على الفور ومع ذلك أجبته:

- لا، لا أظن.

شعرت (سالي) بارتباكِ. وعاد الرجل يسأل:

- هل أنت متأكد أننا لم نتقابل من قبل؟!

- لا.

ثمَّ نظرت إلى (سالي) وقلت:

- هيا بنا، نسينا أن نشتري البازلاء.

عندما ابتعدنا عن الرجل، توقعت أن تسألني (سالي) عن:

ـ من هذا الرجل؟! هل تعرفه.

رويت فضولها قائلًا:

ـ نعم، أعرفه.

ـ كيف؟!

أجبتها ببساطة:

ـ لقد قتلني من قبل.

***

(27)

" المهنة: ميت".

بدأت بهاتين الكلمتين جلسة اعترافي مع (سالي)، كنا نجلس على الأريكة ورحت أحكي لها حياتي.. بالتفصيل الممل. وهي تسمعني بكل آذان صاغية، كنت أجيب على كل أسئلتها، كان هدفي هو زرع الثقة داخلها بأن أتعرى من كل الغموض الذي يحيط بي، أن تعرفني كأنها عاشت معي طوال السنوات الماضية.

سألتنى باهتمام:

ـ ألا تعرف عمرك؟!

ـ كيف أعرف عمري وأنا لا أعرف تاريخ ميلادي؟! كيف أعرف عمري وكل الأطباء الذين كشفوا على صحتِي أعطونى عمرًا موحدًا طوال السنين الماضية؟! لا أزيد عنه ولا أقل عنه، كنت أعيش سنوات طويلة وأظل بنفس السن، لا أكبر في السن ولا أصغر.

ـ ألا تتذكر اسمك؟!

ـ لو أنني أعلم اسمي لأخبرتك به، أنا أخبرك بكل شيء، لكن ما فائدة الاسم الحقيقي لواحد مثلي يعيش حياته كلها بأسماء مختلفة؟!

ـ من الذي علّمك هذه المهنة الغريبة؟!

ـ يومًا ما اكتشفت موهبتى العجيبة، أننى لا أموت مثل باقي البشر، لا أعتبرها

موهبة، فلنقل لعنة، لعنة أن تعيشي مع ناس يموتون بسرعة ولأتفه الأسباب، أن تبقى دائمًا بعيدة عن محط الأنظار حتَّى لا يعرف أحد أنكِ لا تكبرين، فقررت أن أكسب رزقي من هذه اللعنة طالما أنني لا أستطيع مغادرة الحياة مثل سائر البشر.

ـ هل حاولت الانتحار؟!

ـ كثيرًا وفشلت، كنت أنتحر لأكسب رزقي، هل قابلتِ أحدًا مثلي من قبل؟!

ـ هل هناك أحدًا مثلك أصلًا؟!

ـ لا أعلم، ربما هناك! ربما مختبئين مثلي! لكن لا أظن أنهم كثيرون، وإلَّا صارت القبور خاوية، وكنا سنسمع عنهم بالتأكيد، ربما تحولوا بعد ذلك لمصاصي دماء وأثاروا الرعب في قلوب الناس وصنعوا حولهم الأساطير، ربما هم ليسوا كذلك لكنهم فعلوا ذلك لإبعاد الناس عنهم، ربما شوهوا سُمعتهم بأنفسهم حتَّى لا يقترب أحدًا منهم.

ـ هل أنت مصاص دماء؟!

ـ بالتأكيد لا، هل لاحظتِ أي ثقوب في رقبتك؟ أو وجدتِ أي أكياس دم في ثلاجتي؟ هل رأيتِ أنياب طويلة حادة في فمي؟ هل بشرتي بيضاء شاحبة؟ هل احترقت أمامك من أشعة الشمس؟ أو تحولت إلى خفاش؟ أو وجدتِ تابوت في غرفة نومي؟، هذا ما أعرفه عن مصاصي الدماء في الأفلام، لكني لست مثلهم بالتأكيد، أنا أتناول الطعام مثلك بالضبط، ولكن لديّ شراهة في الطعام، وفي نفس الوقت أستطيع الامتناع عن الطعام لأسابيع ولا أموت، وأدخل دورة المياه مثلك بالضبط، إن فكرت في هذا السؤال.

ـ لم أكن لأسأل!

ـ حياتي مملة، أتعرض للموت يوميًّا ولا أموت، لكني موقن أني سأموت يومًا ما.

ـ كيف؟!

ـ لا أعرف.

ـ أليس لديك أي نقاط ضعف؟!

ـ لا أعرف واحدة، أتمنى أن أعرف نقطة ضعفي.

ـ لماذا؟!

ـ لأتخلص من حياتي وأموت.

ـ هل تريد التخلص من حياتك؟!

ـ قبل أن ألقاكِ.. نعم.

ـ هل هذا غزل؟

ـ لا، إجابة صريحة لسؤالك.

ـ هل هناك هوس بشيء آخر غير الطعام والنساء؟

ـ لا، ليس لديّ هوس بالنساء، لقد أخبرتك.. أنا لم أحب في حياتي قط، إن هوسي الآخر هو السينما.

ـ لا أصدق أنك لم تحب في حياتك قط، أنت تقول ذلك لتثير إعجابي بك فقط.

ـ لا، لقد عاهدتك أن أكون صريحًا معك، وأجيب على كل أسئلتك بمنتهى الأمانة، لو أردت أن أثير إعجابك لقلت أنني بريئًا طاهرًا خجولًا، لم ألمس امرأة من قبل، لكني صارحتك بالحقيقة، وحكيت لك عن كل النساء اللاتي تعاملت معهن في حياتي العملية، أو على الأقل اللاتي أتذكرهن، بالتأكيد هناك حياة سابقة لا أتذكر منها شيئًا، ربما أكثر من حياة، فمع كل ذاكرة جديدة تنشأ لي حياة جديدة بذكريات جديدة، لذا أنا أتحدث عن حياتي الحالية فقط، بالذاكرة التي أمتلكها الآن، ولهذا أقول لك بكل صدق، لم أعرف الحب قبلك!

ـ كيف، وأنت تقول أنك قابلت الكثير وفعلت أشياء معهن؟!

ـ الحب شيء آخر، كل ما حدث كان في إطار العمل، أما الحب لم يحدث لي قط.

ـ لماذا؟!

ـ كنت أخاف منه.

ضحكت وسألتني:

ـ كيف؟! أنت لا تخاف من أي شيء؛ لأن لا يوجد أي شيء يمكن أن يؤذيك أو يتسبب في موتك، فكيف تخاف من الحب؟!

ـ هذا هو ما حدث، خوف غريزي وجدته بداخلي، لم أستطع التخلص منه، لذا لم أشعر بالحب قط ولم أفكر فيه، لكن معكِ اكتشفت الحب!، اكتشفت أنني أحببتك، اكتشفت أنني لا أستطيع تناول غدائي بدونك، اكتشفت أنني أتمنى العيش معكِ والبقاء بجوارك إلى الأبد.

ـ إلى الأبد! تبدو كلمة عادية ومنطقية مع حالتك، لكن أنا.. لن أعيش للأبد.

ـ ربما كان هذا هو السبب في ابتعادي عن الحب، ربما لا أريد أن أتعلق بأي واحدة لأني أعلم جيدًا أنها لن تستطيع العيش مع واحد مثلي لا يموت، أو أنا الذي لا أستطيع العيش مع واحدة أعلم جيدًا أن عمرها قصير بالنسبة لي حتَّى لو عاشت مائة عام، ويمكن أن تموت في أي لحظة ولأتفه الأسباب.

ـ أنا أيضًا مثل هؤلاء، لا أختلف عنهن في شيء، وعمري قصير مثلهن أيضًا، فما المميز عندي وجعلك تقع في حبي؟!

ـ هل يمكن أن أجيب على هذا السؤال دون أن تعتبري إجابتي غزلا؟

ـ تفضل، قل ما عندك ولن أعترض.

من الصعب أن أذكر ما قلته في إجابة هذا السؤال؛ لأنه سيحتاج إلى صفحات تعادل صفحات هذه الرواية، ويبدو أن إجابتى قد أعجبتها بشدة، ربما لأنها شعرت بالصدق في كل كلمة قلتها، وعندما فرغت من إجابة السؤال فوجئت بها تنهض من مكانها وتقبلني من وجنتي، ضحكت قائلًا:

ـ ألا يعتبر هذا تحرشا؟! أليس هذا مخالفًا للشروط؟!

ضحكت بعذوبة وقالت:

ـ الشروط من أجلك أنت وليست من أجلي.

ـ حسنًا، هل يمكن أن أقبّلك؟

أجابت بحزمٍ:

ـ لا.

أشرت إلى جبهتها وقلت:

ـ من هنا، على الأقل.

لوحت بإصبعها بطريقة حازمة وقالت:

ـ لا.

ثمَّ قالت:

ـ هل ستكمل اعترافاتك أم أعود إلى منزلي؟!

ـ لا، سأظل كما كنت، ولن أتحرك من مكاني ولن أتكلم إلَّا إذا طلبتِ، حاضر.

ـ حسنًا.. سنؤجل الحديث قليلًا، من أجل تحضير وجبة العشاء.

انتبهت للوقت في تلك اللحظة وقلت مندهشًا:

ـ العشاء!، لم أنتبه لمرور الوقت.

ضحكت (سالي) قائلة:

ـ بالنسبة لشخص مثلك، الوقت لا يمثل لك أي أهمية من الأساس!

وأمام منضدة العشاء والأطباق الشهية الساخنة، قلت:

ـ الآن عرفت نقطة ضعفي.. طهيك الشهي.

***

قضينا الليل كله في حكايات وقصص ومغامرات من حياتي العجيبة ومهنتي الغريبة، حتَّى سقطت (سالي) في النوم. كأني جدتها التي تحكي لها حكاية الشاطر (حسن) وهي الطفلة البريئة التي نامت أثناء الحدوتة، حملتها برفق إلى إحدى الغرف ووضعتها في السرير وغطيتها، وقبل أن أغادر فوجئت بها تمسك يديّ، قلت ضاحكًا:

ـ ماذا؟! هل أنتِ مستيقظة؟

ـ اجلس على المقعد وأكمل الحكاية، ماذا فعلت عند (سناء)؟

ـ (سناء)! لقد حكيت قصتي معها منذ نصف ساعة.

ـ كنت قد نمت، أحكها مرة أخرى.

جذبت المقعد وجلست بجوار السرير حتَّى راحت في نوم عميق وسمعت صوت غطيطها. نهضت من مكاني وخرجت من الغرفة ونمت في سريري، فتحت هاتفي. وجدت مائة مكالمة فائتة من أرقام كثيرة، ثمَّ جاءنى اتصال في نفس اللحظة.

ـ ألو، أين أنت يا (برعي)؟!

ـ نعم، ما الأمر؟

ـ نريدك مرة أخرى، ولكن في مهمة عاجلة هذه المرة.

وخرجت من أجل مهمة (الميت المساعد).

***

في صباح اليوم التالي.. الأربعاء.. فطرنا أنا و(سالي) وجبة شهية من إعدادها، سألتني أثناء الأكل:

ـ أين خرجت بالأمس؟ لقد استيقظت ليلًا ولم أجدك في الشقة.

ـ كانت مهمة جديدة.

ـ هل يمكن أن أعرفها؟

ـ بالتأكيد، وبدون أن تسألي كنت سأخبرك بها، أنا لا أريد أن أكتم أي أسرار عنكِ.

ـ هل هي مهمة (العاشق الميت) مرة أخرى؟

ـ لا، كانت مهمة (الميت المساعد) وبعدها مهمة (الميت الغريق).

ـ هل يمكن أن أطلب منك طلبًا؟

ـ تفضلي.

ـ لا تقم بمهمة (العاشق الميت) مرة أخرى، أنت أفضل من ذلك.

بدون تردد قلت لها:

ـ حاضر، رغم أنني أربح الكثير منها.

عادت لتناول طعامها، وأنا أحكي لها ما حدث في عملي ليلة أمس.

بعد الفطور.. اقترحت عليها أن نذهب إلى السينما فوافقت، كانت هذه هي المرة الأولى التي أصطحبها فيها إلى هناك. أصبحت تعلم جيدًا الآن مدى هوسي بالسينما.

تركت لها حرية اختيار الفيلم الذي سندخله، اختارت فيلم خيالى لأنها تعلم مدى عشقي لهذه الأفلام، وأنا صممت على دخول فيلم رومانسى لأني أصبحت أحب هذه النوعية من الأفلام.

خرجنا سعيدين من السينما بعد مشاهدة الفيلم الجميل (هيبتا ـ الجزء الخامس).. قالت لي:

ـ ما زلت أرى أن الجزء الأول أفضل أجزاء السلسلة، يليه الجزء الرابع.

ـ كنت أريد أن أوافقك الرأي، لكني لم أشاهد أي من الأجزاء الأربعة.

ضحكت وتأبطت ذراعي فاقترحت عليها أن نذهب إلى المطعم لتناول وجبة الغداء فقالت:

ـ لا، سأعد لك وجبة شهية من صنع يدي، فلتستغل هذه الأيام، لن تذوق طهيي بعد وصول خطيبي، وستعود بعدها إلى الأكل في المطاعم.

ـ ربما أستطيع إقناع خطيبك أو زوجك المستقبلي أن تأتي لشقتى لتطبخي لي ثمَّ تعودى له مرة أخرى، أو أمر عليكِ لأحصل على غدائي وأنصرف على الفور، وربما أستطيع إقناعه أن أتناول الطعام معكما وسأدفع لكما حق الوجبة.

ـ ومن قال أن خطيبي أو زوجى سيوافق على ذلك؟!

ـ حسنًا، سأقترح عليه افتتاح مطعم للأكلات المنزلية، أنا سأشارك برأس المال. وأنتِ الطاهية، مشروع مربح وسوف نكسب ذهبًا منه، وهكذا لن أُحرم من طهيك.

ـ ربما لا يوافق أيضًا.

ـ وقتها سأضطر لقتله.

لم تعجبها الدعابة!

ماذا لو أني أخبرتها أنها ليست دعابة؟!

ستكون دعابة أسوأ!

اقتربت من أذنها وهمست:

ـ هل تلاحظين السيدة التي تسير خلفنا؟!

حاولت التلفت للخلف لتراها، فحذرتها ألا تفعل، فسألتني:

ـ ماذا عنها؟!

ـ ألا تلاحظين أنها تسير خلفنا منذ زمن، كأنها تراقبنا.

قالت بحنقٍ:

ـ ربما كانت تعرفك، ربما خطبتها من قبل وتخليت عنها في إحدى مهامك، ربما نمت معها في سرير واحد ليضبطكما زوجها ويقتلك، ربما تعرفك جيدًا وتعرف مهنتك وتريدك أن تذهب معها لتنام في سـ.....

قاطعتها قائلًا:

ـ وربما تكون قد قتلتني من قبل.

ـ ربما أيضًا، على أي حال لا تشغل نفسك بها.

جاءتني فكرة، قلت لها:

ـ حسنًا.. فلنتخذ الشارع القادم، لا أحد يسير عبره لأنه ضيق، ولنرى هل ستسير خلفنا أم لا؟

وبالفعل، دخلت خلفنا في الشارع الضيق، استدرت لها وتركت (سالي) خلفي، ربما كانت السيدة الغامضة تحمل مسدسًا. سأتلقي الرصاصة وأجنبها الخطر.

وقبل أن ألقي أي أسئلة عليها فوجئت بالسيدة الغامضة تحتضنني بقوة ولهفة وشوق شديد وتغمرني بالقبلات الكثيرة أمام عيون (سالي)، فدفعتها عني بهدوء وسألتها مندهشًا:

ـ من أنتِ؟!

ـ أنا زوجتك.

***

(28)

كانت مفاجأة صادمة، لم أتوقع ذلك أبدًا! قالت المرأة الجميلة:

ـ ألا تتذكرني؟! هل فقدت الذاكرة؟

نعم يا سيدتي.. أنا فقدت الذاكرة، وربما أكثر من مرة، وربما تزوجت مرة أو أكثر، لكن هل من الممكن أن تكون هذه المرأة الجميلة زوجتي؟! أم أنها تقصد شيئًا آخر؟!، ربما تعني أنها كانت زوجتي في أحد المهام، مثل مهمة (الميت الكبش/ الزوج)، ربما تظاهرت أني زوجها يومًا ما ليتم قتلي بدلًا من زوجها الأصلي، لذا سألتها لأفهم أكثر:

ـ هل تقصدين أنكِ كنتِ زوجتي فعلًا؟ أم تقصدين أنكِ تظاهرت يومًا أنكِ زوجتي، سواء في مهمة سرية أو فيلم أو مسرحية أو...

قالت سيدتي الجميلة وهي تداعب شعري بحب وحنان:

ـ أقصد زوجتك الرسمية، تزوجنا على سنة الله ورسوله منذ زمن، على يد مأذون رسمي واثنين شهود، وعشنا أجمل سنوات عمرنا، ثمَّ اختفيت فجأة، ولم تظهر بعدها ولم أعرف عنك أي أخبار، وظللت أبحث عنك طوال هذه السنوات، وأخيرًا وجدتك اليوم!

واحتضنتني مجددًا بمنتهى الحب والعشق والشوق والهيام وهي تطبع قبلاتها على جميع أجزاء وجهي دون استثناء، هل من المعقول أن تكون هذه زوجتي حقا؟!، أمر وارد جدًا، لِمَ لا؟!. ما الذي يجعلها تدّعى أنها زوجتي إن لم تكنْ زوجتي؟!،

ثمَّ إن مواصفاتها الشكلية ومؤهلاتها الجسدية ترجح أنني أغرمت بها بالتأكيد واخترتها من دون نساء العالم، وربما تزوجت غيرها أيضًا، من يدري؟! فجأة سألتني زوجتي العزيزة اللذيذة:

ـ هل نسيت (ميدو) أيضًا؟!

سألتها وعلى وجهي تبدو البلاهة:

ـ من (ميدو)؟!

قالت بحنقٍ:

ـ (ميدو) ابننا.

أنجبت أيضًا! يا للمفاجآت السارة! إنه يوم سعدي! أكتشف أني متزوج وأب في يوم واحد! لا بد أنه ولدًا جميلًا مثل أمه، كم عمره الآن يا ترى؟! هل تعلم السير؟ هل دخل الحضانة؟ هل يذهب إلى المدرسة؟ هل يعرف أن (بابا) حي؟، نظرت إلى (سالي)، رأيت براكين من الغيرة الأنثوية تتفجر من عيونها، تحرق من يقترب منها، لا أعرف سبب هذه الغيرة النسائية! لديها خطيبها وأنا لديّ زوجتى وابني، ما الذي تريده؟! حاولت نفي تهمة الكذب عنى فقلت لـ (سالي):

ـ والله لم أكن أتذكر أني تزوجت وأن لديّ ابنًا، لقد فقدت ذاكرتي كما حكيت لكِ.

سألتني زوجتي الحنونة الصبورة وهي تشير إلى (سالي):

ـ من هذه يا (هشام)؟!

(هشام)! أخيرًا عرفت اسمي، يااااه لم أتخيل أن هذا هو اسمي الحقيقي! ولم أتخيل أن أعرفه اليوم، لكن.. ربما هذا هو الاسم الذي أخبرتها به وقت تعارفي بها، ربما كنت في مهمة عمل وقتها واخترت لنفسي هذا الاسم، مثل ما حدث مع (سالي)

عندما ظنت أن اسمي هو (مراد) عندما تعرفت بي، وقبل أن أجيب سؤالها فوجئت بالفتاة المشاكسة تقول:

ـ اسمه (رؤوف)، وليس (هشام)، وأنا زوجته.

ماذا؟! ما هذا الذي تقوله؟! ولماذا تقوله؟! هل دفعتها الغيرة لفعل ذلك؟! يا للنساء! كانت تريد طردي من قلبها ومن حياتها والآن تريد أن تطردني أيضًا من قلب وحياة غيرها، لا.. لن أسمح لكِ يا (سالي) بتدمير حياتي، غدًا ستعودين لخطيبك وأنا لن أجد من أعود إليه، الحمد لله أني عثرت على زوجتي اليوم حتَّى لا أشعر بالوحدة بعد خروجك من حياتي، وبالتأكيد هي تجيد الطهي مثلك، طالما أنها زوجتي فهذا يعني أنها طاهية ممتازة، أظن أني سأضع هذا أول شرط في مواصفات شريكة حياتي لو فكرت في الزواج يومًا، (الشرط الأول: إجادة الطهي).

قالت (سالي) بنظرة تحدي:

ـ أنتِ لست زوجته.

قالت زوجتى التي لا أعرف اسمها رغم أنني عرفت اسمى واسم ابني منها:

ـ ما الذي تقولينه؟! أنا زوجته.

قالت (سالي) بمنتهى الثقة:

ـ إن كنتِ زوجته حقًا، فإن زوجي لديه شامة كبيرة في جسده، فإن كنت تعلمين مكانها فأنتِ زوجته حقًا، وسأتركه يعود إليكِ، وسأطلب الطلاق منه.

تطلب الطلاق مني وأنا لم أتزوجها بعد! هذا جميل ومبتكر! أحب التفكير خارج الصندوق!.. (سالي) صاحبة مبادرة (الطلاق قبل الخطوبة)، أما بالنسبة لموضوع الشامة فإنها فكرة ذكية، لقد رأتني (سالي) عاريًا تمامًا في مهمة (محاسن) وأظن أنها تعرف جيدًا مكان هذه الشامة.

لكنني لا أتذكر مكان الشامة!

أنا لا أتذكر أن لديّ واحدة أصلًا!

الآن فهمت، يا لها من حيلة قديمة! السؤال الذي إجابته بأنه (لا توجد إجابة)، الاختيار الذي يقول (لا يوجد)، لكن ربما لا تكون زوجتي وتقول الإجابة الصحيحة بالصدفة البحتة، كان من الأفضل أن تسالي يا (سالي) عن شيء موجود بالفعل!.. ستكون نسبة الاحتمالات أفضل، قالت (سالي) ضاحكة:

ـ ألا تتذكرين مكانها حقًا؟! كيف كنتِ زوجته إذن؟! وكيف أنجبتِ ابنكما؟!

شعرت المرأة بالغيظ من كلمات (سالي) فأجابت:

ـ في ظهره.

سألتها (سالي) بنظرةٍ غامضة:

ـ إجابة صحيحة. في أي منطقة من ظهره بالضبط؟

أريد مرآة حالًا، أين تلك الشامة؟! هل فقدت الذاكرة ونسيت أن لديّ شامة في ظهري؟! أريد مرآة لأعرف الإجابة.. أعطوني مرآة يا بشر.

ـ أسفل الكتفين.

ـ لا.

ـ بالأسفل.

ـ لا، ليس لديه شامة في ظهره أصلًا.

كنت متأكد من ذلك، لكنها فاجأتني عندما تابعت:

ـ الشامة في ساقه.

قالت الزوجة المزيفة:

ـ نعم.. نعم.. الشامة في ساقه، لقد تذكرت.

أردت أن أصدمها أنا هذه المرة، قلت:

- ليس لديّ شامة في ساقي، استمري في البحث عن زوجك (هشام)، أنا لست هو، أنا (رؤوف) وهذه زوجتي (منال)، حظ سعيد في العثور عليه.

وتبأطت ذراع زوجتي (منال) / (سالي) سابقًا، وتركنا السيدة الغامضة المريبة خلفنا، وذهبنا إلى عش الزوجية السعيد.

وهناك، جلست (سالي) على الأريكة وسألتني فجأة:

- لماذا اخترت اسم (منال)؟! ولماذا لم تخبرها باسمي الحقيقي؟!

- ولماذا اخترتِ اسم (رؤوف) لي؟! ولماذا أخبرتها أنكِ زوجتي؟!

ابتسمت (سالي) وقالت:

- إجابة مقنعة!

كنت واقفًا أمامها عندما سألتها:

- كيف عرفتِ أنها ليست زوجتي؟!

ابتسمت ابتسامة خبيثة وقالت:

- الحاسة السادسة التي تملكها النساء ولا يمكن للرجال أن يعرفوها أبدًا.

- دعكِ من هذا الهراء، أخبريني الحقيقة، كيف عرفتِ؟

ابتسمت بغموض قائلة:

- أمور نسائية!

سألتها بإصرار:

- كيف؟

تهربت من الإجابة مجددًا وقالت:

- لا أستطيع أن أخبرك.

- أرجوكِ، أخبريني، أنا لم ولن أسألك أو أطلب منكِ أن تخبرينى شيئًا عن

حياتك، ولقد حكيت لكِ كل تفاصيل حياتي التي أتذكرها وكشفت لكِ أسرار خطيرة عن عملي وعملائي واعترفت لكِ بكل فضائحي وعيوبي، ألا أستحق منكِ أن تجيبي على هذا السؤال؟!

ابتسمت قائلة:

ـ حسنًا، سأخبرك، لقد عرفت ذلك من...

ثمَّ صمتت، يا للملل! هل تحتاج إلى مزيد من الإلحاح لتخبرني بالإجابة؟! لماذا هذا التردد؟! أنا لا أطلب منها كلمة المرور لبريدها الإلكتروني.

ـ عرفتِ من... ماذا؟

أجابت بكلمة واحدة:

ـ الحُضن.

صحت مستنكرًا الإجابة:

ـ ماذا؟!

نهضت من الأريكة لتشرح لي.

ـ لو أنها زوجتك، لاحتضنتك هكذا.

وفوجئت بها تحتضنني، لا أستطيع أن أصف هذا الحُضن الرهيب! لا تسعفني الكلمات الآن، لقد استمتعت جدًا بالشرح العملي ونسيت السؤال، ثمَّ قالت:

ـ وقُبلاتها ستكون هكذا.

كان الشرح كافيًا وافيًا، وكنت تلميذًا مطيعًا، هل هذه أسعد لحظات حياتي أم ينتظرني الكثير فيما بعد؟! لكنها توقفت فجأة وسألتني:

ـ هل فهمت؟

الدرس كان جميلًا وممتعًا جدًا يا أستاذة، لكني لم أخبرها بذلك طبعًا، فقط أجبتها:

ـ حسنًا، لا أستطيع ملاحظة الفرق، ما الذي فعلته هي بالضبط؟! أعذريني لأني نسيت.

قالت لي وهي تحتضنني مرة أخرى بطريقة مختلفة هذه المرة:

ـ لقد كان حُضنها هكذا.

ثمَّ قبلتني قبلات كثيرة وهي تشرح قائلة:

ـ أما قبلاتها كانت هكذا.

عندما توقفت، قلت بحماسٍ:

ـ هل يمكن أن تشرحي لي الفرق بينهما مجددًا؟

ضربت كتفي مازحة وقالت:

ـ هيا، لا تضيع الوقت، ودعني أحضر طعام الغداء.

سألتها بفضول:

ـ أين تعلمت كل هذا؟!

ـ من الأفلام، أنسيت أنني أحب التمثيل؟!

فجأة، سمعت رنة هاتفي، مهمة جديدة في الطريق، قالت (سالي):

ـ هل يمكن تأجيل هذه المهمة لما بعد الغداء؟!

ابتسمت قائلًا:

ـ حاضر.

هل يمكن أن أرفض لها طلب بعد هذا الدرس الجميل؟! بعد قليل سألتها:

ـ لماذا ادعت هذه المرأة أنها زوجتي؟

***

(29)

أجابتني (سالي) وهي تحضر وجبة الغداء في المطبخ:

ـ ربما كان فخًا، تمَّ نصبه لك من إحدى العصابات الشريرة التي تتعامل معها، لتدخل هذه المرأة حياتك ثمَّ تدمرك بعد ذلك.

ـ ولماذا يفعلون هذا؟! بالتأكيد هم يعرفون أنني لا أموت، أظن أنها اِمرأة عادية فقدت زوجها الذي يشبهني للغاية.

ـ ما زلت مؤمنة بنظريتي وحدسي، هذه المرأة كانت تتظاهر بأنها زوجتك، وكانت فاشلة جدًا في التمثيل، ربما هي جاسوسة تم زرعها من قِبل الشرطة لتدخل حياتك وتعرف أسرار عملك، أو ربما هي عميلة سابقة تعاملت معها في أحد المهام، وربما عاشرتها جنسيًّا، ولهذا عندما قابلتك ظننت أنك ستعرفها على الفور، وعندما اكتشفت فقدانك للذاكرة تظاهرت بأنها زوجتك لتبقى معها مدة أطول وتعاشرها مجددًا.

ـ لا أعرف لماذا لا تصدقين أنني لم أضاجع أي اِمرأة من قبل! ثمَّ إنكِ سألتها بنفسك عن الشامة ولم تستطعْ الإجابة فكيف تخمني أني كنت على علاقة بها؟!

شعرت أنها لم تسمعني عندما تابعت قائلة:

ـ وربما تزوجتها بالفعل من أجل مهمة، ثمَّ فقدت ذاكرتك قبل إتمام هذه المهمة، لذا هي تتمنى أن تعود لتستكمل ما بدأته.

ـ يبدو أنكِ قد نسيتِ أنني لم أتزوج إطلاقًا، أتظاهر فقط بأنني الزوج، وقد أخطب واحدة في إحدى المهام أو أخطب مائة فتاة لكني لم أتزوج أي واحدة منهن.

ـ هذا ما تتذكره حاليًا، ربما تزوجت في حياتك الماضية قبل فقدانك الذاكرة. ربما تزوجت عشرة، أو عشرين، ربما أكثر.

ضحكت قائلًا:

ـ وربما تزوجتك من قبل! ونسيت ذلك أيضًا.

ـ لا، أنا آنسة عذراء، ولا يمكن أن أنسى شيئًا كهذا أبدًا، لكنك رجل، يمكن أن تتزوج عشرات، بل مئات، وتنسى.

ـ مئات!

ـ نعم، أنت أخبرتني بنفسك أنك لا تعلم كم عمرك بالضبط، وأخبرتني أيضًا أنك لا تصغر ولا تكبر في السن، ربما كان عمرك ألف عام أو أكثر، ربما ضاجعت ألف امرأة أو أكثر، ربما شاركت في جميع الحروب التي خاضتها مصر، ربما ساعدت في تشييد الهرم الأكبر، ربما تعاونت مع الإنسان البدائي في اصطياد غزال من أجل وجبة العشاء داخل الكهف.

ـ يا للخيال الجامح! لماذا لا تستغلي هذه الموهبة وتبدأي في كتابة روايات خيالية؟! أرشح لكِ (الموقع الأخضر) للكتابة فيه، يقرأه كثير من النقاد والناشرين.

ـ امزح واسخر كما شئت، لكن هناك احتمال أنك كنت بطلًا يومًا ما ووقفت في جانب الخير وتصديت للشر، ثمَّ فقدت ذاكرتك بعدها، فذهبت للعمل في الجانب الآخر.

ـ ما الذي تريدين قوله يا (سالي)؟!

تركت الملعقة التي كانت تقلب بها الطعام، والتفتت لي قائلة:

ـ لا تعجبني المهام التي تقوم بها، مهام شريرة، أنت رجل خارق، يمكنك أن تستغل هذه القدرة الجبارة في عمل الخير، لا أحد يجبرك على العمل مع الأشرار، القرار يرجع لك، فلماذا تعمل معهم؟! لماذا لا تكون بطلا؟!

ـ عمل الخير يجلب مالًا قليلًا، وربما لا يجلب مال أصلًا، أنا لا أريد أن أكون بطلًا. هذه هي حياتي، وهذه هي مهنتي، وأنا راض عنهما، أنا حر في اختياراتي.

ـ ربما لا يجلب مالًا كثيرًا، لكنه سيجلب لك حب الآخرين واحترامهم، سيمجدون أعمالك البطولية، ستصبح مثلًا أعلى للجميع!

ـ الوحدة جيدة، الابتعاد عن الناس غنيمة. أعيش بحريتى في أي مكان، لا أحد يعرفني، لو عرف الناس حقيقة أمري لصارت حياتي جحيم، سيطاردونني في كل مكان، لن يغفروا لي تاريخي الأسود، لن يتركوني لحالي، سأصير فأر تجارب لهم، سأخضع لتجاربهم اللعينة التي لا تنتهي، سأصبح (الكائن غريب الأطوار) في نظرهم، لن أكون (البطل الخارق) كما تتوقعين، سيحبسوني في زنزانة أبحاثهم للأبد، لن يراني أحدًا بعدها!

ـ فلتجرب، ربما كان اعتقادك خاطئًا، ما الذي ستخسره؟! أنت تعلم جيدًا أنك لا تموت.

قطعت المناقشة قائلًا:

ـ متى سنأكل؟

***

بعد الغداء اللذيذ، غيرت ملابسي لأخرج للعمل، وقفت (سالي) أمام الباب تعترض طريقي قائلة:

ـ هل يمكن أن أطلب منك طلبًا؟

كنت أعلم جيدًا ما ستقوله لذا أجبتها بضيقٍ:

ـ لقد كثرت طلباتك.

ـ أرجوك، فكر في ما قلته لك قبل الغداء.

ـ قبل الغداء.. إمممم.. قبل الغداء.. أتقصدين حديثك عن الفرق بين حضن الزوجة والحضن التمثيلي؟

ضربت كتفي وقالت:

ـ لا فائدة.

ثمَّ تحركت من مكانها وأفسحت لي الطريق، سألتها:

ـ هل تريدين أي شيء من الخارج؟

لم ترد، فقلت:

ـ حسنًا، لن أتأخر، لا تفتحي الباب لأي أحد، لا أحد يعرفني وليس لي أي صديق لذا إذا طرق أحد الباب فاتصلي بي.

ـ لقد وعدتني أن تخبرني بكل شيء، فهل يمكن أن تخبرني بالمهمة الجديدة؟

ـ سأخبرك عندما أعود، اتفقنا؟

قالت وهي ترمقني بنظرة حقيرة لم تعجبني على الإطلاق:

ـ هل أنت ذاهب لقتل أحدهم؟

ـ لا، أنا لا أقتل أبدًا، ربما أساعد على القتل، لكن لا أقتل أبدًا.

ـ لا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة لي.

ـ وجهات نظر!

اقتربت مني وقالت:

ـ لماذا لا تساعد الناس على الحياة بدلًا من مساعدتهم على الموت؟!

ـ كيف؟!

شرد ذهنها للحظة ثمَّ قالت:

ـ لقد أخبرتني أنك تستطيع استعادة الأجزاء المفقودة من جسدك، فلماذا لا تتبرع بالدم كل يوم؟! لماذا لا تتبرع بكليتك؟! وبالتأكيد ستجد كِلية أخرى غيرها بعد مدة بسيطة، لماذا لا تتبرع بكليتك كل شهر أو كل أسبوع؟!، أنا لا أعلم المدة التي تستغرقها للاستعادة، وبالتأكيد هناك أعضاء كثيرة في جسدك يمكنك التبرع بها، وسوف تستعيدها مرة أخرى لتتبرع بها من جديد، هناك عشرات بل مئات، ربما آلاف يمكن أن تنقذ أرواحهم بهذه الطريقة، وهكذا تكون قد ساعدتهم على الحياة، بدلًا من مساعدتهم على الموت.

اتجهت ناحية الباب قائلًا:

ـ لقد تأخرت كثيراً عن العمل.

***

انتهيت من مهمة (الميت المنزلق) وذهبت بعدها إلى مهمة (الميت الشبح).

طرقت باب شقة الأستاذ (عبد العزيز عبد الشكور على محب سعيد الراوى)، وانتظرت الرجل العجوز لأفاجئه بطريقة موت جديدة، لن تخطر بباله أبدًا، لكن الانتظار طال، كان يفتح لي بسرعة حتَّى لو كان الوقت متأخرًا، هل انتحر بالداخل؟! لا أستبعد ذلك، إن ما رآه هذه الأيام ليس هينًا، هل تسببت في موت أحد آخر؟!، ربما، لا يهم، وإن كان العميل لم يطلب ذلك تحديدًا، لكن أظن أنه لن

يعترض على هذه النتيجة، فجأة تذكرت كلمات (سالي) في تلك اللحظة: (لماذا لا تساعد الناس على الحياة بدلًا من مساعدتهم على الموت؟!)

سألت البواب الذي ينام في غرفته ولا يخرج منها لأي سبب، سواء سقط أحدهم في بئر السلم أو سمع صوت رصاص في عمارته.

ـ أين الأستاذ (عبد العزيز عبد الشكور على محب سعيد الراوي)؟.

ـ لا تحتاج أن تقول الاسم كاملًا يا أستاذ، لا يوجد في العمارة كلها سوى (عبد العزيز) واحد فقط، بل العمارة نفسها لا يسكنها سوى ثلاث أو أربع فقط، لقد رحل عنها معظم السكان.

ـ وأين هو الأستاذ (عبد العزيز)؟، لقد طرقت باب شقته كثيرًا، ولم يرد أحد، وأنا أعلم أنه لا يغادر شقته إلَّا للضرورة القصوى، أخشى أنه يكون قد أصابه مكروه.

ـ لا تقلق يا أستاذ، لقد رحل هو أيضًا من العمارة، نقل أثاث شقته هذا الصباح.

خرجت من العمارة واتصلت بصاحبها:

ـ تمت المهمة بنجاح، متى وأين سأستلم باقي المبلغ؟

***

كنت ذاهبًا إلى مهمة (الميت البديل) عندما تلقيت اتصالًا من أجل مهمة أخرى، مهمة (العاشق الميت)، رفضتها.

لأول مرة أرفض مهمة، والسبب (سالي).

في نهاية اليوم.. عند عودتي للمنزل، استقبلتنى (سالي) بوجه حزين كئيب، هل تظن نفسها زوجتي لتستقبلني بهذا الوجه؟! الآن تأكدت أنني كنت محقًا في عدم الزواج!

ـ هاه.. أخبرني بما فعلته اليوم، كم واحد قتلت؟ أو ساعدت في موته؟ وكم امرأة نمت معها؟ وكم زوج قتلك اليوم؟

ـ لم يمت أحد، ولم يضبطني أحد، ولقد رفضت مهمة (العاشق الميت) كما طلبتِ مني.

نظرت لي غير مصدقة، سألتني للتأكد:

ـ هل تمزح أم تقول الحقيقة؟

ـ أتتذكرين هذا الصباح؟ عندما طلبتِ مني ألَّا أقوم بمهمة (العاشق الميت) مرة أخرى وقلت أنني...

قاطعتني قائلة:

ـ نعم، أتذكر ذلك جيدًا، وقلت أنك (أفضل من ذلك)، ووافقت على طلبي، لكني لم أتوقع التنفيذ!

ـ لا، لقد رفضت المهمة بالفعل.. كما طلبتِ.

ابتسمت بسعادة كبيرة وفوجئت بها تحتضنني وتقبلني من وجنتي وتقول:

ـ حسنًا، وماذا عن طلبي وقت الغداء؟!

ضحكت قائلًا:

ـ لا، أنا لم أعدك بشيء وقتها، ولا أستطيع تنفيذ ذلك، سأصبح عاطلًا إذا اعتزلت مهنتي.

ـ لا، يمكنك أن تقوم بعمل الخير بدلًا من هذه المهنة.

هززت رأسي نفيًا، فنظرت للأرض بصمت، ثمَّ رفعتها مجددًا واستعادت ابتسامتها قائلة:

ـ على أي حال، أنا سعيدة برفضك هذه المهمة، سأعتبرها بداية جيدة، والآن سأذهب لتحضير وجبة عشاء رائعة تستحقها بجدارة لأنك أوفيت بالوعد.

ابتسمت قائلًا:

ـ يمكننا تناول الطعام بالخارج، أنتِ تحتاجين للخروج، ولأوفر عليكِ المجهود.

شعرت برغبة شديدة للخروج معها، رغبة تفوق رغبتي في تناول طعام من طهيها، بادلتني الابتسام قائلة:

ـ لا عليك، وفر أنت أموالك، واستغل فترة إقامتي عندك، إن خطيبي سيأتي قريبًا جدًا ولن تراني بعد ذلك وستعود لحياة المطاعم مرة أخرى.

سألتها بضيقٍ:

ـ ألن أراكِ بعد ذلك أبدا؟!

يبدو أنها لم تسمع سؤالي، أو أنها تجاهلت الإجابة حتَّى لا تصيبني بالإحباط والضيق والحزن لفراقها، سمعت صوتها من المطبخ وهي تقول:

ـ سوف تحكي لي كل ما حدث اليوم أثناء تناولنا العشاء، لن نستطيع ذلك في المطعم. إلَّا إذا كانت هناك مهمة جديدة تستلزم الذهاب إلى المطعم.

ـ لا، لقد انتهت مهام الليلة، وسوف أغلق الهاتف.

وبمجرد أن قلت الجملة وجدت اتصال جديد على هاتفي، كانت مهمة جديدة، بعد المكالمة هرعت إلى (سالي) في المطبخ، استقبلتني بابتسامة كبيرة قائلة:

ـ العشاء جاهز، لقد أعددت لك عشاء كبيرًا دسمًا، فأنا أصبحت الآن أعرف مدى نهمك للطعام.

قلت لها بلهجةٍ مخيفة:

ـ اتركي العشاء الآن، سنرحل من هنا فورًا.

ـ ماذا؟

ـ لا يوجد وقت، الأمر خطير جدًا.

***

(30)

كانت (سالي) تعد وجبة العشاء في المطبخ عندما تلقيت هذا الاتصال.

ـ ألو، الميت؟

ـ نعم.

ـ نريدك في مهمة.

ـ متى؟

ـ الليلة.

يبدو أنني مضطر للخروج، سألت المتصل:

ـ ما هي المهمة بالضبط؟

ـ قتل.

ـ لكني لا أقتل، بل أساعد على القتل.

ـ نعلم ذلك، لذا نريدك أن تساعدنا على القتل.

ـ ما هي الطريقة؟

ـ اختر الطريقة التي تناسبك، المهم أن يتم ذلك الليلة.

ـ حسنًا، أخبرني باسم الهدف وأهم المعلومات عنه، المعلومات التي أحتاجها لتنفيذ المهمة، وعنوان مسكنه.

ـ الهدف امرأة، اسمها (سالي دويدار)، المهنة صحفية.. جريدة (القيل والقال)، أما العنوان هو...

يا إلهي!

ثمَّ أخبرني بالعنوان، بالتفصيل الدقيق.

لا، ليس عنوان شقة (سالي).

الأغرب أنه أخبرني بعنوان شقتي التي أحادثه منها الآن!

***

يا للكارثة!

بعد المكالمة هرعت إلى المطبخ، قالت (سالي):

ـ العشاء جاهز، لقد أعددت لك عشاء كبيراً دسمًا، فأنا أصبحت الآن أعرف مدى نهمك للطعام.

ـ اتركي العشاء الآن، سنرحل من هنا فورا.

ـ ماذا؟

ـ لا يوجد وقت، الأمر خطير جدًا.

سألتنى بقلقٍ:

ـ ما الذي حدث؟!

أخبرتها بأمر المكالمة، سألتنى برعبٍ:

ـ وما العمل الآن؟

ـ كما قلت، لا بد أن نرحل من هنا فورًا.

ـ إلى أين؟

ـ إلى شقة أخرى، لقد أخبرتك من قبل أن لديّ كثير من الشقق، استأجرها من أجل المهام.

ـ لكنك قلت أنهم كلفوك أنت بالمهمة، فلِمَ القلق؟!

ـ أحيانًا يكلفوا أكثر من شخص بالمهمة، وطالما أنهم قرروا قتلك الليلة لذا سوف يكلفوا شخص آخر إذا أبلغتهم بفشلي أو بتأخري في المهمة، وحتّى إذا أخبرتهم أني قد قتلتك ربما يرسلوا شخصًا ليتأكد من موتك.

قالت بقلقٍ:

ـ ومتى ينتهي هذا الخطر؟!، هل سأظل مُطاردة هكذا طوال الوقت؟!

ضممتها إلى صدري وقلت:

ـ اطمئني، أنا معكِ.

***

كنا نجلس في السيارة متجهين إلى الشقة الثانية، عندما سألتني:

ـ كيف علموا أني لا زلت حية؟!

ـ السؤال الأهم، كيف علموا بمكانك؟

ـ ربما لمحني أحدهم وأنا أدخل العمارة.

ـ أولًا: الرجلين اللذين سألا عليكِ لم يعرفاكِ، وهذا يعنى أنهم لا يملكون صورة لكِ، ثانيًا: لقد كنت برفقتك وأنت تدخلين شقتي، والمتصل أخبرني أنكِ تعيشين وحدك، أي أنهم لا يعلمون أنها شقتي وأنكِ تقيمين معي، فلو أن هناك من يراقبك أو رآكِ بالصدفة فبالتأكيد رآني معكِ وعرف أنكِ بصحبتي أو بصحبة رجل ما، وهذا يقودنا لاحتمال واحد فقط، أنهم يعلمون مكانك الجديد، ولكنهم لا يعلمون أنك بصحبتي، ولقد انتقلنا إلى هذا المكان بالأمس، الثلاثاء، فمن الذي أخبرته بمكانك خلال هذين اليومين؟

ـ شخص واحد فقط، لكني أثق به ثقة عمياء.

ـ من؟ رئيس التحرير؟

قالت بتردد :

ـ لا، لقد أخبرت خطيبي.

***

قالت (سالي) وهي تجلس على الأريكة في شقتي الثانية:

ـ هذه أفضل بكثير من الشقتين الأخرتين.

قلت لها وأنا أحمل الحقائب وأضعها داخل الشقة:

ـ الشقة الأولى لم تكنْ شقتي، كانت شقة العميل كما أخبرتك، وتركتها عندما انتهت المهمة.

ـ وماذا عن هذه؟

أغلقت الباب وقلت:

ـ شقتي، لا يمكن لأحد أن يخرجني منها، ولا يعلم أحد عنها شيئًا، لذا اطمئني، لكن.. أرجوكِ ألا تخبرني خطيبك بها.

ـ ما زلت لا أصدق أنه هو الذي أخبرهم.

ـ لم يعلم أحد بمكانك سواه، أنتِ التي أخبرتني بذلك.

ـ نعم، لكن هناك احتمالات أخرى كثيرة.

فكرت للحظة ثمَّ قلت:

ـ حسنًا، يمكننا التأكد.

ـ كيف؟!

ـ ستتصلين الآن على خطيبك وتخبريه أنكِ خرجت من شقتك، ستقولين مثلًا أنكِ ذهبتِ إلى خالتك، آه.. تذكرت.. أنتِ وحيدة وليس لك أقارب، فلتقولي أنكِ ذهبت للمبيت عند إحدى صديقاتك، وسنعرف بعد ذلك حقيقة الأمر، لو أخبرني العميل بتأجيل المهمة فهذا يعني أن خطيبك قد أخبره.

ـ وماذا لو لم يتصل؟!

ـ سيكون هناك احتمال أن خطيبك بريء.

قالت مدافعة عن خطيبها:

ـ لماذا تقول (احتمال)؟!، قل (سيكون من المؤكد أنه بريء).

ـ ليس بالضرورة، ربما ينسى أن يتصل بهم، ربما انتهى شحن بطارية هاتفه، أو ربما ينسى العميل الاتصال بي من أجل تأجيل المهمة أو انتهي شحن بطارية هاتفه.

نظرت لي بغموض وقالت:

ـ فهمت، أنت تريد تشويه صورة خطيبي، تريدني أن أشك فيه وأكرهه، لأظل هنا في حمايتك، أليس كذلك؟!

ـ لا.

ـ وربما لم يكنْ هناك اتصال أصلًا، ربما لم يطلب أحد منك التخلص مني، ربما اخترعت هذه القصة لننتقل إلى هذه الشقة، لأشعر بالخوف والقلق دائمًا والاحتياج إليك.

قلت بضيق:

ـ الثقة! هل تثقين في أم لا؟

لم ترد، يبدو أنني فقدت ثقتها، قلت بغيظ:

ـ لقد اعترفت لكِ بكل شيء، تعريت أمامك من كل أسراري، لم أخفي عنكِ

أي معلومة وكنت أجيب على كل أسئلتك، ما الذي يجب أن أفعله لأنال ثقتك؟!

ـ الموقف صعب! ضع نفسك مكاني، بداخلي صراع شرس لا أستطيع حسمه، صراع بين خطيبي الذي كنت أثق فيه تمامًا وأعلم أنه مخلص أمين ويحبني للغاية وبدأت الآن فقط أشك به بسببك، وبين رجل عرفته منذ أيام أنقذ حياتي لكنه لا يزال مستمرًا في مهامه القذرة!

ـ لا تشغلي بالك بعملي، احكمي على تصرفاتي معكِ، هل بدر مني أي تصرف يجعلك تخافين مني؟

لم ترد.

أخرجت هاتفها من حقيبتها واتصلت بخطيبها تخبره أنها ستبيت عند صديقتها.

وجلسنا ننتظر بجوار هاتفي.

هل سيتصل العميل أم لا؟

***

(31)

مرت ساعة ولم يتصل أحد، كانت (سالي) في قمة سعادتها.

"أرأيت؟ ألم أقل لك؟، أنا أثق في خطيبى لأبعد الحدود".

في الواقع هي لم تنطق حرف (الدال) الثانية في كلمة (الحدود)، أي أنها قالتها (الحدووو.) وابتلعت الدال الثانية عندما سمعت رنة هاتفي، أظن أن قلبها سيقع عند قدميها من القلق والتوتر والخوف، تتمنى لو أنها كانت مهمة جديدة لي، حتَّى لو كانت مهمة (العاشق الميت)، المهم أن يكون خطيبها بريء، آخر شخص تتوقع منه الخيانة.

نظرت إلى هاتفي ورأيت الرقم، إنه نفس آخر رقم اتصل بي، العميل الذي يريدني أن أقتل حبيبتي (سالي)، حب حياتي، نصفي الآخر الذي كان ينتظرني في القبر.. لأنقذه من هناك، توأم روحي الذي لن أجد مثيله في العالم!

سألتني والقلق يعتريها:

ـ هل هو نفس العميل؟

لم أرد عليها وأشرت لها أن تصمت، قبلت المكالمة وضغطت على (مكبر الصوت) لتسمع المكالمة معي.

ـ ألو، لقد اتصلت بك منذ قليل من أجل مهمة الصحفية.

ـ (سالي دويدار)؟

ـ نعم.

ـ أنا في الطريق لتنفيذ المهمة.

ـ لا، فلنؤجلها قليلًا.

أشرت إلى (سالي) لكي تنصت جيدًا، كانت في أسوأ حالاتها النفسية لاكتشافها أن خطيبها هو الخائن، وأن أكثر الرجال خيانة هو الأمين معها.. أنا.

ـ لماذا؟

ـ لقد باتت في مكان آخر، عند صديقتها.

ـ ما هو عنوان صديقتها؟ يمكنني أن أذهب إلى هناك وأنفذ المهمة.

ـ لا، سوف تقتلها عندما تكون وحدها.

ـ ومتى يحدث ذلك؟

ـ لا نعرف، سنخبرك وقتها.

وأنهي المكالمة.

بكت (سالي) بشدة واندفعت إلى إحدى الغرف، جلست على السرير هناك ودفنت وجهها فيه واستمرت في البكاء، طرقت الباب قبل أن أدخل عندها، جلست بجوارها على السرير واحتضنتها وقمت بمواساتها.

ـ الحمد لله أنكِ عرفتِ حقيقته الآن، هو لا يستحقك، ولا يستحق البكاء عليه، والحمد لله أنكِ بخير، وأنكِ معي، من يدري ماذا كان سيحدث لو لم نكتشف حقيقته؟ ربما أخذوكِ للقبر مرة أخرى، وفي هذه المرة سيحرصون على قتلك قبل الدفن.

انفجرت في البكاء أكثر، يبدو أنني أرعبتها بدلًا من مواساتها، أعذريني يا عزيزتي، لقد تعودت على مهمة (الميت المتحمس) الذي يشجع على الانتحار، سأحاول مجددًا بكلمات أفضل:

ـ لا تقلقي من أي شيء، سأحميكِ.

ثمَّ ساعدتها على النهوض وقلت لها ناظرًا إلى عينيها التي امتلأت بالدموع:

ـ لن يمسك أي مكروه وأنا على قيد الحياة.

ثمَّ أكملت بابتسامة ساخرة:

ـ وأنا لا أموت كما تعلمين.

مسحت دموعها بيدها فضحكت لها قائلًا:

ـ بالضبط امسحي دموعك، ولا تبكِ عليه أبدًا، والمفروض أن تفرحي، لأنك تخلصتِ من شخص نذل خائن مثله. المفروض أن تنهضي وترقصي، إن رقصك رائع!

نظرت لي بشك، وقبل أن تسألني قلت:

ـ أخمن أن رقصك رائع.

لن أعترف لكِ أني قد شاهدتك ترقصين وإلَّا ظننتِ أنني كنت أتجسس عليكِ وهذا لم يحدث أبدًا، إلا خمس أو ست مرات فقط!.. قلت بحماسٍ:

ـ والآن، هيا نتناول العشاء، لقد تأخرنا كثيرًا جدًا، هل ستجهزينه أم أطلبه من المطعم؟

***

بعد وجبة العشاء..

جلسنا لنشاهد فيلمًا رومانسيًّا جميلًا، فجأة نهضت (سالي) من مكانها وأطفأت التليفزيون رغم أن الفيلم في بدايته، وطلبت مني أن أستكمل لها اعترافاتي، يبدو أنها صارت مغرمة بها أو مهووسة لحد الإدمان، وهكذا ترانا نحتسي الشاي وأحكي لها عن ذكرياتي القذرة وأسراري العفنة وحياتي النتنة وأعمالي ذات الرائحة الكريهة، الغريب أنها تعشق سماعها!

ازدادت الألفة بيننا عندما صارحتها بكل شيء، شعرت (سالي) كأنها تعرفني

منذ ميلادي أو كأنها تربت معي كأختي.. الغريب أنني لا أعرف كيف بدأت الحياة ولا أعرف لي أخوات أصلًا، قالت مبتسمة:

ـ أصبحت أعرف عنك أشياء أكثر مِمَّا كنت أعرف عن خطيبي!

قلت لها بضيق:

ـ ما زلت تتذكرين خطيبك! ألم أطلب منكِ أن تنسيه؟!

ـ أنا أتذكره بالشر، أكرهه كالعمى الآن، لقد انقلبت مشاعري تمامًا نحوه، كنت أموت عشقًا له بالأمس والآن أتمنى موته، الغريب أنني كنت أحبه وأشعر بالأمان معه بسبب بطولاته التي أعرفها والتي يحكيها عن نفسه، الآن أشعر بالأمان معك بسبب الكوارث والفضائح التي تحكيها عن نفسك، أشعر بالثقة التي تمنحها لي لأنك تحكي لي كل هذا دون خوف أو تردد.

ـ سوف أبحث من الغد عن خطيبك هذا الذي خانكِ والذي أبكاك الليلة و.....

قاطعتني قائلة:

ـ هل ستقتله؟

فاجأتها قائلًا:

ـ لا، بل سأشكره، وربما أرسل له هدية ثمَّينة لأنه كان السبب فيما سمعته الآن منكِ.

ضحكت بعذوبة، واستكملت جلسة الاعترافات الليلية، وصارحتها بما لم أقله من قبل، حتَّى غلبها النوم، فسكت عن الكلام المباح، وحملت (شهرزاد) إلى سريرها لتنام فيه حتَّى الصباح.

(شهريار) آخر الزمان!، يحكى فضائحه وأسراره لمحبوبته حتَّى تنام، ويعلو غطيطها في المكان، بدلًا من أن تحكي هي له قصصًا من عجائب الأزمان!

***

صباح يوم الخميس..

نهضت من سريري وجدت (سالي) تجلس في الصالة، سألتها:

ـ متى استيقظت؟

قالت بضيقٍ ومرارة:

ـ أنا لم أستطع النوم هذه الليلة، أرق شديد.

لم أرد إثارة غضبها بتعليق مثل (لقد نمتِ كالميت وحملتك كالجثة إلى سريرك وصوت غطيطك كان يرج جدران الشقة)، لكن.. ربما استيقظت بعد ذلك كثيراً، سألتها:

ـ لماذا؟

ـ كنت أفكر في حياتي القادمة، لقد خططت لحياتي مع خطيبي، وبنيتها في خيالي على هذا الأساس، الزواج وتربية الأبناء، وعملي كصحفية، فجأة تحطم كل هذا، خطيبي خانني، عصابة خطيرة تطاردني، لا أجد الأمان سوى مع القاتل المكلف بقتلي.

ضحكت ضحكة مريرة قائلًا:

ـ هل هذه هي نظرتك لي؟!.. (قاتل مكلف بقتلك)!

تنحنحت قائلة:

ـ لم أقصد .. أأأ.. لكن.. أنت تعلم جيدًا أنك أقرب إنسان لي الآن، لقد فقدت الثقة في الجميع عدا أنت، لا أشعر بالأمان مع أحد في العالم سواك، لدرجة أنني فكرت أن أنام بجوارك ليلة أمس على السرير، ثمَّ تراجعت عن الفكرة.

كنت أريد أن أسألها (لماذا تراجعت عن الفكرة؟) لكن شعرت أن السؤال قد يثير مخاوفها ناحيتي، لذا فضلت الصمت وتجاهل الفكرة، وعلى أي حال هي أجابت السؤال دون أن أقوله:

ـ تذكرت أني لا أعرفك سوى منذ أيام قليلة فقط، تذكرت أنه لا تربطني بك أي صلة، تذكرت أني أقيم عندك لفترة مؤقتة والمفروض أنها كانت ستنتهي اليوم أو الغد، والأهم من كل ذلك أني تذكرت أنك لا زلت مستمر في مهنتك الغريبة، لم تعتزلها، ولولا أنك تعرفني لكنت ميتة الآن على يديك.. مثل الأخريات.

ـ أنا لا أقتل.

ـ أعلم دفاعك السخيف عن نفسك، (أنا لا أقتل، لكني أساعد على القتل)، في النهاية يحدث قتل، بسببك سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

تحملت ما قالته؛ لأنها لم تقل سوى الحقيقة، ولأني أحبها، سألتها:

ـ ما الذي تريدينه وسوف أفعله؟

ظلت صامتة لفترة من الوقت وقالت:

ـ لا أعرف، أنا خائفة.

سألتها بقلق:

ـ خائفة مني؟

قالت بهدوء:

ـ بل خائفة أن أخرج من هذا المكان.

طلبت لها وجبة فطور من المطعم القريب، لم تعدْ لديها أي رغبة في دخول المطبخ، بل لم تعد لديها أي رغبة في الطعام.

ـ من الأفضل أن تأكلي، الغذاء مفيد، الإضراب عن الطعام لن يحل أي مشكلة، ستموتين بهذا الشكل.

قالت بحزنٍ:

ـ ليتني أموت.

ـ لا تقولي هذا، دعي هذا الحديث لشخص مثلي عاش سنوات طويلة حتَّى أصابه الملل ولم يعدْ يحتاج لعيش المزيد، لكن رغبتي هذه تغيرت عندما...

توقفت فسألتني:

ـ عندما.. ماذا؟

ـ لا أستطيع القول.

ـ لماذا؟

ـ فيه مخالفة للشروط.

ضحكت ضحكة خافتة قائلة :

ـ أمازلت ملتزما بالشروط؟!

ـ نعم، ولن أخالف أي شرط إلا إذا سمحتِ لي.

ـ وما هو الشرط الذي تريد مخالفته؟

ـ شرط عدم البوح بمشاعري تجاهك.

ابتسمت قائلة:

ـ حسنًا.. تفضل، لقد سمحت لك بمخالفة هذا الشرط فقط.

وقبل أن تكمل جملتها قلت:

ـ لقد تغيرت رغبتي عندما أحببتك، أصبحت أريد العيش، أحببت الحياة، لم أعد أفكر في الموت كغاية، بل أصبحت أخاف الموت الحقيقي الذي يمكن أن يحدث لي ولا رجعة منه، أصبحت أخشى النهاية الحتمية التي تنتظرني، أخشى أن يختطفني الموت وأتركك، وجدت معنى جديد للحياة على يديك، معنى مختلف، معنى البقاء مع أحد تحبه، تشتاق إليه، لقد خضت تجارب حب مزيفة كثيرة وكنت أتظاهر بالحب واللوعة والاشتياق تجاه الضحية ولكني لم أشعر بها حقيقة

إلَّا معك.. كنت أرى الحب في عيون الضحية ولا أتأثر، كنت أقول كلامًا رومانسيًّا لهن ولا أشعر بمعانيه، أما معك كنت أود أن أقول كلامًا رومانسيًّا ولا أقدر على قوله، أخاف أن أخالف الشروط فتتركيني وحيدًا لحياتي البائسة مجددًا، كنت أ...

رنة هاتفي قطعت حديثي.. مهمة جديدة.. رأيت نظرات عينيها فقلت:

ـ لن أذهب، سأبقى معكِ، لن أتخلى عنكِ.

فسألتنى مندهشة:

ـ وعملك؟

ـ لا يهم العمل، الأهم هو البقاء معك وحمايتك، فليذهب العمل إلى الجحيم، لا أحتاج إلى العمل، عملي من الآن هو حمايتك.

ـ ما الذي تعنيه؟

ـ كما فهمتِ بالضبط.

ـ إلى متى؟

ـ هل مللتِ مني بهذه السرعة؟

ـ لا أقصد، بل أعني أنني لا أفهم حديثك، أرجو التوضيح، هل ستعتزل مهنتك؟

فكرت للحظة قبل أن أقول لها :

ـ إن كان هذا ما تريدينه، سوف أعتزل.

ـ بالتأكيد أريد هذا، لقد طلبت ذلك منك من قبل، ولم أغير رأيي.

أجبتها صادقًا:

ـ حسنًا، سأعتزل.

ظهرت السعادة عليها وصفقت بيديها قائلة:

ـ هذا أفضل خبر سمعته منذ.. منذ البارحة.

ـ أنا لا أحتاج إلى المال، لديّ ما يكفينى لقرون أعيشها.

ضحكت (سالي) من قول (قرون أعيشها)! ثمَّ سألتني:

ـ وهل ستقوم بأعمال خيرية مستغلًا قدرتك الخارقة؟ هل ستصبح بطلًا خارقًا كما كنت أتمنى؟

لم أستطع رفض الفكرة، قلت:

ـ حسنًا.. سأكون بطلًا خارقًا، كما تريدين.

نهضت من مكانها واحتضنتني بكل سعادة ثمَّ قالت:

ـ هذا ثاني أسعد خبر سمعته اليوم.

لم أرد أن أصدمها في نفس اللحظة لكني مضطر، قلت:

ـ سأنفذ هذا كله، لكن بشرط.

سألتني بقلق:

ـ أي شرط؟!

وأخبرتها بشرطي الوحيد.

***

(32)

رفضت (سالي) شرطي الوحيد، رفضت الزواج مني، قالت:

ـ أنت أقرب شخص لي في هذه الدنيا الآن. ولم أعد أثق في أحد سواك، لكني لم أفكر في الارتباط بك.

ابتسمت قائلًا:

ـ حسنًا، يمكنك أن تفكرى الآن.

ـ لا أشعر بأي مشاعر حب ناحيتك، كل مشاعرى كانت تجاه خطيبي حتَّى ليلة البارحة، لا أستطيع أن أضغط على زر (نسيانه) ثمَّ أضغط بعدها على زر (أحبك)، لا توجد أزرار داخل القلب.

ـ يمكن أن تضغطي على زر هاتفك وتطلبي رقم المأذون ونتزوج على سنة الله ورسوله، وأنا متأكد أنكِ ستحبيني بعد ذلك، مشاعر الثقة والألفة التي حدثتني عنها بالأمس سوف تتحول إلى حب.

ـ هناك فرق كبير بين الثقة والألفة وبين الحب، لا أظن أني أستطيع الزواج دون حب، نعم أثق فيك تمامًا، أنت لم تؤذيني أبدًا ولا تفكر في إيذائي، وتمنع عني أي ضرر، أشعر بألفة نحوك لأنك حكيت لي عن ماضيك كله الذي تعرفه، تحميني من نفسك ومن الآخرين وتخاف على مشاعري.. تحبني.. ربما.

اِعترضت قائلًا:

ـ لا، أنا أحبك بجنون.

ـ خطيبي أيضًا كان يقول أنه يحبني بجنون.

ـ أنا لست مثل خطيبك!

ـ بالتأكيد لست مثله، أنت خارق، عمرك يفوقه بكثير، ربما مائة، ربما ألف عام، تسقط من ناطحة سحاب وتنهض بعدها لتعود لمنزلك، تتعرض للقتل يوميًّا من أجل كسب رزقك، تأكل طعامًا مسمومًا وتعيش، تلمس النار بيديك وتحترق فيتغير جلدك مثل الثعابين، لا تشعر بأي ألم حتَّى لو سارت فوقك شاحنة، لا تصاب بأي أمراض لأن لديك مناعة، بالتأكيد لست مثل خطيبي!

ـ الآن فهمت، لا تريدين أن تتزوجي من شخص غريب الأطوار مثلي.

اتجهت غاضبًا ناحية الباب فسألتني:

ـ إلى أين؟!

ـ لديّ مهمة يجب أن أقوم بها، سأعود لحياتي العملية.

ـ لكنك وعدتني، هل ستخالف وعدك لي في نفس الساعة؟!

ـ أنتِ لم تقبلي الشرط، لذا لن أنفذ الوعد.

ـ أي شرط؟! الزواج؟

ـ نعم، كنت مستعدًا لاعتزال هذه المهنة، وأغير حياتى إلى النقيض، وأكون في جانب الخير، لو أنكِ وافقتِ على الزواج.

ـ وماذا بعد الزواج؟! أنا لن أعيش معك للأبد، هل ستعود لجانب الشر بعد موتي؟!

ـ ربما لا، ربما أكون وقتها قد تعودت على الوقوف بجانب الخير.

ـ هذا ما أردت قوله، لماذا لا تقف في جانب الخير من الآن؟!

ـ وما الفائدة؟! طالما أن هذا لن يغير رأيك ناحيتي، سأظل دومًا الكائن غريب الأطوار، الشيطاني الذي لا يموت، ويجب أن أجوب الأرض حتَّى أعثر على شيطانة مثلي أعيش معها للأبد، بينما تبحثين أنتِ عن رجل عادي، تتزوجا وتنجبا وتموتا بعد بضع سنوات، بسبب حادث تافه.

ـ أنت مجنون!

ـ بل أنا ميت.

ـ وأنا لن أتزوج من ميت.

ـ وأنا لن أطلب منكِ الزواج مرة أخرى، لقد أخطأت عندما ظننت أنكِ النصف الآخر الذي ينتظرني في نهاية العالم.. واعتقدت أن رحلة البحث انتهت عندك، لكن يبدو أن رحلة البحث ما زالت مستمرة!

ـ حسنًا، ما هو وضعي الآن؟! هل تطردني من شقتك؟

ـ لا، لم أقل هذا أبدًا، ستبقين هنا، وسأظل أحميكِ كما وعدتك.

وقبل أن أغلق الباب قلت:

ـ أكملي فطورك، لا تردي على أي اِتصال من خطيبك، لا تتصلي بأحد وتخبريه بمكانك، لا تفتحي الباب لأحد.

***

انتهيت من مهمة (الميت الشطرنج)، مررت أمام السينما رأيت إعلانات الأفلام الجديدة، لم أشعر برغبة الدخول وحيدًا. فكرت أن أعود إلى البيت وأصطحبها لنشاهد الفيلم سويًّا، ربما كانت لا تحبني لكني ما زلت أحبها وأحب دخول السينما معها، لقد أحببت الأفلام الرومانسية من أجلها، هناك فيلمين رومانسيين سنحتار في الاختيار بينهما لمشاهدته، ربما ندخل الفيلمين واحدًا تلو الآخر، المهم أن

توافق على الخروج معى إلى السينما، الأهم أن توافق على الخروج من الشقة أصلًا، فهي تعتبرها مصدر الأمان الوحيد لها الآن، الأهم من ذلك كله أن أعود لأجدها ولا تفكر في العودة لشقتها.

سمعت سرينة سيارة المطافئ تمر بجواري، صراخ كثير، نظرت للسماء رأيت الدخان الكثيف، هرعت إلى الشارع الذي يصدر منه كل هذا الدخان، كانت عمارة شاهقة والنيران في أحد الأدوار وتتسلل بسرعة إلى الباقي.

تذكرت كلمات (سالي) :

"لماذا لا تساعد الناس على الحياة بدلًا من مساعدتهم على الموت؟".

هل أجرب؟! لم لا؟ ربما تفرح كثيراً إذا علمت أني قمت بعمل الخير اليوم، ربما تغير نظرتها لي، ربما توافق على الزواج مني.

كنت أرى الحرائق فيما مضى ولا أشغل بالي بها، طالما أن أحدًا لن يدفع لي مقابلًا ماديًا كبيراً لأموت محروقًا فلن أقدم على فعل أي شيء، لقد قمت بمهمة (الميت المحروق) كثيراً، وكان المقابل عاليًا جدًا.

دخلت العمارة التي تشتعل بها النيران، سمعت من ينادي قائلًا:

- لا تدخل، ستموت.

حسنًا، لقد جربت هذه الطريقة كثيراً من قبل ولم أمت، سمعت آخر يحذرني:

- العمارة ستنهار، اخرجوا بسرعة، ستموتوا.

حتّى لو حدث هذا الاحتمال، لن أموت، لقد قمت بمهمة (ميت تحت الأنقاض) من قبل.

أعطاني رجل إطفاء بطانية، كان يقف أمام الشقة المشتعلة، قال وهو يربت على كتفي:

ـ لا بد أن لك أحدًا عزيزًا بالداخل لتقدم على هذه الخطوة الجريئة.

وضعت البطانية فوقي وقلت:

ـ لديّ أحدًا عزيزًا بالخارج.

لا يعرف أنني أقوم بهذا الدور البطولي من أجل حبيبتي بالخارج، لتراني بطلًا فتوافق على الزواج مني، ربما.

اقتحمت النيران بقلب ميت، ليس تشبيهًا بلاغيًا، قلبي ميت بالفعل، ورغم ذلك ينبض بالحب!

فجأة، رأيت موجة نار عن يميني، لم أنتبه لها، تعرضت يديّ للشواء، لم أشعر بأي ألم كالعادة، أطفأتها بسرعة، منظرها سيئًا للغاية!، سوف أغطيها بقفاز وأكمام طويلة حتَّى تعود لطبيعتها، المهم ألَّا يحترق وجهي اليوم، أريد أن أذهب معها إلى السينما بعد مهمة (البطل المحروق)، هذه المرة (بطل محروق) وليس (ميت محروق)!. وبالتأكيد سترفض الخروج معي لو عُدت إليها ديك مشوي!

ثمَّ سمعت صراخ أطفال بالداخل، يا إلهي!

اتجهت بسرعة ناحية الغرفة التي يصرخون بها، طفلان صغيران يجلسان على سريرهما، يبكيان بصوت يمزق قلوب أعتى المجرمين، يا إلهي!، من قال أني ميت؟!، لقد جعلني منظرهما أبكي، أراهن أني شعرت بأن هناك دموع في عيني!

اتجهت ناحيتهما، طمأنتهما:

ـ لا تقلقا يا صغاري، ستكونا بأمان.

ـ ماما، ماما.

ـ أين ماما يا أحبائي؟!

لم يجيبا، وظلا يصرخان ينادينها.

لا أعلم شيئًا عن أمهما، لكني حملتهما على ذراعي، وفكرت في الخروج، يمكنني الخروج وحدي من قلب النيران، لكن الأطفال لا، لا بد أن أبحث عن وسيلة آمنة لخروجهما، اللعنة، لم أعتاد على مثل هذه الأدوار البطولية، كيف يتصرف الأبطال في مثل هذه المواقف؟! لقد رأيت أفلام كثيرة، ماذا كانوا يفعلون؟! بسرعة اتجهت إلى النافذة، رأيت إطفائي يقف على سلم على مسافة كبيرة من النافذة، لن أستطيع الوصول له، نظرت للأسفل وجدت شبكة كبيرة تحتها مراتب إسفنجية، لا يوجد حل آخر، الارتفاع عال، لا يهم أن تتحطم عظامي، المهم أن أحافظ على حياة الطفلين، لو كان أحد آخر لفكر ألف مرة قبل القفز من هذه المسافة، لكني فعلتها كثيرًا من قبل، كل ما كان يشغلني هو حياة الطفلين، لا بد أن أقفز بطريقة سليمة لأحافظ على حياتهم.

جلست على النافذة وأنا أحمل الطفلين الباكيين، وبعض الناس بالأسفل يشجعوني على القفز، والبعض الآخر يرفضون الفكرة خوفًا على حياتنا، وفئة قليلة مترددة لا تعرف هل تؤيد أم تعارض!

الوقت يمر ولا يملكون رفاهية التفكير بهدوء، أما أنا قد حسمت أمري منذ زمن وقررت القفز، ودعوت الله.

ربما لأول مرة، أدعوه.

لم أدعو لنفسي، بل دعوته أن ينجي الطفلين.

يارب أنقذهما، يارب أعدهما سالمين لوالدتهما. يارب استجب لدعائي.

ـ بسم الله الرحمن الرحيم

وقفزت أمام العيون المذهولة.

***

(33)

ما الذي حدث؟!

نظرت حولي لأطمئن على الطفلين، الحمد لله، سالمين.

فوجئت بأناس حولي يطمئنون على سلامتي، يا رفاق أنا لست مهمًا، لقد تعودت على مثل هذه الكوارث، المهم حياة الطفلين.

"أنت بطل!"

سمعتها من رجل إطفاء .. أين أنت يا (سالي) لتسمعي ذلك بأذنيك؟! اِبتسمت له ونهضت من مكاني. أتمنى ألّا تكون عظام الساقين قد تحطمت. حتّى أستطيع السير اليوم.

ـ إلى أين؟!

ـ سأصعد لإنقاذ أمهما.

ـ أنا أمهما.

نظرت إلى القائلة. كانت تجفف دموعها وهي تحمل أحد الطفلين. بينما يكشف طبيب على الطفل الآخر ليطمئن عليه. قالت الأم :

ـ لا أعرف كيف أشكرك!

ابتسمت لها، لا أعرف ماذا يقولون في مثل هذه المواقف البطولية!. أعذريني يا سيدتي، لقد اعتدت على حياة الجريمة. وهذا أول يوم في حياة البطولة، غالبًا كنت أطلب زيادة في الأجر. لكن هنا المفروض أن أقول:

ـ لا شكر على واجب.

نظرت إلى يديّ المشوية فقالت:

ـ يا إلهي! انتظر حتَّى يراك الطبيب.

قلت ساخرًا:

ـ هذه، لا، بسيطة.

وانطلقت إلى العمارة لأنقذ أحدًا آخرًا.

***

دخلت الشقة المشتعلة مجددًا. غطيت نفسي بالبطانية، تعجب رجل الإطفاء من شجاعتي، كيف أفكر في الدخول مرة أخرى؟! يبدو أنني دخلت عالم البطولة ولن أستطيع الخروج منه أبدًا! أنتِ السبب يا (سالي)!

ليتك هنا الآن لتشاهدي بطلك الخارق وهو يقتحم النيران بقلبٍ شجاع، لا يهمه شيء في الدنيا سوى إنقاذ حياة الناس الأبرياء، هل تسمعين هذا الصراخ يا (سالي)؟!، أظن أنه رجل عجوز يستغيث. الصوت قادم من هذه الناحية، الباب محترق. دفعته بيديّ (لم أشعر بأي ألم). أصبحت هذه الجملة مملة!، لكني أحب تكرارها لكم فربما تنسون هذه الحقيقة الغريبة!

ـ انتبه يا ولدي، النار تشتعل في يدك.

قالها الرجل العجوز فغمست يدي بسرعة في بركة ماء أسفل قدمي تكونت من ماء الإطفاء.

نظرت إلى الغرفة التي بها الرجل. يا إلهي!. جزء كبير من الأرضية قد سقط. لا أعرف السبب. لست خبيرًا في هذه الأمور. والرجل العجوز نائمًا على الأرض في أحد الأركان لا يستطيع التحرك. رأيت كرسيًا متحركًا في الركن الآخر. هذا الرجل عاجزًا. قال :

ـ اخرج يا ولدى. أشكرك على محاولة إنقاذى. لكنك لن تستطيع. اترك العمارة بسرعة قبل أن تموت. النار يا ولدى في كل مكان.

ـ لا تقلق بشأنى. فكر معى بسرعة كيف يمكننى إنقاذك.

نظرت حولى. هناك باب في الركن المقابل للعجوز. أظن أنه باب للشرفة. لكنه لن يستطيع الوصول له. لأنه لا يستطيع التحرك ولأنه لا توجد أرضية في المسافة بينه وبين الباب. والرجل العجوز في الركن الصعب. لن أستطيع الوصول له إلا بالقفز.

" لا تحاول"

قالها الرجل. لكنى كنت قد قفزت.

وفشلت المحاولة.

وسقطت إلى الطابق الذي يقع أسفله.

***

نظرت حولى في الطابق الذي سقطت فيه. وجدت ثلاجة. زحزحتها من مكانها بواسطة قاعدتها ذات العجلات. صعدت فوق مقعد ثمَّ صعدت فوقها. ثمَّ تشبثت بالسقف ورفعت نفسى لأعلى. حتَّى وصلت إلى العجوز. طمأنته قائلًا :

ـ ستنجو يا حاج.

ـ يا ولدى. أنا لا أستحق أن تضحى بحياتك من أجلى. لقد عشت حياتى. أنت لم تبدأ حياتك بعد!

لا داعى لنقاشه الآن فلن يصدقنى. لقد عشت أكثر منه. إنه صبى أو طفل رضيع بالنسبة لى. أو ربما أصغر سنًا!. إن حياته أفضل بكثير من حياتى. ويستحق أن أضحى بحياتى في سبيل إنقاذه وفي سبيل إثبات أننى بطل أمام (سالي)!

قفزت مرة أخرى من مكانى إلى مكان باب الشرفة. فتحته. وجدت سلم طويل يخص سيارة المطافئ. جميل!

لكن كيف سأحرك الرجل من مكانه. خلعت الباب من مكانه وجعلته كالجسر بين موقعى وموقعه. سرت فوقه حتَّى وصلت للرجل العجوز. حملته وعُدت مرة أخرى إلى الباب. واستخدمت السلم. وفي طريق الهبوط وجدت رجل إطفاء يستلم العجوز منى. تركته له بمنتهي الحرص. ثمَّ عدت إلى أعلى مستخدما نفس السلم.

" إلى أين؟ "

قالها رجل الإطفاء. لماذا يتعجب الناس أنى ذاهب لإنقاذ المزيد؟!

دخلت الشقة التي كان بها الرجل العجوز. تجولت فيها وسط النيران. حتَّى سمعت صراخًا. صراخ أنثى هذه المرة. أين هي؟!. أظن بالأعلى. صعدت إلى الطابق الذي يصدر منه الصراخ. اشتبكت النيران ببعض أجزاء جسدى وملابسى. أطفأتها بسرعة. وجدت خوذة دراجة بخارية. لبستها لأحمى وجهي من النيران. لا أريد أن ترانى (سالي) بوجه يشبه رجل الكوابيس المفزع (فريدى كروجر) Freddy Krueger بطل سلسلة أفلام (كابوس في شارع إلم) A Nightmare on Elm Street. إنها لا توافق على الزواج منى بوجهي السليم الوسيم فهل ستوافق عليه بوجه يليق بأفلام الرعب التي تكرهها؟!

بحثت عن مكان الفتاة المذعورة :

ـ أين أنتِ؟

ـ أنا هنا. أنقذنى.

بحثت عن مصدر الصوت. وجدت فتاة جميلة رقيقة ترتدى ملابس النوم. فاجأتها النيران فلم تجد وقتًا لارتداء ملابس تليق بمقابلة بطل خارق. كانت

المسكينة تقف على سريرها وتحاصرها النيران من كل جانب. كانت تبكى وهي تقول :

ـ أرجوك. أنقذنى. لا تتركنى. أرجوك.

ـ اطمئنى. لن أتركك أبدًا.

لا أستطيع الرؤية من هذه الخوذة اللعينة. خلعتها وأصبحت بوجه عارى مجددًا. استخدمت بطانية وجدتها بجوارى على الأرض. حاولت إخماد النيران بها. فاشتعلت بين يدى. طوحت بها لأحاول إطفاءها. لا فائدة. ألقيت بها بعيدًا نحو بركة مياه. ثمَّ وضعتها على جسدى ودخلت الغرفة. وصلت إلى الفتاة.

ـ اطمئنى. ستكونى بخير.

وجدت نافذة في الجهة المقابلة. ذهبت إليها مارًا فوق النيران. اشتبكت بعضها في بنطلونى. لم أنتبه لذلك إلا عندما حذرتنى الفتاة وهي تصرخ قائلة :

ـ النيران. بنطلونك. ساقك.

أخمدتها بسرعة. وعُدت إلى النافذة. فتحتها. لا يوجد سلم. لا توجد مراتب. النيران تحاصر الغرفة من الخارج.

لا أمل في النجاة.

ستموت الفتاة.

***

(34)

دعوت الله مجددًا، هذه المرة من أجل الفتاة، أنظر حولي باحثًا عن أي مخرج. أفكر بسرعة في أي حل، الفتاة تصرخ باستمرار:

ـ لن ننجو، سنموت، أعلم ذلك.

ـ لا تقلقي. النجدة في الطريق.

أنظر من النافذة مجددًا، ألوّح منها لعل أحد يراني، لا فائدة.

"نحن هنا، أرجوكم، أنقذونا".

لا أحد يراني، الدخان في كل مكان، الصراخ في كل الأنحاء، لا أحد يسمعني.

النيران تقترب وتقترب.

لا مفر.

أدعو الله مجددًا.

الفتاة ستفقد الوعي وهي تصرخ صراخ هستيري.

ـ اطمئني، أنا معك، لن أتخلى عنكِ.

ربما كانت كلماتي تبث روح الطمأنينة بداخلها، لكنني لا أرى أي تفاؤل في الصورة، لا بد من حدوث معجزة.

وحدثت المعجزة بالفعل.

جاءت من السماء.

رأيت طائرة تخص هيئة الإطفاء. لمحوني وأنا ألوّح بيديّ لهم، اتجهوا بالمقعد الطائر ناحيتي، المقعد المعلق بحبل يخرج من الطائرة.

ـ الحمد لله.

نظرت إلى الفتاة وقلت لها:

ـ ألم أقل لكِ ألا تقلقى؟

أسرعت ناحية الفتاة وقلت:

ـ أرجوكِ ثقى بي، سأخرجك من هنا.

تعلقت الفتاة بي وقالت:

ـ أثق بك.

حملتها فوق كتفي لأمر فوق النيران، وعندما وصلت للنافذة أطفأت النيران التي اِشتعلت ببنطلوني وساقي، أمسكت بالمقعد الذي يتدلى من الطائرة.

وربطت الفتاة بالمقعد بمنتهى الإحكام، ثمَّ دفعته.

لقد نجت الفتاة.

خرجت من الغرفة لأبحث عن أحدًا آخرًا لأنقذه.

***

انتهى اليوم وقد أنقذت تسع أفراد. هل هذا الرقم يجعلنى بطلًا في نظر (سالي) أم لا؟!

خرجت من العمارة بعد انتهاء الأزمة وإحكام السيطرة على النار، وجدت جمهورًا كبيرًا في انتظاري، وصيحة انطلقت من أحدهم :

- ها هو.

لم يعودوا إلى منازلهم قبل أن يروا البطل الذي دخل أكثر من مرة إلى قلب النيران لينقذ الناس، اِنطلق التصفيق بمجرد أن رأوني، لمحوا يداي وساقاي المحروقتان، لا تقلقوا يا رفاق، تعالوا لزيارتي غدًا وستجدوني بخير، وتعالوا بعد أسبوع وستجدوني أفضل منكم!

تقدم نحوي رجل إطفاء وعرض عليّ وظيفة في هيئة الإطفاء معهم، جاءني رجل آخر وطلب مني رقم هاتفي لأن هناك جائزة من المُحافظ في انتظاري!

تقدمت سيدة عجوز مني، وقالت:

- أنت بطل!، ليت كل الشباب كانوا مثلك.

أرجوكِ يا سيدتي، لا تقولي ذلك، لو أنهم كانوا مثلي لصارت الدنيا أرض للفساد، أنا لم أصبح بطلًا سوى منذ ساعات قليلة فقط، إذن الجملة الصحيحة (ليتهم مثلك اليوم)، هكذا أفضل!

اِتجهت نحوي الفتاة المسكينة التي أنقذتها والتي غطت نفسها ببطانية رديئة حتّى تستر نفسها:

- أشكرك، أشكرك بشدة، لا أعرف كيف أرد لك هذا الجميل!

لولا أن قلبي متعلق بالمشاغبة (سالي) لطلبت منك الزواج يا فتاة. فوجئت بها تقول:

- هل أنت متزوج؟

ما هؤلاء الفتيات الجريئات؟! أين زمن الخجل الجميل؟!

وجدت رجل محترم وقور يقترب مني، عرفت بعد ذلك أنه أبيها، قال لي:

- هذا الكارت الخاص بي، زرني في شركتي، تنتظرك مكافأة كبيرة، وسأوفر لك

وظيفة مناسبة وبمرتب مجزٍ، هذا أقل واجب تجاه البطل الذي أنقذ ابنتي.

ثمَّ اصطحب ابنته وتركاني للرجل العجوز الذي قاد كرسيه المتحرك ناحيتي وفوجئت به يمسك يدي المحترقة ويُقبّلها.

ـ ما هذا؟

ظل ممسكًا يديّ بيديه المرتعشتين وقال:

ـ هذه اليد اِحترقت من أجل إنقاذ أبرياء، يد تُقدر بالذهب، وهاتين الساقين أيضًا. أنا متبرع بتكلفة جميع عمليات التجميل التي تحتاجها وعلاجك بالكامل حتَّى تصبح في أفضل حال.

سمعت صوت تصفيق من بعض الواقفين الذين استمعوا إلى كلماته، ثمَّ سمعت من يقول:

ـ لا، أنا.

قال آخر:

ـ بل، أنا.

تطوع آخر متحمسًا وقال:

ـ لا، أنا.

كل هؤلاء الرجال مستعدين لدفع مبالغ طائلة من أجل إنقاذ يديّ وساقي، يمكننى الآن أن أحصل على المال منهم. وسأدعي أنني سأدفعه في عمليات التجميل، لكن طبعًا ستتحسن حالتي بدون أي عمليات، سأربح الكثير من هذه الفكرة، لكن طبعًا لم أفكر في تنفيذها، هذه الفكرة تخص شخصيتى القديمة ومهنتي السابقة.

مهنة الميت.

أما الآن، أصبحت أفكر بطريقة أخرى، طريقة تناسب أسلوب حياتي الجديد.

لقد غيرت خانة المهنة.

لم تعد المهنة: ميت.

الآن، المهنة: بطل.

***

عُدت إلى شقتي وأنا في قمة السعادة، سأحكي لحبيبتي (سالي) عن بطولاتي لأول مرة.

لا توجد مهام قذرة بعد الآن، فقط بطولات، أتمنى أن تغير رأيها وتوافق على الزواج.

لكني لم أجدها في الشقة.

أين ذهبت تلك اللعينة؟! لقد طلبت منها عدم الخروج.

اِتصلت على هاتفها المحمول، فوجئت بصوت يختلف تمامًا عن صوتها الناعم الجميل، صوت يذكرني بصوت أنثى الخنزير في موسم التزاوج.

ـ ألو، حبيبة القلب عندنا، لو أنك تريدها سليمة نفذ ما سنطلبه منك.

يا إلهي! لقد خطفوا (سالي).

***

(35)

(سالي) مخطوفة، وأنا السبب.

الوغد (جابر السلعوة) ينتقم مني.

لقد كنت أخشى أن تقتلها العصابة التي تطاردها. لم أتوقع أن يأتي الخطر من العصابة التي تطاردني، كنت دائمًا أتباهى أنني لا أملك نقطة ضعف، الآن صار لدي واحدة. (سالي دويدار) هي نقطة ضعفي، ويجب أن أنفذ ما يقولون حتَّى لا يؤذوها.

ـ إياك أن تمسوا شعرة منها.

قال (جابر) عبر الهاتف:

ـ لو أنك نفذت ما سنطلبه منك، دون أن تبلغ الشرطة، ستعود لك سالمة.

ـ حسنًا، ماذا تطلبون؟

ـ مبلغ بسيط.

ـ أريد أن أسمع صوتها أولًا.

أتاني صوتها الجميل، كانت تصيح:

ـ لا تدفع لهم، لا تدفع لهم.

حبيبتى لا تريد أن تكلفني مليمًا، إن لم أدفع من سيدفع يا عزيزتي؟!. كيف سأستعيدك إن لم أدفع لهم؟!

لم أسمع كلمة أخرى منها، اكتفوا بما قالته، ربما يخشون أن تخبرني بمكان احتجازهم لها، سألتهم:

ـ كم المبلغ المطلوب؟

وأخبروني بالرقم الضخم.

اللعنة! يا للطمع والجشع، كل هذا المبلغ نظير أنهم يحرروا واحدة اختطفوها!، ما الذي فعلوه ليستحقوا هذا المبلغ الكبير؟! كان المفروض أن أغيّر مهنتي من (ميت) إلى (مختطِف)، كنت سأربح الكثير.

طبعًا لا أعني أن المبلغ كبير على (سالي) حبيبتى، بالعكس لو أنهم طلبوا كنوز الدنيا لصار المطلوب أقل بكثير من قيمة (سالي) عندى، أنا أتحدث هنا عن المبدأ فقط.

عصابة تختطف طفلًا أو أنثى أو رجل ثمَّ تطلب فدية، فدية من أجل ألا يؤذوه وكأنهم بفعلتهم هذه قدموا الكثير لأهل الضحية، ينسون أن الضحية كان بخير قبل أن يختطفوه، ما المجهود الجبار الذي فعلوه ليأخذوا هذا المبلغ الكبير؟! لكني مضطر، من أجل (سالي)، حتَّى لو طلبوا مبلغ أكبر لدفعت.

إن (سالي) صارت نقطة ضعفي الآن. ولم أعتاد على هذا، عشت دومًا حرًا طليقًا أفعل ما يحلو لي و لا يهمني إثارة غضب أي أحد حتَّى لو كان (جابر السلعوة) نفسه. لكن الآن الوضع تغير. صارت لى نقطة ضعف. (سالي). لا بد أن أحميها بطريقة أفضل في المرة القادمة، حتَّى لا أتورط كل يوم في عمليات اختطافها ويحصلوا على كل ثروتي تدريجيًّا.

ذهبت لأحضر لهم المبلغ المطلوب من كهف الأفاعي، أضع هناك مبلغ ضخم في حقيبة جلدية متينة، في حراسة تلك الأفاعي، من يقترب منها سيموت من اللدغ، أما أنا لا أموت، تعرضت للدغات كثيرة قبل أن أصل للحقيبة ثمَّ غادرت المكان.

إن جسدى سيطرد السم لاحقًا، وكأن الدم الذي يجري في عروقي مضاد للسموم، وسيعود جسدي بعدها لسابق عهده، إن لم يكن أفضل، فربما تكسبه تلك السموم مناعة جديدة، حقًا لا أفهم طبيعة جسدي، لكني سعيد به!

أظن أن كهف الأفاعي هو أكثر الأماكن أمنًا في العالم، أفضل من خزينة البنك المركزي، إنه في حراسة حيوانات قاتلة. ما أجمل الطبيعة! وما أعظم شراستها!

ذهبت في الوقت المحدد إلى المكان المحدد حاملًا الحقيبة بها المبلغ المطلوب، ملايين الدولارات، لا أخشى شيئًا حتَّى الموت نفسه.

وهُم يعلمون جيدًا أنني لا أخاف من الموت لذا راقبوني جيدًا ورأوا (سالي) معى في كل مكان، فعرفوا أنها ليست مجرد عميلة جديدة، فقرروا خطفها وطلب الفدية! لا بد أن هذا ما حدث.

وصلت سياراتهم، هبطوا منها جميعًا ومعهم الرهينة المسكينة، قال قائدهم (السلعوة):

ـ لو أنك أبلغت الشرطة أو تحمل سلاحًا معك أو مع شريك لك في المكان، سنفجر رأسها في الحال.

ـ لا، اطمئنوا، سلموني الفتاة أسلمكم المبلغ، ونرحل بهدوء أنت تعرف كلمتي، لا أخالف الاتفاق أبدًا يا (سلعوة).

ـ حسنًا، سلمنا المبلغ أولًا.

لم أشعر بهذا الضعف من قبل في حياتي، لم يستطع أحد إجباري على شيء أبدًا، سوى (سالي) فقط، التي كانت تملي عليّ شروط إقامتها عندي، والآن هذه العصابة، والسبب (سالي). لم أكن أعلم أن الحب يجعل الإنسان بهذا الضعف؛ لأنه يخشى على محبوبته من أي سوء. قلت مستسلمًا :

ـ حسنًا. خذوا المبلغ أولًا، ثمَّ أعطوني الفتاة.

خشيت أن يصيبوها بأي أذى لو تأخرت في التسليم أو جادلتهم في أي شيء، اللعنة على الحب، لا بد أن أهرب مع (سالي) إلى أي دولة بعيدًا عن هذا الجحيم الذي كنت أعيش فيه، لا بد أن جميع أعدائي سوف يستغلون نقطة ضعفي طوال الوقت، لا أستبعد أن يخطفها (السلعوة) مرة أخرى عندما ينفق الفدية كلها ويحتاج إلى مال جديد.

تقدم أحدهم مني واستلم الحقيبة.

يا رب ينفقوا جميع المال على الأطباء لعلاجهم من جميع الأمراض التي ستصيبهم طول عمرهم، أو يموتوا جميعهم في حادث بشع بعد خروجهم من المكان.

تركوا (سالي) المسكينة مقيدة خلف ظهرها على الأرض، وغادروا المكان حاملين المال الملعون، هرعت إليها وقمت بفك قيدها قائلًا :

ـ حمد لله على سلامتك يا حبيبتى.

صاحت بي:

ـ لماذا دفعت لهم؟!

ـ كان لا بد أن أدفع، حتَّى لو طلبوا كنوز الدنيا.

ـ ألم أطلب منك ألا تدفع؟!

ـ هل تعتقدين أنني سأتخلى عنكِ؟

ـ لقد تخليت عن مئات الفتيات قبلي، لماذا لم تتخلى عني أنا أيضًا؟!

احتضنتها قائلًا:

ـ لأني أحبك.

دفعتنى بعيدًا فجأة وصدمتني قائلة:

ـ أنا لا أستحق هذا الحب.

ظننت أن التعبير قد خانها، (زلة لسان)، ربما هي لا تقصد ما قالته، ربما هي تقصد أن تقول (أنت لا تستحق أن أحبك) مثلًا، ثمَّ قالت العكس دون أن تنتبه لخطأ ما قالته، هذا طبيعى ومنطقى! لقد تعودت على ذلك منها وهذه هي الحقيقة، أنا الوغد الشرير الذي يبيع أحبائه مقابل المال، فلماذا أفديها بالمال الآن؟! يبدو أنها لم تتوقع ذلك مني وانتظرت الموت، قلت:

ـ لن أجبرك على حبي يا (سالي)، سأظل أنتظر أن تحدث المعجزة وتحبيني مثلما أحبك، ولقد دفعت الفدية اليوم لأنني لا أستطيع التخلي عنكِ في هذه الأزمة، والتي حدثت بسببي لأنهم أعدائي أنا وليسوا أعدائك، أخشى فقط أن تظني أني قد اتفقت مع هذه العصابة على تمثيلية خطفك حتَّى أظهر أمامك في صورة البطل الذي يضحي بحياته وماله من أجل حبيبته ثمَّ يعيدوا لي أموالى بعد انتهاء العملية، والله العظيم لم أتفق معهم، أقسم لكِ أن هذه ليست تمثيلية، لقد أخذوا أموالي فعلًا.

أجهشت بالبكاء وقالت:

ـ أعلم ذلك جيدًا، ولم أشك لحظة أنك اتفقت معهم ومتأكدة أنك لم تخطط لعملية خطفي.

اطمئن قلبى كثيراً وقلت:

ـ الحمد لله.

أكملت جملتها وهي تبكي:

ـ لأنني السبب، أنا التي خططت لعملية خطفي.

***

(36)

يبدو أن (سالي) أخطأت في التعبير مرة أخرى، لا بد أن تجربة الاختطاف كانت سيئة للغاية ولها آثارها السلبية على التركيز والنطق، يا للمسكينة! عصابة تطاردها فتدفنها حية داخل قبر وعصابة أخرى تطاردنى أنا فتخطفها هي، لا أظن أن هناك سوء حظ بهذا الشكل في العالم!

قالت (سالي) وهي تبكي:

ـ اسمعني جيدًا ولا تقاطعني، أعلم أنك لم تتوقع هذا أبدًا، لكنها الحقيقة المُرة، سأعترف لك بكل شيء أنا مشتركة مع هذه العصابة من البداية.

لقد خطط (جابر السلعوة) لكل هذا، وأنا شاركته في التخطيط والتنفيذ .. كان غاضبًا لأنه لا يجد لك أي نقطة ضعف، وهذا ليس جيدًا في العمل، لا بد من نقطة ضعف ليضغط بها عليك في أي لحظة، لا بد أن ترضخ له.. لقد تضايق بشدة لأنك هددته بالمسدس وأطاع أوامرك بكل خوف بعد مهمة (الموت في حادث) ليلة الخميس.

لذا بحثوا عن نقطة ضعف لديك لم يجدوا، لا عائلة، لا شركاء، لا حبيبة، جسدك منيع. لا تهاب الموت لذا قرروا زرعي داخل حياتك، لأتجسس عليك وأعرف كل شيء وأخبرهم بكل المعلومات التي قد تفيدهم لاكتشاف نقطة ضعفك.

ولأنهم يعرفون أنك لا تثق في أي أحد وأنك تشك في أي أحد، لذا قرروا وضعي في أسوأ حالة حتَّى لا يدخل الشك إلى قلبك أبدًا، وهكذا اِتفقت معهم على حبسي

داخل قبر، لقد دخلت القبر بقدمي بكامل إرادتي بمساعدتهم، لم يدفنوني حية كما ظننت، كان هذا هو الوضع السيئ المثالي لزرع جاسوسة داخل حياتك دون أن تشك فيها أبدًا، كان معي أحد أفراد العصابة بالداخل ليؤنس وحدتي ويطمئنني حتَّى لا أفسد العملية، وأغلقوا الباب علينا.

ثمَّ اتفقوا مع التُربي ليستدعيك من أجل مهمة (ميت في الكفن) ويطلب منك الإسراع لتنقذه من أهل المتوفي، لكن الهدف الحقيقى هو الإسراع حتَّى لا نظل محبوسين بالقبر مدة طويلة، حدد التُربي مكان القبر لك بحيث تمر على قبرنا وأنت في الطريق للمهمة، تسمع نداء الاستغاثة فتنقذني، كانت العملية ستفشل لو أنك لم تسمعنى أو لو أنك تجاهلت النداء وأكلمت سيرك. كنا سنبحث وقتها عن خطة بديلة لكنك سمعتني وأنا أستغيث، ورأيت القفل على القبر بالخارج، لم تشك للحظة أنها خطة مدبرة للإيقاع بك، حطمت القفل وأخرجتني، لو كنت نظرت داخل القبر ومعك كشاف لرأيت شريكي، تظاهرت أمامك بالصدمة والفزع الشديد وأنني لا أعرفك، أنا أجيد التمثيل كما تعلم.

ولقد اختاروني للعملية لأنني أجيد الطهي أيضًا فلقد لاحظوا أنك مهووس بالطعام من كثرة ارتيادك المطاعم، كنت الفتاة المناسبة تمامًا للقيام بالمهمة، أفضل بكثير من الفتاة (جولي). الفتاة البديلة لو أنني رفضت القيام بالمهمة.

مهمة (اِصطياد ميت).

اصطحبتني إلى سيارتك وطلبت منك ألا تتخلى عني، وهكذا اعتذرت للتُربي عن مهمة (ميت في الكفن)، تظاهر التُربي بالغضب الشديد منك وخوفه من أهل المتوفي، لكن لم تكنْ هناك مهمة أصلًا، لقد تظاهر بذلك حتَّى لا تشك في الأمر إذا لم يتصل بك، ولقد كافأه (جابر) على هذه التمثيلية.

كذبت عليك عندما أخبرتك أنني صحفية أكتب في جريدة (القيل والقال)،

لقد اِستخدمنا اسم صحفية حقيقية هناك تدعى (سالي دويدار) لكننى لست صحفية، وليس اسمى (سالي) أصلًا، لو أنك ذهبت إلى مقر الجريدة وسألت عن (سالي دويدار) لرأيت واحدة أخرى غير التي تعرفها، ولأن المقالات تُنشر بدون صورة الكاتبة لذا وضعنا بعضها على الجدران في شقتى لتظن أنني هي، ولنؤكد لك الخدعة.

تظاهرت بالخوف الشديد من العودة إلى شقتى حتَّى أبقى معك أطول فترة ممكنة، وأدرس حياتك بالتفصيل عن طريق المراقبة الدقيقة من الداخل وأنقل للعصابة كل شيء عنك ليدرسوه.

كانت جميع مكالماتي مع خطيبي هي في الواقع مكالمات مع (جابر السلعوة) زعيم العصابة، أخبره بما عرفته ويخبرني بما يجب القيام به، أنا لست مخطوبة من الأساس لأي أحد.

لقد اخترعنا قصة الخطيب المسافر حتَّى نبين لك أنها مدة قصيرة جدًا فلا تطردني أو تشك في أمري، ولهذا كنت أرفض حبك باستمرار بحجة أنني مخطوبة حسب الخطة المرسومة!، وتظاهرت أيضًا أني لا أعلم شيئًا عن إمكانياتك الخارقة، لذا تصنعت الخوف والقلق عليك من أي مواجهة مع العصابة، لم أكنْ أعلم أن الشقة التي سنبيت فيها هي شقة تخص عميل جديد ومهمة جديدة، مهمة (الميت الكبش/ العاشق)، وعندما علمت ذلك قررت البقاء معك فترة أطول حتَّى تأخذنى إلى شقتك الأصلية، لأدرسها وأفتش محتوياتها.

كنت أطبخ لك أشهي المأكولات حتَّى تقع في حبى وتصرح لي بأسرارك، كما يقولون أقرب طريق لقلب الرجل هو المعدة، وأنت بالفعل لديك هوس بالطعام فوقعت في الفخ بسهولة.

الهوس الثانى لديك هو السينما، لذا قررت أن أشاركك مشاهداتك، لكني

فوجئت أنك تهوى أفلام الرعب التي أكرهها. فحاولت أن أشجعك على مشاهدة الأفلام الرومانسية التي أحبها، وبهذا أضمن البقاء معك فترة أطول دون أن تنقلب معدتي وأتقيأ، وفي نفس الوقت سوف تشجعك الأفلام الرومانسية على الإقبال على الحب، أن تفتح قلبك للجنس الآخر، لأننا عرفنا عنك أنك تميل للوحدة.. تخاف من الوقوع في الحب والزواج.. لا تتورط في أي علاقة مع أي فتاة، رغم أنك تقابل الكثير منهن وتتصنع الحب أمامهن أحيانًا حسب رغبة العميل، كانت المهمة صعبة جدًا لأن أجعلك تحبني حقًا.

كنت أتظاهر أني نمت وأتصنع صوت الغطيط حتَّى تتأكد أني غرقت في النوم فتحملني وتضعني في السرير وتتصرف بحريتك في الشقة وتجري مكالماتك المهمة التي كنت أتصنت عليها، كنت أمدحك باستمرار بأنك (بطل) حتَّى لا تظن أني أعرفك أو أعرف مهنتك، وحتَّى لا تغدر بي وتتخلص مني ـ مثلما فعلت مع فتيات كثيرات في مهمات سابقة ـ فالأبطال ليسوا خونة، لكن يبدو أنك لا تتخلص من الفتاة إلا إذا كان هناك مقابل مادي لذلك، لذا حاولت أن أنفق مالًا أثناء إقامتي عندك حتَّى تحب صحبتي، فنحن نعلم مدى نهمك للمال.

كنت أريد الخروج معك للعمل لأعرفك أكثر، لكنك كنت ترفض دائمًا، كنا نعلم عنك أنك تعمل وحيدًا دائمًا.

تضايقت لأنك أكلت بالخارج لأني أريد أن تتذوق طعامي وتُفتن به، لو ظللت تأكل في المطاعم لن تعرف أبدًا جودة طهيي وتفشل الخطة.

لقد بنينا الخطة كلها تقريبًا على هوسك بالطعام، وهذا ما جعلني أتفوق على (جولي) للفوز بالمهمة، فن الطهي.

وعند أول شجار بيننا أمام التليفزيون ومعركة السيطرة على الريموت كنترول وعند أول ملامسة واحتكاك بين جسدينا عرفت أني سأفوز، لقد لاحظت الشرارة،

جسدك تفاعل، أحسست بذلك. وأيقنت أني سأنجح في مهمتي، لكني تعجبت من ذلك. ما سمعته عنك ينفي ما لاحظته عليك، لقد سمعت أنك قابلت نساء كثيرات في حياتك لكن لم تستطِعْ إحداهن هزيمتك فكيف فعلت أنا ذلك؟!. لم أعرف السبب لكني كنت سعيدة، شعرت أن المهمة ستكون أسهل مِمَّا أظن، لم يعد الطهي سلاحي الوحيد في المهمة، هناك سلاح جديد يمكن أن أستخدمه معك، سلاح أقوى بكثير من سلاح الطهي، سلاح الجسد، لكن يجب استخدامه بحذر، لذا تصنعت الخجل أمامك ونهضت لأجري على غرفتي، لكن القيء كان طبيعيًّا. لم أتصنعه، كان المشهد المعروض على الشاشة مقززًا للغاية، أما عندما دعوتني على العشاء بالخارج وارتديت الفستان الفاضح كنت سعيدة أنك تشعر بالغيرة وتطلب مني ألا أرتديه، كنت أختبر إحساسك نحوي لذا تعمدت ارتدائه، وتحججت بأني لم أجد فستان آخر مناسب، وفرحت أكثر عندما رأيتك تتشاجر مع رجل بسبب غيرتك عليّ، لكن عندما علمت أنها خطة ضمن مهمة (ميت الثورة) شعرت بالإحباط، لكن فرحت مجددًا عندما دافعت عني ونحن بالسيارة.

على فكرة كنت أخشى أن يتطور الموضوع مع الضابط وينكشف أمري وتعرف حقيقتي في القسم وتفشل الخطة.

في تلك الليلة نمت بجوارك على السرير متظاهرة أني قلقة عليك، وفي الصباح رأيت بنفسي كيف تتعافى من الجروح!. حذفت القنوات الجنسية لأعرف رد فعلك، اكتشفت أنك غضبت لأن التليفزيون يخص العميل لا لسبب آخر، وأن هذه القنوات لا تثير اِهتمامك.

ذهبنا إلى شقتى بعد أن جهزنا المقالات التي تثبت لك أنني صحفية، حتَّى لا تفكر في السؤال عني في مقر الجريدة، بعد ذلك رأيتني أرقص في غرفتي.. كنت أعلم أنك تشاهدني في صمت .. فعرفت أن رقصي قد أعجبك. فانتقلت بعدها للخطوة

التالية.. أن تراني عارية تمامًا وأثير شهوتك ناحيتي، لكن كيف أنفذ ذلك دون أن تشك في الأمر؟!، أخبرونى أنك أنهيت مهمتك مبكرًا وستعود للمنزل، خرجت من الحمام وتظاهرت أني تفاجأت بدخولك فإدعيت الخجل أمامك وابتلعت الطُعم، وأيقنت في ذلك اليوم أنك تعلقت بي، وأني نجحت في اصطيادك.

انتقلنا بعدها إلى شقتك، ضايقني أنك تركتني في الشقة وخرجت في مهمة لذا راقبتك، كان هذا أكبر خطأ فعلته، كان المفروض أن أراقبك داخل الشقة فقط، لا خارجها لكنى لم أستطعْ منع نفسي، وعندما رأيتك تدخل شقة امرأة تضايقت أكثر وخرجت عن النص وطرقت الباب، لأجدك عاريًا تمامًا أمامي، لم أعرف ماذا أفعل! كيف أعود لشقتك لأكمل المهمة والمفروض أني غضبت منك بسبب هذا المنظر؟!

لم يكنْ أمامي سوى العودة إلى شقتي لأظهر مدى غضبي منك، كنت حائرة كيف أعود إليك لأستكمل الخطة.

فرحت جدًا عندما أتيت لي طالبًا العفو والسماح، هذا سيسهل الأمور تظاهرت أني لا أريد العودة حتَّى لا تشك. ثمَّ فرحت أكثر عندما صارحتني بحبك، الخطة تسير كما يجب أن تكون، لكن الأمور تعقدت أكثر بعد الاعتراف بالحب، لا يمكن أن أعود إليك وأنت تعترف بحبك لي.. هنا فكرت في خطة ممتازة للعودة.

طلبت من (جابر) أن يرسل رجلين إلى شقتي ويسألانا عني لتظن أنني ما زلت في خطر، ثمَّ أوافق بعدها على العودة. وابتلعت الطُعم مرة أخرى.

وعُدنا سويًّا لشقتك، حكيت لي في تلك الليلة أسرار كثيرة عنك وعرفت أنك فقدت ذاكرتك من قبل، هذه نقطة ضعف كبيرة، استغلها (جابر) وأراد أن يزرع (جولي) بدلًا مني، كانت هي السيدة التي ادعت أنها زوجتك، وبهذه الطريقة ستكون قريبة جدًا منك وستبقى معك فترة أطول لأن خطيبي سيصل قريبًا

وتنتهي مدتي عندك، كان المفروض أن أؤيد قصتها وأدخلها حياتك بدلًا مني لكني رفضت الاستسلام وقررت اِستكمال المهمة بنفسي، وشرحت لك نظرية (الحضن) لأثيرك مرة أخرى تجاهي.

طلبت منك أن تكون بطلًا حتَّى لا تتخلى عني وقت اختطافي، وحتَّى تتوقف عن الخروج وتمكث معي فترة أطول لأعرفك أكثر، الوقت صار ضيقًا وأنا أريد أن أعرف المزيد، أخبرتنى بأدق أسرارك، أخبرتنى بمكان كهف الأفاعي، لكن لا يستطيع أحد الدخول إلى هناك غيرك لأن جسدك منيع، لا تؤثر فيه اللدغات لذا لا بد من إجبارك على الدفع، لكن هل تحبني لدرجة أن تتخلى عن ملايينك من أجل إنقاذي؟!، خاصة وأنني مخطوبة لغيرك وصارحتك بأني أحبه وسأتزوجه، لذا اتصلنا بك من أجل مهمة التخلص مني لتظن أن خطيبي قد خانني وتصارحني بالحقيقة المُرة عنه، تظاهرت أمامك بالصدمة والضياع!

عرضت عليَّ الزواج فتأكدت أنك ما زلت تحبني، لكني لست واثقة من حقيقة مشاعري نحوك، كنت حائرة!، أقسم لك. لا أعرف ماذا أفعل!، هل أبقى معك وأترك العصابة؟! أم أستكمل الخطة ونحصل على مبلغ الفدية وأحصل على نصيبي منها؟!، حكاياتك وذكرياتك وأسرارك المشينة كانت تقربني منك وتبعدني عنك في نفس الوقت، كنت أشعر أنني أعرفك تمامًا وأشعر بالثقة والأمان وأنت تحكي لي، وفي نفس الوقت كانت حكاياتك نفسها تخيفني منك، ترعبني بشدة، ليس هناك بشريًّا يفعل ما تفعله، يخون بسهولة، يحطم القلوب ببرود، يموت باستمرار. لا أمان مع شخص مثلك، كنت حائرة لأقصى درجة في تحديد مصيرى معك!، هل أخونك وأبقى مع العصابة التي عملت معها كثيراً وأشعر بالأمان وسطهم؟! أم أخونهم وأرمي نفسى في أحضان رجل لا يموت لا أعرف عنه سوى ما يحكيه لي

من ماضى ملوث؟!، حطم قبلي قلوب فتيات كثيرات ومن السهل أن يحطم قلبي أنا أيضًا!

كنت أزرع فكرة البطولة بداخلك حتَّى لا تتخلى عني أبدًا مهما حدث، بعيدًا عن أي خطط تخص العصابة، كنت أريد أن أثق فيك أكثر، كنت أريد أن أحبك، كنت أريدك أن تبقى معى لفترة أطول حتَّى أستطيع التفكير في هذه المعضلة، حتَّى أستطيع أن أحسم الصراع بداخلي، لكنك خرجت عندما رفضت الزواج منك، انقلبت في ثانية واحدة وقررت العودة لحياة الجريمة.

كان من الصعب قبول فكرة الزواج منك وأنا لا أعرف حقيقة مشاعري نحوك، ولا أضمن أن تعيش حياة البطولة كما وعدتني، ولا أضمن ألا تنقلب عليّ إذا أخبرتك العصابة بالخطة كلها، وقتها أكون خسرتك وخسرت العصابة.

بمجرد خروجك جاءوا حسب خطة الاختطاف المرسومة، خرجت معهم واتصلوا بك ليطلبوا الفدية.

كنت أسأل نفسي هل سيدفع أم لا؟!

لو أنك دفعت الفدية فأنا سأسعد بنجاح الخطة لكن سأحزن لأني تخليت عن حبك الكبير لي الذي جعلك تضحي بأموالك من أجلي، أما لو لم تدفعها فسأحزن لفشل الخطة وسأفرح لأنك تستحق خداعي لك، لذا عندما طلبت منك ألا تدفع، لم يكنْ هذا تمثيلًا، كنت أتمنى ألَّا تدفع، كنت أتمنى أن تظل الوغد الذي يتخلى عن أي أحد مقابل جنيهات.

لم أتخيل أنك تحبني لهذه الدرجة!، أن تضحي بكل تلك الأموال من أجلي، أنا لا أستحقها، لا أستحق حبك لي، أنا مخادعة، أنا سيئة، ولهذا صارحتك بكل شيء، ومستعدة لأي شيء ستفعله بي، أنا أستحق، أنا أستحق.

***

أنهت الشيطانة (سالي) اعترافها الطويل. لم أنطق بكلمة طوال هذا الوقت، كنت مصدومًا لأقصى درجة، اِصطحبتها إلى سيارتي وهي مستمرة في البكاء بدموع الندم الغزيرة، جاءت معي مستسلمة لمصيرها.

لم تعترض.

لم تسأل.

وانطلقت بسيارتي إلى المقابر.

إلى أول مكان تعرفت عليها فيه.

***

(37)

اِصطحبت (سالي) إلى المقابر، سارت معي باستسلام شديد، لا تتوقف عن البكاء والنحيب والعويل.

أمام المقبرة التي أخرجتها منها توقفنا. حاولت كسر القفل.

قالت وهي تمسح دموعها :

ـ هل ستقتلني؟!. أنا أعلم أنك لا تقتل، لكني أستحق القتل، لكني لا أريدك أن تقتلني، دع هذه المهمة لشخص آخر، لا تلوث نفسك بدمائي، استأجر أي قاتل لينفذ المهمة، أنا موافقة وسأنتظر، وأرسل لمنظف الجرائم ليتخلص من جثتي، لا ترهق نفسك بي، أنا لا أستحق أي عناء منك.

فتحت باب القبر أخيراً بعد تحطيم القفل، ازدادت في البكاء وقالت:

ـ أعلم أنك تكرهني جدًا الآن، معك حق، لكن تذكر أنني اعترفت لك، لم يجبرني أحد على الاعتراف، لم تكتشف جريمتي، أنا التي كشفتها لك، وأنت قد فعلت ما هو أسوأ مع مئات غيري، لقد اعترفت لي بذلك، جميعهن وثقوا فيك، وتخليت أنت عنهم بسهولة مقابل المال، أنا أيضًا خدعتك مقابل المال، نحن الاثنان مخادعان، نليق ببعضنا، وإن قارنت بيني وبينك فأنت أسوأ بكثير، حياتك سلسلة من الغش والمكر والخداع. لقد طلبت مني أن أسامحك من قبل، وسامحتك، وأنا الآن أطلب السماح منك، لا أريد شيئًا آخر، لا أريد مال.. حتّى نصيبي الذي كنت سأحصل عليه من العصابة لا أريده، لا أريد الحياة، أريد أن أموت. ليتنى أموت مثلك

مئات المرات حتَّى تستطيع الانتقام مني مئات المرات. أرجوك، اقتلني الآن، لكن لا تدفني حية. لن أستطيع تحمل هذا العذاب، هذا طلبي الأخير.

اقتربت منها فارتجفت خوفا مني، رفعت يدي لأخنقها.

لم تهرب، وظلت واقفة مستسلمة لمصيرها الذي سأحدده، لكن يداي لم تستطع الاقتراب من رقبتها، وعادت مرة أخرى لمكانها.

نظرت للسماء وبكيت.

قالت:

ـ أرجوك، تكلم، منذ بدأت اعترافي لك وأنت لم تتفوه بكلمة، أرجوك. قل شيئًا.

قلت كلمة واحدة وأنا أنظر لأعلى وأبكي:

ـ لماذا؟!

***

لم تصدق (سالي) ما فعلته!

فوجئت بي أدخل القبر أمامها، كانت تتوقع العكس، أن تدخل هي. رأتني أستلقي بالداخل، سألتني مندهشة:

ـ ما الذي تفعله؟!

ـ طلب وحيد، أغلقي القبر.

ـ لماذا؟!

قلت بيأس:

ـ أنا لا أستطيع الموت، لكني أستطيع الابتعاد عن البشر.

ـ لا تفعل هذا بنفسك، أرجوك أخرج.

ـ ما فائدة الخروج إلى عالم مليء بالخداع والمكر والغش؟!، حتَّى الإنسانة الوحيدة التي ظننت أنها ستخرجني من هذا الوحل، اكتشفت أنها تسبح معي فيه!

ـ أنت فقط أخطأت الاختيار، لكن هناك مئات أفضل مني، تأكد أن فتيات كثيرات من اللاتي تخليت عنهن كن أفضل مني.

ـ وما الفائدة وقلبي لم يدق مع أي واحدة منهن؟!، لقد اخترتك أنتِ من دون نساء العالم. الوحيدة التي حركت مشاعري، جعلتني أشعر! ولم أكن أعرف معنى كلمة (شعور) أو (إحساس)، اكتشفت الآن فقط أن كل ما رأيته كان وهمًا، الخجل كان صناعيًا، الحب كان خطة. القلق كان مزيفًا. الرقص كان حيلة، العري كان وسيلة، الضحكة كانت قناع، القبلة كانت خداع. الألفة كانت ستار. الحضن كان لعبة!

ـ أنا واحدة من ملايين، ليست كل الفتيات مثلي، بالتأكيد هن أحببنك بصدق، ويتمنين رجوعك لهن في أي لحظة.

ـ ما فائدة الرجوع الآن؟! لقد حطمت أشياء كثيرة بداخلهن، ما فائدة الاعتراف أمامهن بجرائمي؟! ما فائدة العودة بعد الانكسار؟! هل اعترافك الآن لي سوف يغير من حقيقة الأمر؟! هل سيجعلني أتغاضى عمَّا حدث وعما عرفته وتعودين كما كنتِ في نظرى من قبل؟! بالتأكيد لا، كذلك عودتي لهم.

ـ أنا كنت أعلم أنك ستكرهني لو اعترفت لك ومع ذلك اعترفت؛ لأني أردت ذلك. الاعتراف أراح ضميري، أنت كذلك. الاعتراف سيريحك.

ـ ضميري ميت، مثل كل عضو في جسدي، لن أجد الراحة أبدًا. لا أعرف سبب وجودي بينكم!، لا أعرف من أنا!، لا أعرف أي شيء، مائة سؤال وسؤال، لماذا أنا مختلف عنك وعن سائر البشر؟! لماذا أحيا؟! لماذا لا أموت؟! لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

فجأة رن هاتفي.

ابتسمت بمرارة وقلت:

ـ مهمة قذرة جديدة، هكذا أنا، هذه هي حياتي.

وقذفت الهاتف في وجه (سالي)، تفادت الإصابة والتقطته، أمسكت الهاتف ونظرت إلى الرقم، وقالت:

ـ ليس مسجلًا باسم، لا أعرف من المتصل.

ـ لا يهم، أنا لا أعرف أسماء العملاء، ولا هم يعرفون اسمي، أنا لا أعرف اسمي، واكتشفت اليوم أنني أيضًا لا أعرف اسمك.

ـ اسمي...

قاطعتها قائلًا:

ـ لا أريد أن أعرف، ستبقين في نظري (سالي) الخائنة التي...

قطعت حديثى بأن فتحت المكالمة ولمست رمز (مكبر الصوت)، سمعنا من تقول:

" ألو، أنا الفتاة التي أنقذتها اليوم."

نظرت (سالي) متعجبة، لا بد أنها مندهشة أني أنقذت أحدًا، لقد تعودت أني أحطم أحدًا، أخون أحدًا، أساعد على قتل أحدًا، لكن (الإنقاذ) ليس في جدول أعمالي.

"كنت أريد أن أشكرك مرة أخرى على إنقاذي، وأريد أن أحدثك في أمر آخر، لم أستطعْ التحدث فيه أمام أبي، هل تسمعنى؟"

أصدرت (سالي) صوت همهمة حتّى تستمر الفتاة في الكلام.

"أعلم أنك قد تعرضت لإصابة بالغة أثناء الحريق لذا تحتاج إلى الراحة".

تعجبت (سالي) عندما سمعت كلمة (حريق)، وتعجبت أكثر من كلمة (إصابة) لأنها لا ترى أي إصابة ولأنها تعلم جيدًا أنني لا تهمني الإصابات!

"لكني أحتاج لأن أقول لك هذا الكلام الآن، قبل الحريق بساعة اكتشفت أن خطيبى يخونني مع واحدة أخرى، قررت الانتحار، وكنت حائرة في الوسيلة المناسبة، الحبوب أم الشنق، كانت لحظة ضعف. لم أكن أفكر، ثمَّ حدث الحريق والنيران حاصرتني في كل مكان، شعرت بالخوف الشديد من الموت. كيف كنت أفكر فيه منذ لحظات؟!. النار كانت مرعبة، والانتحار كفر، كيف سأطيق نار جهنم إذا انتحرت؟! كنت أدعو الله ألا أموت حتَّى لا تكون آخر لحظاتى في الحياة هي لحظة التفكير في الانتحار، كانت النيران تقترب وشعرت أنها النهاية حتَّى سمعت صوتك، شعرت بالأمل، جئت لتنقذني من وسط النيران. شعرت بإحساس جميل جدًا، حتَّى لو أنك لم تستطعْ إنقاذي سعدت بفكرة أن هناك أحدًا يخاطر بحياته من أجلي، كان شعورًا رائعًا أعاد ثقتي في الناس، بالتأكيد لست وحدك بطل، أنت البطل الذي أنقذتني، وبالتأكيد هناك احتمال لوجود أبطال آخرين يضحون بحياتهم من أجل إنقاذ الآخرين، لكن للأسف كانت نظرتي ضيقة وظننت أن كل الناس ـ مثل خطيبي - خونة. أنت أعدت لي الأمل في الناس، والأمل في الحياة، الحمد لله أنه أرسلك لي".

كانت (سالي) تسمع حديث الفتاة وتضع يدها على فمها لتمنع خروج شهقاتها في المكالمة، لم تكن تصدق أني فعلت ذلك. لم تكن تصدق أن تأتي هذه المكالمة في هذه اللحظة بالذات!

" آسفة، لأني حادثتك الآن وأنت بالتأكيد تحتاج إلى الراحة، لكنى لم أستطع النوم قبل أن أتحدث معك، أشكرك لأنك كنت موجودًا في تلك اللحظة الحرجة من

أجلي، أعدك أني سأحمد الله دومًا مهما حدث لي، كما حدث معك عندما لم تبالِ بإصابتك. وسأنتظر الأمل دومًا مهما ضاقت بي الدنيا. أشكرك لأنك أنت!".

وأنهت المكالمة.

لم تستطع (سالي) النطق، أما أنا كنت أفكر في كل كلمة سمعتها من الفتاة، لماذا اتصلت الآن؟! لماذا لم تنم قبل أن تقول هذه الكلمات لي؟! هل هي التي تحتاج لأن تقول هذه الكلمات؟! أم أنا الذي أحتاج إلى سماع هذه الكلمات منها؟! هل هذه إشارة جاءت لي في الوقت المناسب لأعيد التفكير في المستقبل، والماضي والحاضر؟!

صاحت (سالي):

ـ والآن، بعد هذه المكالمة، هل هناك أي شيء تود أن تقوله؟!

لم أرد، فاقتربت من القبر وقالت:

ـ هل ستخرج؟ أم أدخل أنا عندك؟

ابتسمت، ومددت لها يديّ لتساعدني، وعندما خرجت قالت:

ـ أعرف أنك تكرهني كالعمى. أعدك أنك لن ترى وجهي أبـ....

وضعت يدى على فمها وقلت:

ـ هل تقبلين الزواج مني؟

***

(38)

تعجبت (سالي) وسألتني:

ـ هل تمزح؟!

أجبتها بهدوء:

ـ لا، أنا أتحدث بجدية، هل تقبلين الزواج مني؟

ـ لكنك منذ قليل كنت ترفض مسامحتِي. والآن تريد الزواج مني.

ـ كما قلتِ (نحن الاثنان مخادعان، نليق ببعضنا)، ولم أحب غيرك في حياتي، أنتِ الوحيدة التي حركتِ مشاعري، فهل أنتِ موافقة؟

ـ لكن...

ـ لقد أصبحت بطلًا كما ترين، فهل ما زلت قلقة مني؟!

ـ لا أقصد، كنت أريد قول (هل هذا مكان تعرض فيه الزواج على أحد؟!).

نظرت حولى قائلًا:

ـ المقابر!، إنها مكان شاعرى جدًا، لن تجدي هدوء في أي مكان في العالم مثل المقابر، أنني أنام أحيانًا كثيرة فيها، هنا لن تجدى أي إزعاج من البشر، سوى الذين يحاولون سرقة القبور فقط، مثل هؤلاء الناس.

التفتت (سالي) حولها بذعر، فضحكت من منظرها، فهمت (سالي) المزحة فضربتني ضربة خفيفة على كتفي، أكملت:

ـ ثمَّ لا تنسي أن هذا المكان هو الذي قابلتك فيه لأول مرة عندما...

قاطعتنى قائلة:

ـ من فضلك.

تنهدت ثمَّ أكملت:

ـ إذا وافقت على الزواج منك، أرجوك لا تذكرني بالماضي.

ابتسمت قائلًا:

ـ هل أعتبر هذه موافقة؟!

أومأت برأسها وقالت:

ـ والطلب الثاني، هو ألا تنام في القبر أبدًا.

حاولت إقناعها بوجهة نظري:

ـ لكنه مكان مريح جدًا للأعصاب.

ـ فراشنا سيكون أفضل بالتأكيد.

تنهدت وقلت:

ـ هل أنت متأكدة أنكِ موافقة على الزواج مني؟!

أمسكت يدي بقوة ناعمة وقالت:

ـ كنت أريد أن أسألك نفس السؤال.

ـ لا، أنا مليء بالعيوب.

ـ لا تقل هذا، أن تعيش شابًا للأبد، ليس عيبًا، سأتحمل الشيب بينما زوجي يتمتع بالحيوية والنشاط لإسعادي، أن أتحمل الألم وأنت لا تعاني من أي شيء، أنا أمرض وأنت بكامل صحتك لا تذهب لطبيب أبدًا، أظن أنها عيوب بسيطة يمكن تحملها.

ـ وأنا سأتحمل غطيطك الذي يوقظ الموتي، يمكننى وضع سدادات متطورة من الـ...

قاطعتنى قائلة:

ـ والله كنت أتظاهر بالنوم، أنفي سليمة لا تحتاج إلى أي عمليات، لا أصدر أي أصوات أثناء نومي.

ضحكت قائلًا:

ـ حسنًا، ما رأيك في الغد؟! أحضر إلى شقتك ومعي المأذون واثنين من الشهود.

ـ بهذه السرعة؟! لا بد أن أخبر أهلي أولًا.

ـ أهلك!

ـ نعم، لقد كذبت عليك من أجل المهمة. حتّى لا تطلب مني أن أذهب إلى أهلي لتتخلص مني، لكن أنا لدي أهل، أمي ما زالت على قيد الحياة، ربنا يديم عليها الصحة، تعيش في قريتنا الصغيرة مع أهلي وأقاربي، لكنهم لا يعرفون أي شيء عن حياتى هنا.

ـ حسنًا، ما رأيك، بعد غد؟!

ـ أنت متعجل؟!

ـ العمر قصير!

اندهشت من جملتي الكئيبة، فقلت:

ـ بالنسبة لكِ يا روحي، أما أنا فأمامي الدهر كله.

ضحكت (سالي) قائلة:

ـ ليتك ما فسرت!

***

اقتحمت فيلا (جابر السلعوة) بمسدس واحد.

استخدمته في قتل حارسى البوابة، ثمَّ استخدمت سلاحيهما في قتل باقي الحراس، لا أنكر أني تلقيت رصاصات كثيرة في أنحاء جسدي، رغم أني اختبأت كثيراً منهم، على أي حال لم توقفني الرصاصات كما تعلمون، أعتبرها شكة دبوس، حتَّى الشكة نفسها تؤلم، وكلها جروح أو ثقوب ستلتئم في النهاية، قفزت بعدها في حمام السباحة فظنوا أني ميتًا فحاولوا إخراجي فأسقطتهم وبقيت معهم تحت الماء مدة طويلة حتَّى ماتوا، ثمَّ صعدت بهدوء، كنت أحمل سلك كهرباء عاريًا وأدافع به عن نفسي وأمسك طرف السلك بين الحين والآخر، ظن الرجل أن السلك آمنًا لأنه رآني أمسكه، صُعق في الحال.

وصلت الدور الثاني بعد أن قتلت عشرين رجلًا منهم بالأسفل، الفكرة أني أغرقت الفيلا بالماء ثمَّ أوصلتها بالكهرباء.

قابلني رجل يحمل مسدسًا ضخمًا، لاحظ الدم الذي ينهال من ثقوب الرصاص في جسدي فعلم أن المسدس لن يشكل فارقًا معي، الرصاصات بلا فائدة مع شخص مثلي!. فقرر أن يهاجمني بكلتا يديه، تركته يضربني بقبضته القوية حتَّى أنهكه الضرب فنهضت في لحظة التقاطه أنفاسه وضربته بعنف، لقد استهلك قوته في ضربي فصار مرهقًا. أما أنا فكنت في كامل لياقتى لأني لا أشعر بأي ألم، قضيت عليه بسهولة عندما أصبح في قمة التعب والإرهاق.

قابلت اثنان آخران، فقزت أمامهما من الدور الثاني، وهبطت على قدمي، شجعتهما على فعل المثل ووصفتهما بالجبناء. قفزا الأغبياء خلفي بالضبط، فمات واحد والثاني لم يستطع تحريك ساقه.

صعدت للفيلا مجددًا، ودخلت إلى الزعيم، رفع مسدسه في وجهي، فقلت:

ـ هل ستكرر نفس الحماقة مجددًا، وتطلق النار على ميت؟!

قال برعب:

ـ لا، لا، خذ المال الذي تريده، واتركني، لا أريد أن أموت.

ـ ألا تعرف نقطة ضعفي حقا؟!

ـ لا، ما هي؟

ـ الطعام والسينما و.

وأطلقت رصاصة بين عينيه بالضبط ثمَّ أردفت:

ـ وأنت.

ثمَّ اتجهت للخزينة الكبيرة بجوار المكتب، أخرجت المفتاح من جيب بدلة (السلعوة)، فتحتها ليس مبلغ الفدية كاملًا بداخلها.

أسمع صوت زمجرة في المكان، نظرت خلفي وجدت رجلًا ضخمًا وبجواره كلب أضخم منه، نظر الرجل إلى زعيمه فوجده قتيلًا فصاح غاضبًا:

ـ ما الذي فعلته؟

وأطلق سراح الكلب، الغريب أن الكلب خاف مني للحظات.

لا، إن هذا لا يعني أنني شيطان!؛ لأنه بعد ذلك راح يعض ذراعي دون ملل.

وجدت مسدس (جابر) بجواري على الأرض، أطلقت النار على رأس الكلب ثمَّ على الرجل صاحب الكلب.

استغرقت وقتًا طويلًا في تخليص ذراعي من فم الكلب أكثر من الوقت الذي استغرقته في اِقتحام الفيلا.

سمعت صوت أقدام على الدرج، هؤلاء الرجال لا ينتهون، كم عدد أفراد العصابة بالضبط؟! أمسكت مطفأة الحريق وخرجت لمواجهتهم، أطلقت السائل الرغوي على كل الصاعدين على الدرج، أحضرت أسطوانة أخرى وأطلقتها، ثمَّ

أسطوانة ثالثة، صار الجو أبيضًا! هبطت بجوارهم إلى قبو الفيلا، وجدت هناك حارسين أطلقا النيران، واحد على ساقي، والثاني على يديّ، أطار ثلاث أصابع.

اللعنة.

أين سأرتدى خاتم الخطوبة إذن؟!

لا مفر من تأجيل الخطوبة حتَّى تنمو أصابعى مجددًا!

استخدمت أسطوانة إطفاء مرة أخرى ناحيتهم فأطلقوا النار نحوي.

عاد الرجال الواقفين على الدرج فسمعوا إطلاق النار فأطلقوا ناحية الحارسين، حدث تبادل لإطلاق النار، ومات الجميع. نهضت من مكاني، وفتحت باب القبو، وجدت خزينة أموال أخرى وأسلحة تكفي لقتل جيش.

لم أترك سلاحًا إلَّا وجربته، ولو على سبيل اختبار جودة التصنيع.

كان هناك سبعة عشر رجلًا على قيد الحياة، صالحين لتجريب الأسلحة، لم أخرج من الفيلا إلَّا بعد تأكدي أن الجميع قد مات.

يوم مذبحة الأشرار.

ثمَّ أحرقت الفيلا.

حدثت انفجارات مروعة بسبب وجود مخزن الأسلحة والذخيرة.

خرجت بمبلغ أكثر من مبلغ الفدية بقليل، بضع دولارات فقط! كان هذا هو أول يوم لي في حياة البطل الخارق الغامض الجبار الذي يحارب الأشرار، البطل (زيرو) Zero. أي (صفر) باللغة الإنجليزية يا أولاد.

سوف تسألوني (ألم تجد اِسمًا أسخف من هذا؟!)، بصراحة لم أجد وقتًا للتفكير في اِسم مناسب، لذا اِخترت نفس اِسم عضويتى في (الموقع الأخضر)، ربما لو كان اِسمي هناك (العصفور الجريح) لاستخدمته، لكن ربنا ستر.

ذهبت إلى خطيبتى (حسنية) / (سالي) سابقًا، نعم (حسنية) هو اسمها الحقيقي. وحتَّى الآن لا أعرف العلاقة بين الاسمين. لغز آخر من ألغاز الكون يفوق لغز حياتي الغريبة!

كنا جالسين في شقتها الجديدة عندما أعطيتها حقيبة سوداء أنيقة بها مبلغ الفدية بالضبط، المبلغ الذي باعتني للعصابة من أجله، وكانت ستحصل على نسبة ضعيفة منه في النهاية بعد توزيع المبلغ على أفراد العصابة كلها، لكنها باعت العصابة واعترفت لي ولم تذهب لتأخذ نصيبها، بل أخبرتني بكل شيء عنهم مِمَّا سهل مهمة اقتحام الفيلا، اعترفت لي بجريمتها ولم يجبرها أحد على ذلك وهي تعلم أني قد أقتلها أو أدفنها حية في القبر، لكني سامحتها لأنها اعترفت وكان بإمكانها الاستمرار في خداعي، سامحتها أيضًا لأني أحبها، أحبها بجنون، وهي في النهاية لم تفعل جريمة أسوأ من جرائمي مع الآخرين، التي لم يسامحنى أحدًا عنها.

سألتنى (حسنية) بعد فتحها للحقيبة:

ـ مبلغ الفدية! هل اقتحمت الفيلا؟!

أومأت برأسي وقلت لها بهدوء:

ـ هذا هو مهرك يا عروسة! هل يكفي؟!

اِبتسمت ثمَّ نظرت لي بكل حب ومنحتني قبلة طويلة لا يمكن محوها من الذاكرة حتَّى لو أطلقوا رصاصة على مخي.

***

(39)

لدي مال كثير في كهف العقارب. أكثر بكثير من المال الموجود في كهف الأفاعي، ربما لأني أضمن العقارب أكثر من الأفاعي.

يمكنني تجهيز الفرح والشقة وجميع المستلزمات بكل هذا المال في غضون ساعات، لكن تم تحديد موعد الفرح بعد ست شهور حسب رغبة عائلتها، لقد صمم أهلها على هذه المدة الطويلة جدًا، بل كانوا يريدون مدة أطول للخطوبة، حتَّى نتعرف على بعضنا أكثر! لا يعرفون شيئًا عن علاقتنا الغريبة، لا يعرفون أن ابنتهم المصونة الوقورة قد نامت معي في نفس الشقة منذ أول يوم تعارف بيننا! لا يعرفون أني رأيتها عارية تمامًا وهي رأتنى كذلك في أول أسبوع من لقاءنا! لا يعلمون أنها نامت معى في سرير واحد بعد مهمة (ميت الثورة)، بل إنهم لا يعرفون أنها تقيم معي حاليًا في شقتي الجديدة لأسباب عدة. أولًا : أنا أخاف عليها جدًا، بل وأقلق عليها كلما ذهبت إلى شقتها لإحضار شيء أو لمقابلة أحدًا من أهلها، ثانيًا : أنا لا أستطيع تناول طعام ليس من صنع يديها.

تعلمت (حسنية) الكتابة الصحفية، وراسلت جريدة (آخر لحظة)، ووافق رئيس التحرير على نشر مقالاتها. استخدمت اسم مستعار (داليا شريف)، نعم (داليا) هو الاسم الجديد لحبيبتي (سالي) التي تُدعى (حسنية) في الأوراق الرسمية.

***

كنت أقف داخل الدولاب ممسكًا هاتفي المحمول، اقرأ باستمتاع القصص الخيالية الجميلة على (الموقع الأخضر). يزعجنى فقط هؤلاء الناس الذين يمارسون الجنس بالخارج، لا أعرف لماذا يصيحون بصوت عالي أثناء الممارسة!. الحمد لله أنهم انتهوا أخيرًا، ما أجمل الصمت! سأكمل القراءة الآن في جو هادئ، أتمنى فقط ألّا يزعجوني بصياحهم مجددًا. أسمع الرجل يسأل زوجته عن المنشفة، فترد عليه بصوت واهن لا أسمعه، أسمع طرقات على الباب المجاور لي.. لا.. هذه ليست طرقات. إنه يحاول فتح الباب.. اللعنة.. سوف يقتحم خلوتي، لا أجد وقتًا أبدًا لإنهاء قراءة قصة (الكائن المريخي الخامس)! أغلقت هاتفي لأستقبل الرجل الذي فتح الباب، كان مندهشًا لرؤيتي.

آه.. أرجو المعذرة.. نسيت أن أخبركم ببعض المعلومات الهامة، أولًا: هذا الباب الذي فتحه الرجل هو باب دولاب. ثانيًا: أنا أقف الآن داخل هذا الدولاب الذي فتحه، ثالثًا: هذا الدولاب داخل غرفة نوم الرجل داخل شقته.

آسف.. نسيت أن أخبركم أيضًا بأهم معلومة في هذا الموقف والذي كان من الواجب ذكرها في البداية هو أنني أقف عاريًا تمامًا داخل هذا الدولاب!

كان الرجل في قمة دهشته، كان يريد منشفة، لقد سمعته لذا مددت يديّ وأعطيتها له من أجل الاستحمام، لم يتوقع أن يجد رجلًا أمامه داخل دولابه، أعلم مدى حيرته الآن!، هذه أشياء لا تجدها داخل الدولاب عادةً، الصدمة ألجمت الرجل! ابتسمت ابتسامة واسعة وقلت له :

ـ إياك أن تفهم خطأ.

سمعت الزوجة صوتي، تعجبت من وجود رجلًا آخرًا في شقتها، بل في غرفة نومها، بل في دولاب ملابسها، ويراها عارية الآن على سريرها أمام زوجها!

أكملت بنفس الابتسامة الباردة:

ـ لقد كنت أخونك مع زوجتك، إياك أن تفهم الأمر بصورة أخرى.

لكمني الرجل الغيور في وجهي، تلقيت اللكمة القوية مستسلمًا، ثمَّ غمزت للزوجة العارية التي سمعت جملتي جيدًا. وتعرفتني على الفور عندما رأت وجهي، ثمَّ فررت هاربًا من الشقة والزوج يلاحقني.

أغلقتها من الخارج بالمفتاح الذي وجدته على المنضدة أمامي، حبست الرجل مع زوجته ليستطيع التفاهم معها بدون أي تدخل مني، هذه مسائل عائلية يا قوم.

لحظة من فضلكم.. لا تفهموا خطأً.. هذه ليست مهمة من مهام الرجل الميت، لقد اِعتزلت هذه المهنة الحقيرة، ولم أعد أقوم بمهمة (العاشق الميت) كما وعدت (سالي) / (حسنية) / (داليا).

آسف.. نسيت أن أخبركم أن هذه الزوجة هي (جولي)، هل تتذكرونها؟! (جولي) آخر عضو في عصابة (جابر السلعوة). (جولي) التي قابلتني يومًا وادعت أنها زوجتي مستغلين معلومة عن فقداني الذاكرة.

(جولي) الآن في قبضة زوجها. لقد اِنتهى الخطر يا خطيبتي العزيزة.

***

ودّعت حياة الجريمة وأعيش حياة البطولة، تحولت من (ميت) إلى (بطل). أو (بطل ميت). تعاونت مع الشرطة في عمليات كثيرة.

أفكر في كتابتها على هيئة سلسلة مغامرات، وليكن اسمها (البطل صفر) أو (مغامرات زيرو) أو (البطل الميت) أو (أنا الميت).

وفي كل عدد مغامرة جديدة معتمدة على عملية حقيقية، مرة أكتب عن مطاردة عصابة (الناب الأزرق) التي لها فروع في كل المحافظات وتعمل في جميع المجالات المشبوهة والممنوعة والمحرمة دوليًا.

في عدد آخر وليكن اسمه (عمارة الرعب) أحكي فيه عن عمارة (حشمت باشا) التي اشتهرت بالحكايات المرعبة حولها. واشتعال النيران في شققها ليلًا، ورؤية أشياء مخيفة تظهر وتختفي فيها، حتَّى أن مجموعة شباب حاولوا اِقتحامها كمغامرة صيفية، وجدناهم موتى في اليوم التالي وعلى وجوههم تعبيرات الرعب الشديد، لكني عندما اقتحمتها اكتشفت السر الرهيب الخاص بها.

في عدد آخر سأحكي عن الملياردير الهارب (حسام هيثمّ) وكيف استطعت إرجاعه إلى مصر مستخدمًا حيلة (الميت الشبح) الشهيرة، ربما أطلق على المغامرة اسم (عملية الهارب).

ربما أحكي أيضًا عن عمليات الإنقاذ المستحيلة التي قمت بها في أعماق البحار أو أعالي الجبال أو وسط النيران أو قلب الجليد.

ستكون سلسلة مثيرة جدًا! أظن ذلك.

كانت (داليا شريف) تكتب عن مغامرات البطل الغامض الذي لا يعرف هويته أحد على الكوكب ويُدعى (زيرو)، تكتب مثل أي صحفية، لا يعلم أحد أنها خطيبة البطل.

***

قمت بتصحيح بعض أخطاء الماضي، أعدت المال المسروق لمعظم الضحايا الذين تسبب في سرقة أموالهم. أخبرت بعض الأزواج أنني لم أخونهم مع زوجاتهم الشريفات والدليل أنني لم أمت كما كانوا يظنون وأقنعتهم أن الطلاق كان خطأ كبير، أخبرت أزواج آخرين أنهم لم يقتلوني وأن زوجاتهم هن اللاتي دبرن ذلك وأنهم لا يستحقون السجن وأني مستعد للشهادة بأني حي أرزق، أخبرت بعض خطيباتي السابقات أني لم أمت وأني كنت نذل حقير معهن، خاصة اللاتي تعرضن

لأزمات نفسية حادة بعد رحيلي، بالتأكيد تلقيت عقاب بشتى الأشكال والألوان لكني كما تعلمون لا أشعر بأي ألم.

لن أستطيع تصحيح كل الأخطاء لكني أحاول قدر المستطاع.

***

مرت الست شهور وجاء يوم الفرح، اليوم الموعود، عروستي (داليا) أجمل عروسة في الكون!

أجلس بجوارها وأنا أدعو الله أن تمر الليلة على خير.

ـ أكان لا بد أن نقيم فرحًا؟!

سألتني (داليا):

ـ لم القلق يا (رامي)؟!

نعم، (رامي) هو اسمى الرسمي الآن، ودّعت اسم (رؤوف).

ـ لقد دمرت أفراح كثيرة في حياتى بعدد شعر شاربي، أخشى أن أجد العقاب المثالي لهذا الآن.

ضحكت (داليا) وقالت:

ـ لقد أخبرتنى بمهمات (ميت في الفرح) كلها، لا تقلق من أي شيء يا (رامي)، لقد تُبت إلى الله وندمت على ما فعلته ولن تعود إلى هذه الحياة القذرة مرة أخرى. لقد عشت ست شهور كاملة في حياة البطولة. أنقذت أرواح مئات من قلب الكوارث. الحوادث والحرائق والأنقاض، أنقذت حياة آلاف وربما ملايين بمطاردتك للإرهابيين، طاردت أخطر المجرمين وأشرسهم. لماذا لا تتذكر كل هذا وتتذكر مهمة (ميت في الفرح)؟!

ـ ليست هذه فقط، لا تنس مهمة (العريس الميت).

ـ العريس الذي يموت في الكوشة بعد شرب كوب العصير؟!

ـ ولا تنس مهمة (الخطيب الميت) و(الموت عند الصاغة) و....

قاطعتني قائلة:

ـ لكنك لم تدمر أفراح في هذه المهمات يا (رامي).

ـ لكنهم جميعًا كانوا ينتظرون أفراح، دمرت الفرحة في قلوب هؤلاء البنات، لذا أتوقع أن فرحي لن ينتهي على خير! سوف أجد أسوأ مِمَّا فعلته معهن جميعًا.

ـ اهدأ يا حبيبي، سوف تكون الليلة أجمل ليالي العمر.

وخابت جميع توقعاتي، مرت الليلة على خير، رقصنا ومرحنا وغنينا، لم يحدث أي شيء سوى موقف تافه لا يستحق الذكر، عندما فوجئت أن إحدى صديقات عروستي كانت خطيبتي يومًا ما.. (ندى الدسوقي) صحفية تكتب معها في نفس الجريدة.

قبّلت (ندى) العروسة وقرصتها في ركبتها قائلة:

ـ ألف مبروووك يا (دوللي) يا حبيبتي، أقرصك في ركبتك لألحقك في جمعتك، كما يقولون.

ضحكت (ندى)، وتأوهت عروستي (داليا) برقة، هل أبدو أحمقًا إذا قلت أن الآهة منها قد أثارتني؟!، ثمَّ نظرت لي (ندى) خطيبتي السابقة وقالت:

ـ ألف مبروك يا عريس.

ـ الله يبارك فيكِ، عقبالك.

أتمنى أن تكون قد نسيتني، قالت:

ـ غريبة!

سألتها (داليا):

ـ ما الغريب؟!

ـ عريسك يشبه خطيبي السابق إلى حد كبير، حتَّى الصوت نفسه!

سألتني عروستي مازحة:

ـ هل خطبتها من قبل يا (رامي)؟!

عروستي (داليا) فهمت على الفور أن (ندى) خطيبة سابقة في مهمة قديمة، لكن يبدو أنها تهوى رياضة (الصيد في الماء العكر) ولعبة (المزاح في الأفراح)، أجبتها بهدوء:

ـ لا يا حبيبتي.

قالت (ندى) مدافعة عني، الله يكرمها:

ـ لا طبعًا، لا يمكن، إن خطيبي السابق قد مات أصلًا.

قالت (داليا) على الفور:

ـ بعد الشر على (رامي).

ـ ثمَّ إن اسمه كان (تامر).

(تامر)! يااااه.. كانت أيام! و(ندى) كانت شقية جدًا!

تحركت (ندى) لتجلس مع ضيوف الفرح، سألتنى عروستي هامسة:

ـ خطيبة سابقة؟!

ـ نعم.

ـ مهمة الصاغة أم النافذة؟

ـ البنزين.

ـ ماذا؟! لم تحكها لي من قبل.

ـ سوف أحكها لكِ في شهر العسل يا حبيبتي.

***

ليلة الدخلة..

أكثر ليلة مشوقة في حياة أي إنسان.

لا تتوقعوا أن أخوض في تفاصيل جنسية، هذه رواية محترمة يا أشقياء!

كانت أجمل لحظة في حياتي كلها.. أعترف بذلك، لكن.. هناك أمر غريب! كنت أشعر بإرهاق شديد حتَّى أن زوجتي العزيزة لاحظت ذلك فسألتني:

ـ لأول مرة أراك متعبًا.

مسحت العرق وقلت:

ـ نعم، هذا غريب!

ـ هل يحدث هذا معك في كل مرة أم حدث من قبل في المرات السابقة؟!

سألتها مندهشًا:

ـ أي مرات سابقة؟! هذه أول مرة أمارس فيها الجنس، لقد أخبرتك سابقًا أني لم أقم بأي علاقة مع أي امرأة.

ـ حقًا؟، لقد ظننت أنك تدّعى هذا لكي توقعني في حبك، وتكذب مثل معظم الشباب، لا يوجد في زمننا هذا شاب لم يقم بعلاقة مع فتاة، نحن في عام 2049 يا عزيزي، ولا تنس أنك أخبرتنى بتجارب عاطفية مثيرة تعرضت لها من قبل.

ـ نعم، لكني لم أمارس فيها الجنس أبدًا.

ـ لقد تفاجأت!

ـ أنا أيضًا تفاجأت عندما اكتشفت الآن أنكِ عذراء!

هبطت الصفعة على وجهي دون إنذار وقالت:

ـ يا سافل! ماذا ظننت بي؟!

تحسست وجنتي، لم أشعر بألم الصفعة كالعادة، إذن ما الذي يحدث لي؟!، قامت زوجتي الحبيبة بتقبيل موضع الصفعة وقالت:

ـ أنا لم أحب في حياتي سواك!

كنت أمر بحالة غير طبيعية، لأول مرة أشعر بمعنى كلمة (إرهاق)، لم أكن أفهم معنى كلمة (تعب)، الآن أشعر بما يشعر به البشر العاديين. ألتقط أنفاسي بصعوبة، أريد الراحة لبعض الوقت.

قالت زوجتي أنها ستذهب لتأخذ حمامًا ثمَّ تصنع كوب عصير ليمون من أجلي، انتهزت فرصة خروجها من الغرفة ودخلت (الموقع الأخضر) لأكتب الفصل الجديد.

***

انتهى هذا الفصل بحمد الله، من رواية (مذكرات ميت)

أرجو أن يكون قد نال إعجابكم.

اضغطوا (إعجاب) أو (مشاركة) أو اكتبوا تعليقًا. وسوف أرد على جميع أسئلتكم.

انتظروا الفصل التالى يوم السبت القادم 22 أكتوبر.

مع تحيات الموقع الأخضر.

***

هذا آخر ما كتبه العضو (Zero) في روايته الشهيرة (مذكرات ميت). منذ عام ونصف تقريبًا، ولا نعرف إن كان سيكمل القصة في وقت لاحق أم لا!

لكن آخر دخول له على الموقع مسجل بتاريخ نفس اليوم الذي كُتب فيه هذا الفصل.

التوقيع : مجلس إدارة الموقع الأخضر.

***

عادت (داليا) إلى الغرفة، وجدت زوجها (رامي) نائمًا على السرير وفي يده هاتفه المحمول، مفتوحًا على موقع اسمه (الموقع الأخضر)، يبدو أنه كان يكتب شيئًا قبل أن يغلبه النوم.

"عصير الليمون الطازج المنعش، اشربه وسوف تكون بخير".

قالتها وهي تضع كوب العصير على الكوموود بجوار السرير ثمَّ تابعت:

ـ المفروض أنك بطل خارق، لقد توقعت أن نفعلها عشر مرات على الأقل!

هزت زوجها بيدها وقالت:

ـ هل نمت؟! هل اكتفيت بمرة واحدة؟!

ظلت تهز في جسد زوجها، كان يتحرك نتيجة هزها فقط، لم يصدر عنه أي حركة ذاتية أو صوت، ضحكت قائلة:

ـ لن تضحك عليّ مجددًا، لقد حرمت، في كل مرة تتظاهر أنك ميت وأصدقك، أسمع قلبك أجدك ميتًا بالفعل، وبعد أن أبكي وأنوح تنهض وتقول (ضحكت عليكِ)! لا.. لن أصدقك هذه المرة، لقد أصبحت ذكية، هل تتذكر المرة التي وجدتك فيها غارقًا في البانيو؟! خدعتني يومها أيضًا، أنت لئيم للغاية! والمرة التي طعنت نفسك فيها بالسكين، لقد قلقت عليك جدًا، ثمَّ شجعتني بعدها أن أجرب وأطعنك وتظاهرت أمامي أني قد قتلتك، يا لك من شيطان!. لكني أحبك.. (رامي) الشيطان الذي أحببته. هيا.. انهض يا حبيبي.

هزت زوجها مرة أخرى وقالت:

ـ توقف عن هذا المزاح الثقيل، أنت ترعبني!

استمعت إلى قلبه، لا نبضات، كعادته في مرات المزاح السابقة، هي تعلم جيدًا أنه لا يموت. لذا لا داعي للقلق، أمسكت هاتفه وقالت:

ـ حسنًا، لقد أخذت هاتفك، انهض وخذه مني، حسنًا.. سأقرأ ما كنت تكتبه.

لم تستطع فتحه، تمَّ غلق الهاتف آليًا عندما تعرف على بصمة يدها، ولم تتطابق مع بصمة صاحب الهاتف.

ـ لا بد أنك مطمئن لأنك تعلم أني لن أستطيع فتحه.

قامت بضربه في كتفه ثمَّ رأسه ثمَّ بطنه ثمَّ ضربت باقي الأجزاء بملل، لم ينهض.

ـ أعلم أنك لا تشعر بالألم.

قامت بدغدغته، لعله يضحك، لكنه لم يتحرك قيد أنمله، ظل وجهه مثل التمثال، لم تجد سوى الحل الأخير، الحل السحري، الذي لا يخيب.

أمسكت يده وجعلتها تتحسس مفاتنها المثيرة.

ـ الآن سأكشفك يا بطل.

كانت تعلم أنها نقطة ضعفه الوحيدة، جسده يستجيب عندما يقترب منها ويشعر بها، لكنه .. لم يتغير أمامها فى تلك اللحظة!

هنا فقط شعرت بالقلق.

صاحت بفزعٍ:

ـ يا إلهي!

***

(40)

استدعت (داليا) طبيبًا بسرعة، كشف عليه فأخبرها أنه قد فارق الحياة، قالت بتفهمٍ:

ـ عادي! لقد فعلها كثيراً من قبل، هذه ليست أول مرة يموت فيها، متى سيعود مرة أخرى؟!

ظن الطبيب أنها فقدت صوابها عندما علمت بأمر موت زوجها، خاصة وأنها ليلة زفافها، كما أخبرته.

ـ ربما أصابه الإرهاق من الـ.... أنت تفهمين. ربما كان قلبه ضعيفًا، لم يتحمل.

قالت (داليا) غير مصدقة:

ـ إن قلبه ميت، لا تتحدث أبدًا عن قلبه. لقد خاض أهوالًا من قبل ولم يتأثر قلبه أبدًا، إن قلبه حديد، لا تقل هذا.

بعد مرور ساعات، بدأت الجثة حالة التخشب الرمى أدركت (داليا) حجم الكارثة، لقد مات زوجها حقًا!

مات مثل أي بشر عادي، كانت تظن أنها ستموت قبله، وسيعيش هو بعدها قرون طويلة، ربما للأبد! كانت تمزح معه وتسأله:

ـ ألن تموت أبدًا؟! ماذا لو فجرت نفسك بالديناميت أو بقنبلة؟!

كان يضحك، ويرد عليها قائلًا:

ـ يا للأفكار الرومانسية!

لقد مات وتركها وحيدة.. ظلت فترة لا تصدق أنه مات، ولا تصدق أنه مات بهذه الطريقة، إنها لا تعلم سبب موته حتَّى الآن، وتكره من يقول أنها السبب في موته!

قال لها أحد الأطباء صاحب خبرات طويلة في عالم الماورائيات والغرائبيات:

ـ إن زوجك كما تدعين كان حالة نادرة!، تقولين أنه لم يكنْ يموت من الأسباب العادية التي يموت منها البشر، حتَّى لو فقد الكثير من دمه!، ربما هو مات عندما فقد سائله المنوي، لقد أخبرتنى أنه لم يمارس الجنس من قبل قط، سوى معك فقط. ربما كان من النوع الذي يموت إذا مارس الجنس، مثل بعض الحشرات عندما تموت بعد التزاوج. وربما كائنات أخرى لا نعلم عنها شيئًا!

بعد أكثر من شهر، اِنقطعت الدورة، ساورتها الشكوك فذهبت إلى الطبيب لتتأكد، أخبرها بأسعد خبر في حياتها:

ـ أنتِ حامل!

لم تصدق (داليا) ما سمعته، لقد عوضها الله بهذا. لقد عاشت أيامًا طويلة في حالة من الحزن الذي لا ينقطع. جاء هذا الخبر ليجعلها أسعد واحدة في العالم!

ظلت حريصة على الحمل، أخبرها الطبيب أن حالة الطفل جيدة.

ـ ولد.

سألت نفسها.. هل سيكون مثل أبيه؟! خارقًا مثله؟! لو أنه كذلك سوف تحذره

دومًا من الجنس، وتحذره أيضًا من الوقوع في الحب حتَّى لا يقوده إلى الجنس، في الحب هلاكه.

أم أنه سيكون مجرد طفلًا عاديًّا؟!

الأيام وحدها ستجيب على أسئلتها.

***

قمنا بمراسلة العضو (Zero) كثيراً. لم يرد على أي من رسائلنا. مرت ثلاث أعوام على نشر الفصل الأخير من روايته الرائعة (مذكرات ميت). ولم يكتب الفصل الجديد حتَّى الآن. لم نعرف نهاية الرواية بعد. ما الذي حدث للبطل بعد الحياة الزوجية!

هناك أكثر من ناشر يعرض شراء هذه الرواية بشرط أن يستكملها مؤلفها، خاصة مع الشهرة الواسعة التي نالتها الرواية على الإنترنت.

وهناك منتج متحمس لتحويل هذه الرواية إلى فيلم سينمائي ضخم، أو مسلسل طويل عن البطل الخارق الميت، مع تغيير الاسم إلى (المهنة: ميت)، لكننا لا نستطيع التواصل مع العضو (Zero) حتَّى الآن ولا نعرف اسمه الحقيقي. لذا نرجو من السادة الأعضاء المشتركين في (الموقع الأخضر) رجاء صغير، طلبناه من قبل وسنظل نطلبه من حضراتكم. لو أن أحدًا منكم على اِتصال بهذا العضو أو يعرفه فليخبره أننا في انتظار رده. لنتخذ الإجراءات اللازمة بخصوص الرواية.

***

تمت بحمدِ الله

شكر خاص لكلٍ من

د. مروة المدني.

د. حسين السيد.

محمد هشام عبية.

نورا ناجي.

محمد السيد.

إسلام سمير.

حرية سليمان.

عمر صلاح.

مؤمن.

هيثمّ عصام.

د. محمد الدواخلي.

شكرًا لوجودكم في حياتي

ربنا يكرمكم.

<u>للتواصل مع الكاتب وإبداء الآراء</u>

على الفيس بوك:

https://www.facebook.com/mohammed.reda.12

أو بالبريد الإلِكتُروني:

halat_khasa@yahoo.com

للنشر
والتوزيع

info@noonpublishing.net

02-338560372- 01127772007